مقدمة

تتجه أغلب الدراسات التاريخية الحديثة عند تسليط الضوء على تـاريخ الـيمن الحـديث و المعاصر على التركيز على المقاومة اليمنية ضد الاحتلالين العثماني و البريطاني ، و لكن الدراسات الحديثة و التي تتمحور حول شمال الوطن تنتقي من المقاومة اليمنية مقاومة الأئمـة الزيدية للاحتلال العثماني فقط و كأن مقاومتهم تمثل كل المقاومة اليمنية و مـرد ذلـك إلـى الاختلاف المذهبي بين العثمانيين (سنة) و بين الأئمة الزيدية (شيعة) ، فأصبح كـل مـن يكتب أو يتناول تلك الحقبة الزمنية يركز على مقاومة الأئمة تاركاً كـل مقاومـة عـداها ، و يتناسون أو ينسون أن الشعب اليمني بكل أطيافه قد قاوم و جاهد ضد المحتل حتى خـرج ، و لا ينكر أحد مقاومة الأئمة الزيدية لسبب أو لآخر و لكنها ليست كل اليمن ، فالمنـاطق التـي تلتقي مع العثمانيين من ناحية المذهب هي الأشد و الأقوى مقاومة لهم كما سنثبت ذلك .

و من تلك المقاومة اليمنية ، مقاومة أهالي تهامة للاحتلال العثماني منذ وطأة قدماه تهامـة و من قبائل تهامة أكبرها و أقواها و أشدها الزرانيق و هم قبائل يمنية أصيلة عرفت منذ القـدم بثوراتها ضد الظلم و الاستبداد و طرد الغازي والمحتل ، و بأن رجالها يولدون وفي عيـونهم الرمل ، فيلتحفون المآزر ليعانقوا السماء و يضعون على رؤوس أبطـالهم أكاليـل النـصر ليسمونها عكاوة و يصيحون فيرهبون الظالم و المستبد و المحتل ، عيشتهم بسيطة و حيـاتهم تجمع بين الضدين السعادة و التعاسة ، و هم دائماً مظلومون مقهورون رغم أنهـم هـم مـن يقدمون الأرواح قرباناً لإقامة العروش .

فرسالة الماجستير هذه جاءت لتنصف تهامة و الزرانيق و تتوصل إلـى الحقيقـة ، و لكـن إشكاليتها تتمثل في كونها أول دراسة عنهم و في شحة المصادر و الوثائق ، و قد حاولـت أن أوفر المادة العلمية التي يتناولها موضوعي حول الزرانيق و العثمانيون من 1849-1918 .

و قد حرصت أن أتبع في دراستي هذه وقائع تلك الفترة بكل موضـوعية و أنـتهج المـنهج التاريخي الوصفي من خلال العرض و الوصف و المنهج التحليلي من خلال تحليـل الوقـائع و مناقشتها بموضوعية و حياد تام .

و قسمت موضوع الدراسة إلى ثلاثة أبواب مقسمة إلى فصول ، ففي الباب الأول و المقـسم إلى ثلاثة فصول تطرقت فيها إلى ذكر أصل الزرانيق و نسبهم و فـروعهم قـديماً و حـديثاً و موقع هذه القبائل و نطاقهم الجغرافي و عاصمتهم بيت الفقيه .

و في الباب الثاني و الذي قسمته إلى فصلين ذكرت في أوله بنيتهم السياسية من حيث التركيبة القبلية لديهم و تقسيم الزرانيق إلى قسمين حديثاً و أصول مشيختهم الزرنوقية و اسـتمراريتها حتى الآن و في الفصل الثاني ذكرت البنية الاجتماعية من حيث التكوين الطبقـي للزرانيـق و حياتهم الاجتماعية اليومية من خلال مأكولاتهم و ملابسهم و مساكنهم .

و في الباب الثالث تحدثت عن الدور السياسي و العسكري للزرانيق منذ ظهورهم حتى خروج الترك و علاقة الزرانيق بقوى المقاومة اليمنية و بالقوى الدولية كالبريطـانيين و الفرنـسيين و الايطاليين و أنهيت الدراسة بخاتمة و قد أرفقت الدراسة بملاحق تضم صوراً نادرة و وثائق يمنية و عثمانية .

و قد اعتمدت في رسالتي على الوثائق التركية و الوثائق البريطانية المتعلقة بموضوع دراستي و مقارنتها بوثائق يمنية تهامية و زرنوقية و كذلك رجعت إلى السالنامات و الكتب و اللوائح التركية و المخطوطات الزرنوقية و توثيق التراث الشفهي من خلال اللقاءات مـع المعمـرين الذين عايشوا تلك الفترة و الرواة و الحفاظ ، و في كل الأحوال ورغم تنـوع المـصادر و المراجع و تباينها إلا أنها حسب علمي تظهر لأول مرة و لتبشر بدراسة منصفة فـي تـاريخ تهامة اليمن .

لقد بذلت المستطاع في محاولة تقديم صورة ناصعة من تاريخ الـيمن الحـديث و المعاصـر المغيب إلا أن النقص يعتري كل شيء في الكون فما بالك برسالة يكتبها إنسان .

أتقدم بخالص الشكر و التقدير إلى كل من ساعد و ساهم و أرشد و شارك و لو بكلمـة فـي إخراج هذا العمل ، وأخص بالذكـر الدكتور / سعيد سلام قاسم المشرف العلمي على الرسالة و الذي شجعني و غمرني بعلمه و توجيهاته و لازمني في جميع مراحل الرسالة و ناقـشني في كل شاردة و واردة فيها ، فكان صديقاً و موجهاً و معلماً و أخاً أكبر حتى نالـت درجـة الإمتياز مع مرتبة الشرف من كلية الآداب جامعة عدن في 29 / 1 / 2008م .

و ختاماً أسال الله تعالى العلي القدير أن يوفقنا جميعاً لنبرز تاريخ وطننا اليمني الغـالي و أن يجزي خيراً كل من مد يد العون لي .

عبدالودود قاسم حسن مقشر

بيت الفقيه

الباب الأول

الزرانيق... الأصل و الأرض

الفصل الأول

أصل الزرانيق

1- سرد النسب و توثيقه و ضبطه .

2- تحليل النسب .

1- سرد النسب و توثيقه و ضبطه .

1- سرد النسب

تعد قبيلة الزرانيق من القبائل التهامية العريقة و المتسلسل نسبها تسلسلاً معروفاً لدى أبناءها و نسابها و لدى الكتاب و المؤرخين ، و لا خلاف لديهم على أن الجد الأعلى لهم هو عك ، وهو جد أغلب القبائل القاطنة بتهامة .

وقد قمت بالتدقيق في مشجرات الأنساب للبيوت الزرنوقية ذات الاتجاه العلمي و الوجـاهي في القبيلة ، كما اعتمد على الوثائق ومن ثم قارنها مع كتب الأنساب و التـاريخ ، فكانـت المحصلة لسرد نسب الزرانيق على النحو التالي :-

زرنق بن وليد بن زكريا بن محمد بن حامد بن محمد بن معزب بن عبيد بن محمد الفارس بن زيد بن ذؤال بن شبوة بن ثوبان بن عبس بن سحارة بن غالب بن عبدالله بن عك .

2- توثيق النسب .

وقد اعتمدت على الوثائق و المشجرات التالية :-

1- وثائق خاصة بنسب القبيلة لدى مشائخ الزرانيق ومنها وثيقة نسب لـدى الـشيخ يحي محمد منصر (شيخ الطرف الشامي)والشيخ شعيب محمد حسن فاشـق (شـيخ الطرف اليماني) [1] .

2- وثيقة نسب و مشجرات بخط شيخ الإسلام محمد حسن فـرج (1240- 1306 هـ) .

3- وثيقة للنسابة الفقيه محمد بن أحمد الصريفي الذؤالي ، استند عليها مفتي تهامـة في القرن الثالث عشر الهجري السيد العلامة محمد بن المساوى الأهـدل (1201 – 1266 هـ) في اجابته على استفتاء حول تاريخ الإمام أحمد بن موسى بن علي بن عمر العجيل و حياته و كراماته .

4- وثيقة نسب بخط السيد العلامة المحدث المكين بـن عبـدالقادر البحـر (1268– 1325 هـ) .

1- الطرف هو الناحية و الزرانيق تنقسم إلى قسمين شمالي و يسمى " الطرف الشامي " و جنوبي و يسمى " الطرف اليماني " .

5- وثيقة نسب بخط العلامة عبدالقادر بن يحي بن سليمان حلبي(1290–1360هـ) كتبها سنة 1338هـ .

6- مـشجرات أنـساب ووثـائق بخـط الفقيـه النـسابة جـابر شـماع العجيلـي (1325– 1391 هـ).

7- وثيقة نسب بخط الفقيه النسابة محمد بن موسى بن أحمـد بـن موسـى العجيـل (أوردها القاضي الناشري في كتابه غرر الدرر) و المعلم وطيوط في تاريخه .

8- وثيقة نسب بخط الفقيه المؤرخ النسابة أبو بكر بن إبراهيم بن محمد بن موسى بن احمد بن موسى العجيل (توفي سنة 834 هـ) و قد أرسل بها مع كراسة عن تاريخ و مشاهير بني عجيل إلى المؤرخ بدر الدين حسين بن عبدالرحمن الأهدل فأوردهـا الأخير كاملة في تاريخه (تحفة الزمن) .

9- مشجرات أنساب تخص القيم على ضريح الأمام أحمد بن موسى العجيل و تعـود للفقيه إسماعيل بن عبدالله بن إسماعيل عجيل .

10 – وثيقة نسب للسيد العلامة حسن قاسم البحر (1342 – 1406 هـ) .

أما كتب الأنساب و التاريخ و التي أعتمدتها في إيراد النسب و مقارنتها بالوثائق و المشجرات للتوصل إلى النسب السابق فهي :-

1- اللباب في علم الأنساب للنسابة الفقيه أحمد بن محمـد الأشـعري (تـوفي بـين 550 – 558 هـ) و هو من أشهر كتب الأنساب المعتمدة في الـيمن ، و قـد اعتمدت على نسخة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء (المكتبة الغربيـة) و تحمـل رقم 235 مجاميع و نسخة مكتبة الأوقاف بالجامع الكبيـر بـصنعاء (المكتبـة الشرقية) و تحمل رقم 2212 في عشرين ورقة .

2- غرر الدرر في مختصر السير و أنساب البشر للقاضي جمال الدين محمـد بـن عبدالله الناشري (733 – 821 هـ) و اعتمدت على نسختين مصورتين لديه ، الأولى نسخة خطت سنة 1280 هـ و قد امدنا بها الأسـتاذ عبـدالباري طـاهر الأهدل نقيب الصحفيين و رئيس تحرير مجلة الحكمة ، و الأخرى مـن مكتبـة الأوقاف بالجامع الكبيـر (المكتبة الشرقية) خطـت سنة 1337 هـ و بـرقم 2156 .

3- تحفة الزمن بذكر سادات اليمن لبدر الدين الحسين بن عبدالرحمن الأهدل (779 – 855 هـ) وقد اعتمدت على نسخة خطية أمدنا بها الأستاذ الدكتور عبدالله بن قاسم الوشلي من مكتبة جده المؤرخ اسماعيل بن محمد الوشلي (1291- 1356 هـ) بالمنيرة – الزيدية ، و نسخة مكتبة الأوقاف بالجامع الكبير(المكتبة الشرقية) بصنعاء برقم 2143 .

4- أنساب المدهجن القرشي وهي لنسابة تهامة جمال الدين محمد بن علي بن أبي بكر المدهجن القرشي ، و لدي ثلاث نسخ مصورة و نادرة و هي نسخة اختصرها المؤرخ إبن الديبع (866 – 944 هـ) و نسخة القاضي الشهيد محمد بن علي العمراني (توفي في سنة 1264 هـ) و نسخة المؤرخ محمد بن عبدالجليل الغزي (توفي في سنة 1400 هـ) .

5- تاريخ المعلم وطيوط و هو مجموع في التاريخ و الأنساب ، و ينسب إلى مؤلف مجهول يدعى المعلم وطيوط و لدي منه صور لنسخها تتجاوز السبع وأفضلها نسخة مكتبة الأوقاف بالجامع الكبير(المكتبة الشرقية) برقم 173 تاريخ .

6- تحفة الدهر في أنساب الأشراف بني بحر و نسب من حققنا نسبه و سيرته من أهل العصر للمؤرخ السيد محمد بن الطاهر بن أبي القاسم البحر (توفي في سنة 1083 هـ) و لدي نسخ متعددة و أفضلها نسخة المؤرخ اسماعيل بن محمد الوشلي .

3- ضبط نطق الزرانيق .

أول من ضبط الاسم (زرنق) هو المؤرخ عفيف الدين عبدالله بن محمد بن أحمد بن خلف المطري المدني المتوفي سنة (765 هـ) في كتابه (ذيل طبقات الشافعية) بقوله فيه (زرنق أي بالزاي المضمومة ثم الراء ثم النون ثم القاف)[1] . وهكذا يظل اللفظ و النطق حتى يعيد المحدث الحافظ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالهادي قاطن المتوفي سنة (1199 هـ) ضبطه في (تحفة الإخوان) بقوله : (الزرانيق بزاي ثم راء مهملة و بعد

[1] المطري المدني ، عفيف الدين عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن خلف المطري المدني توفي سنة (765 هـ - 1363 م) ، ذيل طبقات الشافعية ، و هو ذيل على طبقات الشافعية لابن كثير ، مخطوط محفوظ بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 6448 ، أمد الباحث بصورة منه مؤرخ اليمن القاضي اسماعيل بن علي الأكوع .

الألف نون ثم تحتانية ثم قاف)[1] . و يضبط المرتضى الزبيدي توفي سنة (1200 هـ) زرنَقُ بفتح الزاي و سكون الراء و فتح النون و ضم القاف ، وولده زرنْوقُ بن زرنق بفتح الزاي و ضم الراء و سكون النون و ضم الواو و القاف [2] .

و اليوم ينطق زرنْوقُ بفتح الزاي مع سكون الراء و فتح النون و سكون الواو و ضم القاف .

4- صيغة الجمع للزرانيق

تجمع المصادر التاريخية والأدبية و التراث الشفوي على أن جمع زرنق هو الزرانيق و لم يشذ عن هذا الإجماع إلاّ العالم اللغوي الشهير السيد محمد مرتضى الزبيدي و الذي ذهب في موسوعته (تاج العروس) و كتابه (التكملة و الذيل و الصلة) على أن جمعهم زرانقة [3] .

---

1 – ابن قاطن ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدا لهادي بن صالح قاطن (1118 – 1199 هـ) ، تحفة الإخوان بنظم سند سيد ولد عدنان ، مخطوط بمكتبة الجامع الكبير – صنعاء (المكتبة الغربية) بخط المصنف برقم 8 تراجم ، و نسخة أخرى مصورة لدى الباحث .

2- الزبيدي ، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر سنة 1306هـ ، جـ2 صـ470، التكملة و الذيل و الصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة ، تحقيق مصطفى حجازي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – القاهرة طبعة (1408هـ - 1988م) الطبعة الأولى جـ5 صـ253 .

3- المصدر السابق

2- تحليل النسب

من خلال سرد النسب الذي ذكر سابقاً ، يتضح مجموعة من الحقائق مرتبطة ببعضها و يستطيع الملم بعلم الأنساب و التاريخ استبيانها وإدراكها وهي على النحو التالي :-

1- **عك** .

إن الجد الأعلى للزرانيق هو (عك) و هو الجد الجامع لقبائل تهامة من شمال وادي زبيد حتى مدينة جده ، و لأهمية هذه القبيلة (عك) وصنعها التاريخ العربي مع بقية القبائل ، فقد ورد ذكرها في الكتابات الكلاسيكية (اليونانية و الرومانية) و ذكرها الكتاب أمثال بطليموس و بليني .

فورد في جغرافيا بطليموس اسم عك باعتباره شعباً من الشعوب العربية الهامة و دعي بـ (Akkitai . Akkitae . Achitae . Acchitai) و ذكر مواطنها و هي نفس المواطن التي نسبها النساب و المؤرخون إلى عك [1] و التي ما زالت فروعها فيها ، و لهذا تكون إشارة بطليموس (90 – 168 م) إليهم أقدم إشارة إلى هذه القبيلة في الكتابات الكلاسيكية ، و تكون عك بذلك من القبائل المعروفة قبل الإسلام بزمن طويل يمتد حتى القرن السادس قبل الميلاد و لذلك يقول الدكتور جواد علي في موسوعته (المفصل) : (و هي و لا بد أن تكون عرفت قبل بطليموس و إلاّ لم يذكرها هذا الجغرافي في جغرافيته) [2] .

أما الكتابات و النقوش الجنوبية ، فقد ورد ذكرها مراراً و سميت بـ (عكم) [3] و لعبت دوراً لا يستهان به في شواطئ البحر الأحمر و تهامة و عرفت بالقبيلة التي تحارب و لا تهدأ لها ثائرة . و متمتعة باستقلالية و نظام قبلي حربي بحت .

أما كتب التاريخ العربي فقد ورد ذكرها فيها كثيراً و ما قامت به من حروب ضد الأزد و هزيمة الأزد على يد تلك القبيلة و تفرقها ومشاركتها في أيام العرب كيوم الخزازي[4] .

ولما جاء الإسلام كانت من أوائل القبائل التي أسلمت و قدمت مع أبي موسى الأشعري

1- جواد علي (دكتور) ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين – بيروت - الطبعة الأولى سنة 1967 م جـ1 ، صـ391 ، و علي أكبر فياض (دكتور) تاريخ الجزيرة العربية و الإسلام ، ترجمة عبدالوهاب علوب ، مركز النشر لجامعة القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة (1414هـ - 1993م) ، صـ49 .

2- المصدر السابق .

3- محمد عبدالقادر بافقيه (دكتور) تاريخ اليمن القديم ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، طبعة 1985 م ، صـ110-صـ128 ، و كتابه في العربية السعيدة ، مركز الدراسات و البحوث اليمني ، طبعة أولى 1987 م ، الجزء الأول صـ5-58 و صـ74-75 ، مطهر الارياني (دكتور) نقوش مسندية و تعليقات ، مركز الدراسات و البحوث اليمني . طبعة ثانية . 1990م صـ135 ، 151 ، 347 ، 371 ، 377 .

4- البكري ، أبي عبيد عبدالله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية – القاهرة ، الطبعة الأولى ، (1364هـ - 1945 م) ، جـ1 ، صـ55 .

و مع وفد غافق [1] ومن ثم أشتهر صحابة منها و تجاوزا العشرين و يكفي أن مهجع بن صالح العكي و الذي يجمع المؤرخون أنه أول شهيد في غزوة بدر كان منهم [2] .

و في فترة الفتوحات الإسلامية ، قاد عمرو بن العاص أربعة الاف رجل كلهم مـن عـك لفتح مصر [3] .

و حملوا راية الإسلام شرقاً و غرباً معلمين و دعاة و فاتحين ، ومن أشهر الفاتحين قائـد بلاط الشهداء عبدالرحمن الغافقي العكي [4] .

2- ذؤال .

إنّ في تسلسل نسب الزرانيق (ذؤال) ، و ذؤال ضبطه المؤرخ الجندي بقوله في كتابـه (السلوك في طبقات العلماء و الملوك) :- (وضبط ذؤال بضم الذال المعجمة و فـتح الواو ثم ألف ثم لام)[5]. فذؤال أرض جغرافية واسعة في تهامة ، فقد ذكر أبـو علـي الخزاعي في كتابه (وصايا الملوك) أنّ الأزد بعد تهدم السد(هبطوا تهامة على ذؤال)[6] ثم ذكر الجغرافي الشهير أحمد بن أبي يعقوب المعـروف بـاليعقوبي أن لـليمن أربعـة و ثمانون مخلافاً و منها (المعقر[7] و هي ذؤال) [8] ثم جاء أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ناقلاً ما أورده الخزاعي عن هبوط الأزد على ذؤال ، وذلك في كتابه صفة جزيرة العرب [9] و عدد فيه مدن و مواضع تتبع ذؤال،ومنها المعقر والقحمة [10]

1- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر – بيروت ، دون تاريخ طبع جـ1 ، صـ105 و جـ1، صـ352 .

2- القسطلاني ، شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الأولى 1993 م 1414هـ، جـ1، صـ443- 444 .

3- ابن عبدالحكم ، عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم بن اعين توفي(257هـ) فتوح مصر و المغرب ، القاهرة 1961 م ، ليدن 1920م ، صـ75- 76 .

4- ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى 1983م ، صـ328 .

5- الجندي ، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب السكسكي ت (732هـ) ، السلوك في طبقات العلماء و الملـوك ، تحقيق محمد علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد – صنعاء ، الطبعة الأولى 1414 هـ - 1993م ، جـ1 ، صـ344 ، في حين يرى عفيف الدين عبدالله بن اسعد اليافعي (توفي 768 هـ) في موسوعته (مرآة الجنان) أن ذؤال "بفتح الـذال المعجمـة " ، مـرآة الجنان ، و عبرة اليقظان ، في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، مطبعة دائرة المعارف النظامية بمدينة حيدر أباد – الـدكن ، الطبعة الأولى 1339هـ ، جـ4، صـ359.

6- الخزاعي ، أبو علي دعبل بن علي بن رزين الخزاعي (148 – 246 هـ) ، وصايا الملوك ، تحقيق د. نزار أباظـه ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى 1997 م صـ 133 .

7- المعقر عاصمة ذؤال حتى القرن الخامس الهجري فخفتت شهرتها و هي الآن مدينة مندثرة ببلاد الزرانيق و لهـا دور فـي حروب الردة و معقر مكسورة الميم و مشددة القاف ، و ينسب إليها مجموعة من الأعلام و منهم أبو الحسن أحمد بن جعفر البزاز المعقري شيخ الإمام مسلم صاحب الصحيح ، تاج العروس ، جـ13 صـ 113 ، طبعة دار إحياء التراث – بيروت .

8- اليعقوبي ، شمس الدين أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي (المتوفي سنة 284هـ) ، كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربـي – بيروت ، الطبعة الأولى 1408هـ - 1988 م صـ 80 .

9- الهمداني ، لسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (المتوفي سنة 350هـ) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد – صنعاء ، الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م ، صـ328 .

10- المصدر السابق صـ97 ، صـ133 ، صـ232 .
و القحمة ضبطها – أيضاً – الجندي فقال (بقاف مفتوحة بعد الألف و لام ثم حاء ساكنة ثم هاء) و كانت عاصمة ذؤال من القرن السادس حتى القرن الثامن الهجري ، وهو جبل قامت عليه و حوله المدينة و تقع شمال مدينة بيت الفقيه 15كم ، وهو مـن مـدن الزرانيق القديمة ، السلوك جـ1 صـ344 .

ثم ذكر في كتابه (الإكليل) في الجزء الثاني التأصيل اللغوي لذؤال و أنها قبيلة و مشتق أسمه من أسماء الذئب فقال (و ذؤال و ذؤاله بن شبوة بن ثوبان مخفف من عك ، وذؤاله من أسماء الذئب) [1] . وذكر المؤرخ و الأديب عمارة الحكمي في كتابه(المفيـد فـي أخبار زبيد) أن ذؤال وادٍ ، فقال (وادٍ يقال لـه ذؤال ، ورعيتـه عـك و الأشـاعر ، و عرضه يوم ، و طوله من الجبل إلى البحر يومان أو دونها ، و بينه و بين مدينة زبيـد يوم واحد) [2] ثم يذكر ياقوت الحموي أن (ذؤال وادي باليمن أم بلاده القحمة بليد شامي زبيد ، بينهما يوم ، و فشال بينهما)[3] و يورد الرحالة إبن المجاور في زيارته لتهامـة سنة 623هـ أن(القحمة .. و تسمى ذؤال ، و ذؤال كل ما هو بين البحرو الجبـل)[4] وذكر ذلك الجندي فقال (ذؤال هو أحد أودية اليمن المعدودة و مصره مدينة القحمة)[5] و ذؤال عند الحبيشي صاحب (الإعتبار) هو " مخلاف " [6] و في " نـور المعـارف " يورد " الأعمال الذؤاليه "[7] .

1- أبناء ذؤال .

إذا كانت المصادر تجمع على أن ذؤال هي الأرض ، و تنسب إلى ذؤال بن شبوة بن ثوبـان بن عبس بن سحارة بن غالب بن عبدالله بن عك ، فإن فروع ذؤال تعيش على تلـك الأرض و ما زالت فيها و تنسب القبائل عليها إلى ذؤال [8] و تتفق مـصادر الأنـساب التهاميـة أن لذؤال أربعة أبناء و منهم تتسلسل القبائل بتهامة وهم (مالك ، و صريف ، و كبير ، و زيد) [9]. إلاّ أن بعض مصادر الأنساب العربية تذكر أن له أكثر من ذلك ، فقـد ذكـر يـاقوت

1- الهمداني ، الإكليل ، تحقيق محمد علي الأكوع ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة الطبعة الأولى 1386 هـ - 1966م جـ2 صـ447 .

2- الحكمي ، نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي الحكمي ، تاريخ اليمن ، تحقيق هنري كاسل كاي ، ترجمة الدكتور حسن سليمان محمود ، مكتبة الإرشاد ، الطبعة الأولى 1425هـ - 2004م ، صـ133 .

3- الحموي ، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، معجم البلدان ، دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى ، بدون تاريخ الطبع ، جـ8 ، صـ3 .

4– ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن و مكة و بعض الحجاز ، و يسمى تاريخ المستبصر ، اعتنى بتصحيحها أوسكر لوففرين ، ليدن ، بريل ، الطبعة الأولى 1951 م ، صـ62 .

5- الجندي ، السلوك جـ1 صـ344 .

6- الحبيشي ، جمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الحبيشي توفي 813هـ ، الإعتبار في التواريخ و الأخبار ، و نشر بعنوان (تاريخ وصاب) بتحقيق عبدالله محمد الحبشي ، مركز الدراسات اليمنية – صنعاء ، الطبعة الأولى 1979م ، صـ180 .

7- مجهول ، نور المعارف في نظم و قوانين و أعراف اليمن في العهد المظفري الوارف ، تحقيق محمد عبدالرحيم جازم ، المعهد الفرنسي للأثار و العلوم الإجتماعية – صنعاء ، الطبعة الأولى 2005م ، جـ2 صـ7 .

8- إبن الديبع ، وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد بن عمر الديبع الشيباني ، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تحقيق الدكتور يوسف شلحد ، مركز الدراسات و البحوث اليمني – صنعاء ، دار العودة – بيروت ، الطبعة الأولى 1983م ، صـ34 .

9- الأشعري ، أبو الحجاج أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري توفي بين (550- 558 هـ) اللباب في علم الأنساب " مخطوط " و كتابه التعريف في الأنساب و التنويه لذوي الأحساب ، تحقيق د. سعد عبدالمقصود ظلام ، دار المنار – القاهرة ، الطبعة الأولى 1990م ، صـ131، و كتاب القاضي جمال الدين محمد بن عبدالله الناشري ت (821هـ) " غرر الدرر في مختصر السير و أنساب البشر " (مخطوط) ، و المعلم وطيوط (تاريخ المعلم وطيوط) " مخطوط " .

الحموي في كتابه المقتضب أن ذؤال ولد له (علياً ، و كعباً ، و عبدالله ، كبيراً ، و الحارث ، و مالكاً ، وزيداً ، و صريفاً) [1] في حين تذكر كتب التراجم و الحديث إبناً آخـر لـ ذؤال و هو عوف و أن من نسله الصحابي الجليل بشير بن جابر بن عراب بن عوف بـن ذؤالـه وولده محمد و كليهما وفدا على رسول الله [2] و شاركا في فتح مصر [3] .

2- فروع ذؤال .

وقد ذكر المؤرخون و النسابة فروعاً لذؤال و منها القبائل القاطنة بتهامة و بيوت علم شـهيرة رفدت الثقافة العربية بالعديد من أبناءها ، يقول المرتضى الزبيدي في (تاج العروس) " ذؤال قبيلة باليمن و بهم عرفت الناحية التي على نصف يومٍ من زبيد وهم بنو ذؤال بن شـبوة بـن ثوبان بن عبس بن سحارة بن غالب بن عك بن عدنان و منهم الفقهاء بنو عجيـل ...و فـي فشال [4] من أرض اليمن قوم يقال لهم بنو الذؤالي هم من بني صريف بن ذؤال بـن شـبوة و فيهم فقهاء و صلحاء ، و من بني مالك بن ذؤال بنو الصريدح، وقوم بنواحي لحج يعرفون ببني العواجي "[5] .

و كتب الأنساب التهامية – و هي كتب الأشعري و الناشري و المعلم و طيـوط والمـدهجن القرشي– المذكورة سابقاً تحدد الأربعة الأبناء لذؤال (مالك و صريف و كبير و زيـد) ثـم تذكر كلاً على حده و فروعه ، فمالك جد المالكيين و منهم الصرادحة و العـواجيين و بنـو الشرجي الأسرة العلمية المعروفة و أشهرهم المحدث الحافظ المؤرخ أحمد بـن أحمـد بـن عبداللطيف الشرجي و الزهيريين [6] .

و صريف بن ذؤال جد بني الأحنف و المكشكش و الذؤالي القضاة المعروفين و بنو الهتـار و المرزوقي و بنو أبي الباطل و الجعامنه و عباده و الغزالي[7] .

1- ياقوت الحموي (575 – 626 هـ) " المقتضب من جمهره النسب " تحقيق د. ناجي حسن ، الدار العربية للموسوعات – لبنان ، الطبعة الأولى سنة 1987 م ، صـ256 .

2- ابن ماكولا ، الأمير أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر ماكولا المتوفي (475 هـ - 1082م) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف و المختلف في الأسماء و الكنى و الأنساب ، اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه الشيخ عبدالرحمن بن يحي المعلمي اليماني ، الناشر محمد أمين دمج – بيروت ، دائرة المعارف العثمانية – الهند الطبعة الأولى 1962م ، جـ1، صـ281 ، جـ3 ، صـ391 .

3- العسقلاني ، الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى 1412 ه – 1992 م ، جـ1، صـ310، جـ6، صـ7، و أبي الفضل جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة) ، تحقيق خالد عبدالفتاح شبل أبو سليمان ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، الطبعة الأولى 1417هـ - 1997م ، صـ29، وصـ102 .

4- فشال إحدى المدن المندثرة في بلاد الزرانيق و تقع في الطرف اليماني و التي كانت تضم ثمانمائة قرية كما يقول ابن المجاور في صفة بلاد اليمن صـ63..

5- المرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، جـ7 ، صـ328 ، الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر سنة 1306هـ

6- المصادر السابقة .

7- المصادر السابقة .

و كبير بن ذؤال هو جد الرقابة و بني حميد و بنو حمزة و بنو موسى[1]

وزيد بن ذؤال هو الإبن الرابع و التي تنتسب إليه الزرانيق و تشترك مع القبائل القريبة منهـا في الانتساب إليه و هي :-

المجاملة و الكعبيين و المجامشة و المضارية و بنو أبي مسعود و بنو جنه و دحـان و بنـو أحمد و بنو عباس و العبوس و المفالحة و الجرادية و المحاشـفة و الكـواكرة و المرامحـة و الجزاره و المعانسه و المواسيه [2] ، أما أشهرهم فهم المعازبة .

3- المعازبة .

ومن خلال دراسة نسب الزرانيق تجد في تسلسل نسبهم معزب و هو معزب بن عبيـد بـن محمد الفارس بن زيد بن ذؤال ، فالمعازبة مشهورة بالثورات الدائمة خلال خمسة قرون مـن القرن السادس الهجري حتى القرن الحادي عشر الهجري ، لم تستكين و لم تهدأ حتى سـلمت راية (الثورية) إلى الزرانيق .

و المعازبة يضبط لفظها و كتابتها الإمام أبو محمد عبدالله بن أسعد اليـافعي المتـوفي سـنة (768هـ) في مرآة الجنان فيقول " المعازبة بـالعين المهملـة قبـل الألـف و بعـدها زاي موحدة قبل الهاء يسكنون قريباً من زبيد "[3]، أما بامخرمة فيقول :" و أما المعزبي : بإهمال العين و إعجام الزاي ، فنسبة إلى المعازبة ، طائفة كبيرة بقـرى زبيـد مـنهم : شـجعان ، و علماء و زهاد و لا يزالون يخرجون على السلطان "[4] ، و تتميز المعازبـة بالـشجاعة و الصمود و بأنهم يمثلون رعباً مقلقاً للأنظمة التي حكمت تهامة ابتداء بالأيوبيين [5] مـروراً بالرسوليين و الذين لم يستقر ملوكهم على كراسي الملك بسببهم و الطـاهريين و الجراكـسة المماليك و الأئمة الشيعة الزيود و انتهاء بالعثمانيين في الحكم الأول لليمن ، فلم تستكين و لم تستسلم هذه القبيلة أو تخلد للإستقرار ، و من أوائل الكتب التي ذكرتهم :- السمط الغالي الثمن [6]

1- المصادر السابقة .
2- المصادر السابقة .
3- اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ4 صـ214 .
4- بامخرمة ، جمال الدين عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة المتوفي سنة 947هـ -1540 م ، النسبة إلى المواضع و البلدان ، مركز الوثائق و البحوث – أبو ظبي ، الطبعة الأولى 1425هـ - 2004م ، جـ1، صـ536 .
5 – ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، صـ62 .
6- اليامي ، الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي ، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق ركس شمث ، جامعة كمبردج – لندن ، الطبعة الأولى 1974م ، صـ224- 225 .

و السلوك[1] و بهجة الزمن [2] و العسجد المسبوك و العقود اللؤلؤية [3] و تاريخ الدولـة الرسولية [4] و الفضل المزيد [5] و قرة العيون في أخبـار الـيمن الميمـون [6] و روضة الأخبار [7] و تاريخ المعلم وطيوط [8] و تحفة الدهر[9] .

فكل ما ذكر سابقاً من مصادر هي مصادر أساسية لتاريخ اليمن في العصور الوسطى و كلها لم تخلو من ذكر المعازبة كقبيلة ثائرة و متمردة .

4- بيت الأكيد .

ومن خلال نسب الزرانيق ، يجد الباحث في سلسلة نسبهم ، حامد بن معزب ، و هو ما يعرفه المؤرخون ببيت الأكيد ، إذ يقول الأهدل ناقلاً عن الجندي " وهم فخذ من المعازبة يقـال لـه بيت الأكيد بيت رئاسة و شرف كذا ذكر الجندي [10] . و يقول محمد بن الطاهر البحر فـي تحفة الدهر عن بني عجيل (و نسبهم يرجع إلى الزرانيق من بيت الأكيـد مـن عـك بـن عدنان)[11] و هو ما اعتمدته كتب الأسانيد و المسلسلات و الإثبات و اعتمده فقهاء تهامـة و طلاب العلم حتى الآن ، يقول العلامة أحمد بن محمد قاطن (1118-1199 هـ ـ) فـي " تحفة الإخوان " متحدثاً عن بني عجيل " نسبهم في الزرانيق ....قبيلة مشهورة من بيت الأكيد أحد بيوت عك بن عدنان القبيلة المعروفة بتهامة "[12] ، فهذا البيت " بيت الأكيد " تميز بنفس

1- الجندي ، السلوك في طبقات العلماء و الملوك ، تحقيق محمد علي الأكوع ، المجلد الثاني طبعته وزارة الإعلام و الثقافة ، ج. ع. ي. ، الطبعة الأولى 1409هـ - 1989 م ، جـ2 ، صـ583، 588 ، 589 ، 598 ، 606 .

2- ابن عبدالمجيد ، تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد القرشي المتوفي سنة (743هـ) ، بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيـق عبدالله محمد الحبشي و محمد أحمد السنباني ، دار الحكمة اليمانية – صنعاء ، الطبعة الأولى 1408هـ - 1988 م ، صـ205 .

3- الخزرجي ، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر الخزرجي توفي سنة (812 هـ) ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد بسيوني عسل ، ليدن ، بريل، الطبعة الأولى 1913م ، وقد ورد في ذكر المعازبـة فـي اثنـين و خمسين موضعاً في الجزأين ، و كتابه الثاني هو ذيل للأول وهو " العسجد المسبوك و الزبرجد المحكوك فيمن ولـي الـيمن مـن الملوك و هو مخطوط.

4- مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، مطبعة الكاتب العربي – دمشق ، الطبعة الأولى 1405هـ - 1984 م ذكرهم في مواضع كثيرة .

5- ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ذكرهم في 28 موضعاً .

6- ابن الديبع ، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون " مخطوط " ، لدى الباحث

7- ابن الأنف ، عماد الدين ادريس بن الحسين بن عبدالله بن علي الأنف القرشي توفي سنة(872هـ)، روضة الأخبار و نزهـة الأسمار في حوادث اليمن الكبار و الحصون و الأمصار ، تحقيق محمد علي الأكوع ، منشورات الهيئة العامة اليمنيـة للكتـاب ، الطبعة الأولى 1995م ، صـ26، 57 .

8- وطيوط ، تاريخ المعلم وطيوط ، " مخطوط " .

9- البحر ، تحفة الدهر في أنساب بني البحر ، " مخطوط " .

10- الأهدل ، أبو عبدالله الحسين بن عبدالرحمن الأهدل توفي سنة(855هـ)، تحفة الزمن في سادات الـيمن ، " مخطـوط " ، نسخة المؤرخ اسماعيل بن محمد الوشلي ، و نسخة الخزانة المتوكلية بالجامع الكبير بصنعاء " مكتبة الأوقاف الـشرقية " بـرقم 2143 ، صـ204

11- البحر ، محمد بن الطاهر البحر المتوفي سنة(1083هـ) ، تحفة الدهر في نسب الأشراف بني البحر و نسب من حققنا نسبه و سيرته من أهل العصر ، " مخطوط "

12- ابن قاطن ، شهاب الدين احمد بن محمد بن عبدالهادي بن صالح بن قاطن ، تحفة الإخوان بنظم سـند سـيد ولـد عـدنان ، " مخطوط "

صفات المعازبة و هي " الثورية " وقد قاومت كل غـزوات الرسـوليين و الطـاهريين [1] و المماليك الشراكسة و العثمانيين [2] و صمدت أمامهم .

5- بني محمد .

ومن خلال النسب – أيضاً – يجد الباحث اسماً آخر كان له صدى أيام الرسوليين و هذا الاسم هو بني محمّد – بضم الميم الأولى و تشديد الميم الثانية – و الذي مازال يشكل قبيلاً قوياً مع المعازبة حتى يومنا هذا .

و بني محمّد ينتسبون إلى محمّد الكبير بن حامد بن معزب و لهم صولات ضـد الرسـوليين و المماليك الشراكسة و العثمانيين[3] .

فيتضح من خلال التحليل السابق و الاستقراء التاريخي و الدراسة البحثية لمكونات التسلـسل الانتسابي للزرانيق ، أنها تضم في نسبها تاريخاً متكاملاً تحتويه مصادر تاريخ اليمن وأن هذا التاريخ ما هو إلاّ تجسيد للتاريخ الحديث و المعاصر و أنها لعبت دوراً مهماً في التـاريخ اليمني و كان له الأثر في انهيار الأنظمة الظالمة و المحتلة ، و أن هذه القبائل بدءاً بـ" عك " و انتهاءاً بالزرانيق تميزت بالثورية و هي ثورية متمردة دائماً لا تعرف الاستقرار و الركون إلى الهدوء فهي طبيعة سيكلوجية بدوية غرست في قلوب تلك القبائل و زادتها تهامة حـرارة فكانت كنار بروميثيوس الأسطورية . و لكن ذلك التحليل ليس دائماً صائباً ، فقد أخرجت هذه القبائل نماذج من البيوت العلمية و الحضارية و رفدت التصوف بأولياء و صـالحين ، و الثقافة و الفكر بمفكرين و شعراء و مبدعين ، كما كانت – سابقاً- العمـود الأساسـي لنـشر الإسلام بتهامة و ردم حركة الردة و إمداد المسلمين بفاتحين ومعلمين و دعاه .

1- مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، صـ88 ، 90، 125 ، 169، 215 . الفضل المزيد لابن الديبع ، صـ145، و قرة العيون في أخبار اليمن الميمون " مخطوط " .

2- البحر ، محمد بن الطاهر البحر ، تحفة الدهر ، " مخطوط ".

3- المصدر السابق .

الفصـــــل الثـــــاني

فروع الزرانيق

1- أبناء زرنق و فروعه حتى القرن التاسع الهجري .

2- فروع الزرانيق في التاريخ الحديث و المعاصر .

1- أبناء زرنق و فروعه حتى القرن التاسع الهجري

1- أبناء زرنق .

تذكر كتب الأنساب أن زرنق أنجب و لدين هما :- حامد ، و الزرنوق ، و منهما تناسل ولـد زرنق حتى سميوا بالزرانيق ، فكل من ينتسب إلى زرنق بن وليد صراحة ، يقول بانتـسابه إلى أحد ولديه المذكورين .

و يعد النسابة القاضي جمال الدين محمد بن عبدالله الناشري ممن تابع تسلسل أولاد زرنـق ، و في كتابه " غرر الدرر" يقول أن : " وليداً أولد :- زرنق – أبـو الزرانيـق – ووقبـان ، و أولاد زرنق :- حامد ، و الزرنوق ، فالزرنوق أولاد :-علي بن ابراهيم بن الوليد بن خلـف بن شجيب بن احمد بن الزرنوق ، و أما حامد بن الزرنوق فأولاد :- محمداً ، و أولاد :- محمد عمر و هو المسمى عجيل و منه الفقهاء بنو عجيل "[1] .

و نفس العبارة السابق يوردها المعلم وطيوط في تاريخه [2] ، أما المرتضى الزبيدي فيقـول (زرنق كجعفر : وهو زرنق بن وليد بن زكريا بن محمّد بن حامد[3] بون معزب [4] بطن من المعازبة باليمن ، و هم الزرانقة ...ووالده زرنوق بن زرنق له عقب باليمن) [5] .

---

[1] - الناشري ، جمال الدين محمد بن عبدالله الناشري (733 – 821هـ) ، غرر الدرر في مختصر السير و أنساب البشر ، مخطوط.

2- وطيوط ، تاريخ المعلم وطيوط ، مخطوط .

3- في " تاج العروس " ، و" التكملة " المطبوعان " عابد " و هو خطأ مطبعي .

4- أيضاً فيهما " مضرب " وهو خطأ مطبعي .

5- المرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، جـ2، صـ470، والتكملة و الذيل و الصلة جـ5، صـ253 .

2- **فروع الزرانيق حتى القرن التاسع الهجري .**

وجد للزرانيق فروع كان لها دورٌ في التاريخ ، وذكرت كتب التاريخ و الانساب فروعـاً للزرانيق و منها ما أورده المعلم وطيوط في تاريخه نقلاً عن رسالة في الأنساب للفقيه النسابة محمد بن موسى بن أحمد بن موسى العجيل وهي :- (و محمد – يقصد محمد بن حامد بـن معزب – أولاده الزرانيق و منهم :- بنو غانم أهل الزيدية ، بنو عجيل ، بنو الأكسع ، و بنو جميل " جد المجاملة " و بنو يحي ، و المشاخرة ، و بنو الخزمي ، و بنو كويز) [1] و مـن فروعهم بنو غليس جد المغالسة ، يقول الناشري في " غرر الدرر" و عنه تنقل بقية المصادر (ومن الزرانيق بنو غليس و قرابتهم صوفية الزيدية بذؤال ، ووجدت بخط أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن موسى بن عجيل رحمهم الله تعالى و نفع بهم و بعلومهم آمين ، قال سمعت والدي رحمه الله تعالى ، يتحدث مع بعض الناس ، و قد ذكر أهل الزيدية الـصوفية ، فقـال : هـم أقرب بيت من بيوت المعازبة إلينا و هم من الزرانيق)[2] . و هناك فروع للزرانيق ذكـرت في كتب التاريخ مثل المرامحة [3] و بنو الخزيمي [4] ، و توجد بعض الفـروع و التـي خرجت منها فروع أخرى و بيوت متعددة مثل بنو العجيل و الذين خرج مـنهم المـشارعة و جدهم محمد بن موسى بن علي بن عمر العجيل [5] .

1- وطيوط ، تاريخ المعلم وطيوط ، " مخطوط "

2- الناشري ، القاضي جمال الدين محمد بن عبدالله الناشري ، غرر الدرر " مخطوط " ، وطيوط ، تاريخ المعلم وطيوط ، مخطوط ، تاج العروس للمرتضى الزبيدي جـ2، صـ470 .

3- مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية صـ89 .

4- المصدر السابق صـ92 .

5- الجندي ، السلوك ، جـ1صـ408، غرر الدرر للناشري " مخطوط " ، تحفة الزمن للأهدل " مخطوط " ، تاريخ المعلم وطيوط " مخطوط " ، تاج العروس للمرتضى الزبيدي جـ21 صـ270 " طبعة دار إحياء التراث " .

2- فروع الزرانيق في التاريخ الحديث و المعاصر

تتكون الزرانيق من فروع تتجاوز المئة والعشرين فرعاً ، و قد اعتمدت في ذكر هذه الفروع على ما يلي :-

1- مشائخ القبيلة و الشخصيات الوجاهية بها .

2- المعمرين الحفاظ من هذه القبيلة .

3- الفقهاء و المتعلمين و غالباً من طبقة السادة[1] .

و هذه الفروع هي على النحو التالي مع ذكر النسبة :-

1- المعاريف . و النسبة إليه معروف ، و هم مشائخ الطرف الشامي (الشمالي) .

2- الفواشق . و النسبة إليه فاشق ، و هم مشائخ الطرف اليماني (الجنوبي) .

3- القباصية . و النسبة إليه قبيصي .

4- المغالسة . و النسبة إليه مغلسي .

5- الغوادر . و النسبة إليه غودري .

6- القعابيل . و النسبة إليه قعيبل .

7- المشايخ . و النسبة إليه مشيخي .

8- السوافر . و النسبة إليه مسافر .

9- المشارمه . و النسبة إليه الأشرم وشريم .

10- الكلافيد . و النسبة إليه كلفود .

11- الدرانية . و النسبة إليه درين .

12- البهادرة . و النسبة إليه بهيدر .

13- الجنادية . و النسبة إليه جنيد .

14- الكراعمه . و النسبة إليه كرعمي .

15- السهالية . و النسبة إليه سهيل .

16- المشعافله . و النسبة إليه مشعفل .

17- الدراوشه . و النسبة إليه درويش .

18- العنازية . و النسبة إليه عنيزة .

19- القوابع . و النسبة إليه قوبع .

[1] - تم ذكر اسماء كل من شارك و ساهم بالمعلومات وا ستفاد منهم الباحث في آخر البحث .

20- الغناميه . و النسبة إليه غنيمه .

21- الهتاريه . و النسبة إليه هتار .

22- المشاهير . و النسبة إليه مشهور .

23- كنيده . و النسبة إليه كنيد.

24- بني ذياب . و النسبة إليه ذياب .

25- الكشابيع . و النسبة إليه كشويع .

26- المرايبه . و النسبة إليه مريبي و كذلك ريب .

27- المسايفة . و النسبة إليه سيف .

28- المعاوصه . و النسبة إليه معوصي .

29- المجاهصة . و النسبة إليه جهيص و كذلك مجهصي .

30- الكواكرة . و النسبة إليه كوكري .

31- الزوارقة . و النسبة إليه زورقي .

32- بني شجاب . و النسبة إليه شجيبه " بتشديد الجيم " و كذلك شجاب .

33- الجرادية . و النسبة إليه جرادي و كذلك جراد .

34- المحابيب . و النسبة إليه محبوب .

35- الكديشة . و النسبة إليه كداش بتشديد الدال .

36- المكاكيه . و النسبة إليه مكي .

37- الخراصنه . و النسبة إليه خريصان .

38- الرماحيه . و النسبة إليه مرمحي .

39- التماميه . و النسبة إليه تمام .

40- المرايره . و النسبة إليه مرير .

41- بني الجمال . و النسبة إليه جمال .

42- الحسامية . و النسبة إليه حسام .

43- الفراديه . و النسبه إليه فريد .

44- المواهيب . و النسبة إليه وهيب .

45- الكشانيه . و النسبة إليه كشنه .

46- الشكاليه . و النسبة إليه شكله " بفتح الكاف " .

47- الدواسر . و النسبة إليه دوسري .

48- المرادفة . و النسبة إليه مردفي .

49- الخضارية . و النسبة إليه خضري .

50- الدراسيه . و النسبة إليه درسي .

51- التمانية . و النسبة إليه تمن .

52- المكارمه . و النسبة إليه مكرمي .

53- البكارية و النسبة إليه مبكري .

54- الجرابيه . و النسبة إليه جرب " بكسر الجيم و تسكين الراء و كذلك جروب " .

55- المزاهره . و النسبة إليه مزهري .

56- الثوابت . و النسبة إليه ثابت .

57- الشعارية . و النسبة إليه شعار " بتشديد العين " .

58- الدلاشا . و النسبة إليه دليش .

59- الماهوب . و النسبة إليه ماهوب .

60- المعابدة . و النسبة إليه عبيد .

61- المرامحة . و النسبة إليه رميح .

62- الهباليه . و النسبة إليه هبل .

63- النهارية . و النسبة إليه نهاري .

64- العباقية . و النسبة إليه عباقي .

65- الدهاليه . و النسبة إليه دهيل و كذلك دهل .

66- الكعابيه . و النسبة إليه كعبي .

67- عبيرة . و النسبة إليه عبار .

68- الزعاورة . و النسبة إليه زعوري .

69- المجادره . و النسبة إليه جادري .

70- الدراحمه . و النسبة إليه عبدالرحمن وكذلك درحمان .

71- الجباريه . و النسبة إليه جابر .

72- العثامنه . و النسبة إليه عثماني .

73- الطواليه . و النسبة إليه طويل .

74- الطواهر . و النسبة إليه طاهر .

75- الطنانه . و النسبة إليه طنان وطنين .

76- المحامده . و النسبة إليه محمّد .

77- الهواشم . و النسبة إليه هاشم .

78- المصالحة . و النسبة إليه مصلح .

79- المناورة . و النسبة إليه منوري .

80- المخافسة . و النسبة إليه مخفس " بفتح الخاء و تشديد الفاء " .

81- الهداريه . و النسبة إليه هداري .

82- القحاسنه . و النسبة إليه مقحش .

83- العجاليه . و النسبة إليه عجيل .

84- العمارى . و النسبة إليه عمري .

85- المصانجه . و النسبة إليه الأصنج و كذلك المصنجي .

86- المواسية . و النسبة إليه موسى وهم من العجالية .

87- السوالمه . و النسبة إليه سالم .

88- القطانية . و النسبة إليه قطن .

89- الشواذل . و النسبةإليه شاذلي .

90- الزلالية . و النسبة إليه زليل .

91- الغوانم . و النسبة إليه غانم .

92- المقابيل . و النسبة إليه مقبول .

93- الدحافيه . و النسبة إليه دحفي .

94- العراجشه . و النسبة إليه عرجاش .

95- المهادلة . و النسبة إليه مهدلي .

96- الجرابيح . و انسبة إليه جربوح .

97- الجماعيه . و النسبة إليه جماعي .

98- الصرادحة . و النسبة إليه صردحي .

99- الحشابره . و النسبة إليه حشيبري .

100- الحكاميه . و النسبة إليه حكيمة .

101- الجعامنه . و النسبة إليه جعماني .

102- السعاديه . و النسبة إليه سعيدي .

103- المهايسه . و النسبة إليه مهيس .

104- المجاملة . و النسبة إليه مجملي .

105- الهداره . و النسبة إليه هداري .

106- الجوابر . و النسبة إليه جابري وكذلك جوبري .

107- المدانيه . و النسبة إليه مدني بضم الميم .

108- البصابص . والنسبة إليه بصبوص .

109- الحجارية . و النسبة إليه حجر .

110- الحناشية . والنسبة إليه حنيش .

111- التكارير . والنسبة إليه تكروري .

112- الرباعيه . والنسبة إليه ربعي .

113- الدحاوية . والنسبة إليه دحيه .

114- المشارفة . والنسبة إليه مشرفي .

115- الكرد . والنسبة إليه الكرد .

116- المحادبة . والنسبة إليه محدبي .

117- المعافا . والنسبة إليه معافا .

118- الزنابحة . و النسبة إليه زنبح " بضم الزاي " .

119- المعازبة . و النسبة إليه معزبي " وقد ذكر سابقاً و له مشيخ و فروع مستقلة " .

120- بني محمد . و النسبة إليه محمد " وقد ذكر سابقاً و له مشيخ و فروع مستقلة " .

الفصـــــل الثــــالث

النطاق الجغرافي للزرانيق

1- موقع الزرانيق .

2- الحدود القبلية للزرانيق .

3- بيت الفقيه .

4- مراكز تجمع الزرانيق .

5- شواطئ الزرانيق وجزرهم .

1- موقع الزرانيق .

يقع النطاق الجغرافي للزرانيق في تهامة ، و يقطنون في قلب تهامة الجنوبية (تهامة اليمن) ، و هم يمتدون من شمال وادي زبيد حتى جنوب وادي سهام بشكل متـوازي ، و يحـادون الجبال شرقاً و يطلون على البحر الأحمر غرباً .

و تنساق أغلب المصادر التاريخية مع الواقع الجغرافي للزرانيـق ، فهـي تجمـع أن بـلاد الزرانيق تقع ما بين الحديدة شمالاً و زبيد جنوباً و الجبال شرقاً والبحرغرباً .

يقول تقرير إستخباري بريطاني (الزرانيق ...تقع منطقتهم بين الحديدة و زبيـد)[1] و فـي تقرير آخر للمقيم البريطاني في عدن يذكر (قبائل الزرانيق الذين يسكنون الساحل الجنـوبي للحديدة)[2] و يذكر الضابط الإنجليزي هارولد جاكوب أن (رجال قبيلة الزرانيـق ...تقـع مساكنهم إلى الجنوب من الحديدة)[3] ، و حين زار الأديـب و المفكـر الإمريكـي أمـين الريحاني العربي الأصل و بصفة إستخبارتية بيت الفقيه ذكر أن بلاد الزرانيق تقع (في سفح جبل اليمن بين الحديدة و زبيد في طرف تهامة الجنوبية)[4] . و هـذا مـا أورده الرحالـة العربي نزيه مؤيد العظم في رحلته فقال (تقطن قبيلة الزرانيق في تهامة مـا بـين الحديـدة و زبيد)[5]و يذكر عبد الواسع بن يحي الواسعي (ان هذه القبيلة نازلة في تهامة بين الحديدة و زبيد)[6] . و عبارة الواسعي ينقلها الأب انستاس الكرملي في تحقيقـه لكتـاب العرشـي المعنون بـ(بلوغ المرام) فقال (ان هذه القبيلة نازلة في تهامة بين الحديـدة و زبيـد)[7] و يذكر المؤرخ أمين سعيد في كتابه (ملوك المسلمين) أن (قبيلة الزرانيق و هي قبيلة قوية تقطن في المنطقة الواقعة بين الحديدة و باجل)[8]و هذا خطأ واضح و مثله ما ذكره الدكتور محمد جعفر في بحثه (تهامة اليمن) من أن بلاد الزرانيق " تمتـد مـواطنهم مـن شـمال

---

1 - Ingrams. Doreen and Leila ., Records of Yemen , V.5.Adminstrative state of the Yemen 1900 – 1904. U.K., archive Editions, The Arabia Historical Library, 1996, P.351 .

2- بولادري ، جون ، العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي ، 1914 – 1919 م ، ترجمة د. سيد مصطفى سالم ، المطبعة الفنية – مصر – الطبعة الأولى 1982 م ، صـ41 .

3- جاكوب ، هارولد ف. ، ملوك شبه الجزيرة العربية ، ترجمة أحمد المضواحي ، مركز الدراسات و البحوث اليمني – صنعاء ، دار العودة – بيروت ، الطبعة الثانية 1988 م ، صـ81 ، 82 و صـ223 .

4- الريحاني ، امين . ملوك العرب ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر – بيروت ، الطبعة الثانية 1986م ، جـ1، صـ275

5 - العظم ، نزيه مؤيد ، رحلة في بلاد العربية السعيدة ، مؤسسة فادي برس – لندن ، الطبعة الثانية 1405هـ - 1985م ، صـ66 .

6- الواسعي ، عبدالواسع يحي ، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم و الحزن في حوادث و تاريخ اليمن ، مكتبة اليمن الكبرى – صنعاء ، الطبعة الثانية 1991م ، صـ87 .

7- العرشي ، القاضي حسين بن احمد العرشي ، بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك و إمام ، عني بنشره الأب انستاس ماري الكرملي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، صـ190 .

8- سعيد ، أمين محمد ، ملوك المسلمين المعاصرين و دولهم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة –الطبعة الأولى 1933م ، صـ192 .

بيت الفقه " يقصد بيت الفقيه " حتى الحدود اليمنية جنوباً "[1] وهو بذلك يتجاوز قبائل و مدن معروفة .

ومن الأخطاء في تحديد موقع الزرانيق ما ذكرته الباحثة السوفيتية ايلينا جولوبوفسكايا في كتابها (ثورة 26 سبتمبر) نقلاً عن هانزهولفريتز و الذي يحدد أن (بلاد الزرانيق الواقعة في جنوب بيت الفقيه)[2] و قد رجعت إلى كتاب هولفريتر و المترجم إلى العربية بعنوان (اليمن من الباب الخلفي) فوجد أنه يذكر أن بلاد الزرانيق (تمتد ...على طول الساحل إلى بيت الفقيه و زبيد)[3]دون ذكر الحديدة .

و سجل الدبلوماسي السوفييتي ج.انكارين أن الزرانيق تقع بلادهم جنوب تهامة و في موضع آخر يذكر المكان قائلاً " و الزرانيق قبيلة تقع على مسافة خمسة عشر أو عشرين كيلو متراً إلى الجنوب من الحديدة "[4] و في رحلته إلى تهامة يذكر الرحالة الإيطالي الكاتب سلفاتور ابونتي في كتابه " مملكة الإمام يحي " (أن بلاد الزرانيق تقع في السهل الممتد بين زبيد و الحديدة)[5] .

---

1 - جعفر ، محمد حلمي محمد " دكتور " ، تهامة اليمن ، الدراسات الخاصة ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم – معهد البحوث و الدراسات العربية التابعة لجامعة الدول العربية – مصر – 1976 م ، صـ66 .

2- جولوبوفسكايا ، ايلينا ، ثورة 26 سبتمبر في اليمن ، ترجمة د. قائد محمد طربوش ، مراجعة حسن عزعزي ، دار ابن خلدون – بيروت – الطبعة الأولى 1982 م . ، صـ 26

3- هولفريتز ، هانز ، اليمن من الباب الخلفي ، تعريب خيري حماد ، المكتبة اليمنية للنشر و التوزيع – صنعاء ، الطبعة الثالثة ، 1985م ، صـ179 .

4- ج . انكارين ، مذكرات دبلوماسي في اليمن ، ترجمة د. محمد قائد طربوش و محمد اسماعيل سليمان ، مكتبة مدبولي – مصر ، الطبعة الأولى 1993 م صـ61 ، 73 .

5- ابونتي ، سلفاتور ، مملكة الإمام يحي رحلة في بلاد العربية السعيدة ، ترجمة طه فوزي ، مطبعة السعادة – مصر ، الطبعة الأولى 1366هـ -1947 م ، صـ26 .

2- الحدود القبلية للزرانيق .

تحد الزرانيق كيانات قبلية ، مرتبطة معها – في الأغلب – بالإنتساب إلى جد واحد و هنـاك روابط الأرض و المصاهرة و العادات و التقاليد ...، وهذه الكيانات تكـوّن – فـي فتـرات الحروب – الخط الدفاعي الأول للزرانيق ، فتقف صفاً واحداً كالجدار الفولاذي ضد المعتدين لذاك نجد المعتدين على الزرانيق يبدأون بمحاولات ، إمّا لضرب هذه الكيانات القبلية و سحقها بسرعة أو استمالة هذه القبائل بوسائل متعددة إلى جانبهم ، و لهذا إذا دقق الباحث في الأسباب التي تؤدي إلى هزيمة الزرانيق سيجد منها تراخي أو تعاون هذه الكيانات القبليـة المحـاددة للزرانيق مع المعتدين مما يفسح لهم مجال الأرض فقط ، وقد كانت هـذه الكيانـات القبليـة متحاربة مع بعضها البعض بشكل دائم حتى في التاريخ الحديث [1] و المعاصر [2] .

و يحدد الاستاذ عبدالرحمن الحضرمي توفي سنة (1993 م) في مقال لـه بمجلـة الحكمـة بعنوان " الزرانيق و دورهم في التاريخ " حدود الزرانيق بقوله (يحدها من الـشمال قبيلـة القحرة العكية ، و جنوباً قبيلة الأشاعرة و غرباً البحر الأحمر و شرقاً جبال ريمة)[3] و هو في ذلك يتكأ على التاريخ لقضاء بيت الفقيه في العهد العثماني و التي اسـتمر العمـل بهـذا التقسيم الإداري على ذلك حتى العهد الجمهوري .

و يضع الاستاذ محمد سالم شجاب الحدود القبلية للزرانيق بناء علـى معايـشته لـذلك فـي الثمانينات من القرن العشرين الميلادي فيقول في مقال له بمجلة اليمن الجديد بعنوان (قبيلـة الزرانيق و حركتهم التاريخية) ما يلي " قبيلة الزرانيق تقع في تهامة يحاذيها من الشرق جبال ريمة ، ومن الغرب البحر الأحمر و من الجنوب بادية زبيد ، ومن الـشمال الـشرقي قبيلـة الوعارية و قبيلة المجاملة التي تتبع الزرانيق إدارياً في الوقت الحـالي [4] و مـن الـشمال الغربي بعض قبيلة المناصرة و بعض قبيلة الوعارية ثم بادية الدريهمي علـى امتـداد وادي رمال غرباً حتى البحر الأحمر "[5] .

---

[1] - البحر ، محمد بن الطاهر ، تحفة الدهر ، " مخطوط " .
2- لقاءات الباحث مع المعمرين و كبار السن أمثال علي جربوح و يحي جزاز و سعد حكيمة .
3- الحضرمي ، عبدالرحمن عبدالله ، الزرانيق و دورهم في التاريخ ، مجلة الحكمة العدد 110 السنة الثالثة عشر 1984م .
4- من المعروف أن المجاملة - كما ذكرت المصادر – فخذ من الزرانيق .
5- شجاب ، محمد سالم ، قبيلة الزرانيق و حركتهم التاريخية، مجلة اليمن الجديد ، صنعاء ، وزارة الإعلام و الثقافة ، س 16 ، ع 12 (ربيع الثاني 1408 هـ - ديسمبر 1987 م) صـ42 .

و الحقيقة ان التحديد القبلي يجب أن يخضع للزمان الذي يدور حوله البحـث و هـو العهـد العثماني الثاني (1872 – 1918 م) و هنا يخضع التحديد لمعيار آخر :- هـل المقـصود القبيلة فقط ؟ أم يقصد القضاء " بيت الفقيه " ؟ .

و القبائل التي تحادد الزرانيق كانت في تلك الفترة تعد عزلاً منضوية تحت اسم الزرانيـق ، فتكوينها القبلي صغير و هش و يكاد أن يكون منصهراً و مندمجاً بالكامل في اتحاد الزرانيـق رغم أن لها تكويناً مشيخياً و شعوراً انتمائياً لهذا الكيان و لكنها في نفس الوقت ترفض التمايز بينها و بين الزرانيق – كما أوضح المشائخ و المعمرين لتلك الكيانات للباحـث [1] – وهـم يتحدون في الشدائد و المصائب و الحروب .

و قد توصلت إلى الحدود القبلية بناء على مسحه الميداني للمنطقة وهي على النحو التالي :-

1- الشمال :- و حدودها :-

* الشمال الشرقي :- قبيلة الوعارية .
* الشمال :- قبيلة المناصرة و قبيلة المساعيد .
* الشمال الغربي :- قبيلة الجحبة و قبيلة المنافرة .

2- الغرب :- البحر الأحمر .

3- الجنوب :- و حدودها :-

* الجنوب الشرقي :- بادية زبيد .
* الجنوب و الجنوب الغربي :- قبيلة القراشية .

4- الشرق :- المرتفعات الجبلية " جبال ريمة ووصاب " .

و كل هذه القبائل تهامية و كلها تنتمي إلى جد واحد و هو ذؤال بن عك عدا القراشية [2] .

3- بيت الفقيه .

---

1 - ألحق الباحث اسماء المشائخ و المعمرين في آخر الكتاب .

2- قبيلة القراشية أو قريش و هم ينتسبون إلى بني أمية من ذرية الصحابي خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أخي عتاب بن أسيد الصحابي الجليل و قد تصاهروا و اندمجوا مع الزرانيق و لهم مشيخهم الخاص بهم ، راجع الناشري في (غرر الدرر) ، و المعلم وطيـوط فـي (تـاريخ المعلـم وطيـوط) ، و المـدهجن القرشـي (رسـائل الأنـساب) ، (تحفة الدهر) للبحر " مخطوط " .

1- عاصمة الزرانيق (بيت الفقيه) .

تعد مدينة بيت الفقيه " أجمل مدينة في تهامة "[1] و تقع في وسط تهامة الجنوبية [2] و بين دائرتي عرض 30¯ و 14° شمالاً و خطي طول 16¯ و 43° شرقاً [3] و تقع على تل مرتفع و هواؤها أجود ما في مدن تهامة [4] و تعلو عن سطح البحر بـ165 متراً [5] .

و تنسب المدينة إلى الفقيه أحمد بن موسى بن علي بن عمر العجيل (608-690 هـ / 1211-1291م) [6] . و قد مرت بعدة مسميات و هي :-

1- غسانه ، نسبة إلى بئر ومنها اشتق ملوك الشام تسميتهم بالغساسنه ، وقد أدليت برأي في دراسة نشرت في صحيفة " الجمهورية الثقافية "[7] بعنوان(غسانه و ابن بطوطه و بيت الفقيه) مستنداً في رأيه على رحلة ابن بطوطه[8] و إف.إل. بلايفير[9] و ريتشارد هيدلي[10] .

2- بيت عجيل [11] .

3- كثيب الشوكه [12].

4- المدرسة [13].

1- غانم ، محمد عبده ، عدني يتحدث عن البلاد العربية و العالم ، دار مصر للطباعة ، الطبعة الثامنة . صـ49 .
2- الريحاني ، أمين ، ملوك العرب ، جـ1، صـ277 .
3- هيدلي ، ريتشارد ، مادة بيت الفقيه ، دائرة المعارف الاسلامية ، اعداد و تحرير ابراهيم زكي خور شيد ، واحمد الشنتناوي ، و د. عبدالحميد يونس ، مطبعة الشعب – مصر ، جـ8 ، صـ500.
4- اليماني ، السيد حسين اليماني ، رحلة ولي العهد سمو الاسلام سيف الاسلام ولي عهد اليمن المعظم احمد بن امير المؤمنين في انحاء اليمن ، وقف على طبعها و تصحيحها احمد محمد نعماني ، مطبعة انصار السنة المحمدية بمصر – صـ19 .
5- كحالة ، عمرو رضا، جغرافية شبه جزيرة العرب، مكتبة النهضة الحديثة– مصر، طبعة ثانية(1384هـ-1964م) صـ308
6- الفقيه الإمام احمد بن موسى العجيل ، عالم و فقيه صوفي شهير ولد و توفي بالمدينة التي سميت باسمه مدينة بيت الفقيه ابن عجيل ، له مشاركات علمية و مصنفات عديدة منها حواشيه على الكافي للصردفي و اعتراضات على كتاب المهذب و كتاب التنبيه في الفقه ، وله كتاب جمع فيه اسماء شيوخه و اسانيده و كتاب الغارة و هو شعر حققها الدكتور عبدالله محمد أبو داهش و صدر في 1986م ، و أدعية بعنوان دعاء النصر بالمكتبة الغربية بصنعاء برقم 133 و قد نشرها الباحث " عبدالودود قاسم مقشر " في صحيفة تهامة العدد 2 (الخميس 22 محرم 1418 هـ - 29مايو 1997م) ، و مصادر ترجمته :- السلوك للجندي جـ1 ، صـ416 ، مرآة الزمان لليافعي جـ4، صـ137 ، العقود اللؤلؤية للخزرجي جـ1 ، صـ257 – 260 ، غررالدرر للناشري " مخطوط " ، تحفة الزمن للأهدل " مخطوط " .
7- مقشر ، عبد الودود قاسم ، غسانه و ابن بطوطة و بيت الفقيه ، الجمهورية الثقافية ، (الخميس 27 رمضان 1419 هـ - 1999/1/4م)صـ9 .
8- ابن بطوطه ، محمد بن عبدالله (1304- 1377 م) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، تحقيق الدكتور علي المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة 1985م صـ73 و 274 .
9 - بلايفير ، إف . إل ، تاريخ العربية السعيدة أو اليمن ، ترجمة د. سعيد عبدالخير النوبان و علي محمد باحشوان ، دار جامعة عدن للطباعة و النشر ، الطبعة الأولى 1999م ، صـ28 .
10- هيدلي ، مادة بيت الفقيه ، دائرة المعارف الاسلامية جـ8 صـ500 .
11 - الجندي ، السلوك ، جـ1،صـ414، تحفة الزمن للأهدل " مخطوط " .
12- الجندي ، السلوك في طبقات العلماء و الملوك ، جـ1، صـ414 و صـ415 ، تحفة الزمن للأهدل " مخطوط "
13 - المصدر السابق .

و قد (اشتهرت المدينة بالعلم و الصناعة) [1] و بأنها (معقل تجاري هام للبن) [2] فهـي (واقعة في وسط الأرض التي ينبت بها البن) [3] حتى أنه كان (يقام فيها معرض تجـاري عالمي مرتين في كل عام) [4] و هي (مدينة حربية) [5] .

و تجمع المصادر على دور بيت الفقيه في تاريخ الثورات المتمردة ضد الأنظمة القائمة مـن عهد الرسوليين حتى عهد العثمانيين ، فكانت عاصمة للمعازبة ثم أصبحت عاصمة للزرانيق ، يحيطون بها من جميع الجهات كما تحاط اليد بالإسورة ، فهي المقر الاقتـصادي و الثقـافي و السياسي و الروحي لها و بها أوليائهم و على رأسهم الإمام الولي أحمد بن موسى العجيل .

و في القرن التاسع عشر كان لهم دور تجاري و اقتصادي حتى ذكرها المعلم بطرس البستاني (1819 – 1883 م) في " دائرة المعارف " فقال :- (بيت الفقيه . بلدة من بـلاد العـرب على مسافة 40 ميلاً من حديدة إلى شمالي الشمال الشرقي على البحر الأحمر و 85 ميلاً من مخا إلى الشمال ، عدد سكانها نحو 8 ألاف نفس و بها جامع و حصن منيع و بيوتهـا مبنيـة بالآجر و اللبن و مسقوفة بخوص النخيل) [6] ثم يذكر تجارتها و موقعها الإقتصادي فيقـول :- (تأتيها القوافل من جميع جهات بلاد العرب و سورية و فارس و مصر ، حاملة بـضائع هندية و انكليزية و طيوباً وسكراً فيستبدلونها بالبن والشمع و أنواع مختلفة من الصموغ)[7] و يعلل الإزدهار الإقتصادي بقوله (ومن أعظم أسباب أهميتها التجارية عيد سنوي يقام مـدة ثلاثة أيام على ضريح شيخ بالقرب منها)[8] .

و يذكر أمين الريحاني في رحلته (أن في قلب تلك البقعة من تهامة مدينة ..هي بيت الفقيـه الكائنة بين زرانيق الشام و زرانيق اليمن ، و بيت الفقيه حرة مستقلة ذات سيادة مطلقة ، و لا تعترف بأحد من الأئمة ، و لا بأحد من الأجانب و لا بأحد من الزرانيق سيداً عليها ، بل هي نفسها مقسومة خمسة أقسام ، خمسة أحياء لا يزيد سكان الحي الواحـد علـى الألـف) [9]

و في " مجموع بلدان اليمن و قبائلها " للقاضي محمد بن احمد الحجري يـذكر أسـماء هـذه

---

1 - الريحاني ، أمين ، ملوك العرب ، جـ1، صـ27 .
2- بلايفير ، تاريخ العربية السعيدة ، صـ28 .
3- سرهنك ، المير الاي اسماعيل ، حقائق الأخبار عن دول البحار ، المطبعة الأميرية ببولاق – مصر ، الطبعة الأولى سنة 1312 هـ، جـ1 ، صـ156 .
4- ماكرو ، إريك ، اليمن و الغرب (1571 – 1962 م) ، تعريب حسين عبدالله العمري ، الناشر المعرب (حسين عبدالله العمري) ، الطبعة الأولى ، 1979 م ، صـ54 .
5- ابو نتي ، سلفاتور ، مملكة الإمام يحي ، صـ26 .
6- البستاني ، المعلم بطرس ، دائرة المعارف ، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان – طهران ، دار المعرفة – لبنان جـ5، صـ732
7- المصدر السابق .
8- المصدر السابق .
9- الريحاني ، أمين ، ملوك العرب جـ1 ، صـ277 .

الأحياء ، الأقسام فيقول (و مدينة بيت الفقيه تنقسم إلى قرية الحوك ، و قرية الهنود ، و قرية المحازرة ، و قريةالصليفيين ، و قرية العمارى) [1].

و لكن الوثائق العقارية و كبار السن و المعمرين يذكرون أن البلاد (بيت الفقيه) تتكون من خمس قرى و هي :- قرية الحوك ، و قرية المحازرة ، و قرية الشمه ، و قرية الصليفيين ، و قرية العلاويه [2] .

لقد لفتت المدينة – بيت الفقيه – الأنظار إليها بموقعها المتميز و المتوسط و بهوائها و مائها مما حدا بأول بعثة استشراقية أوروبية من أن تتخذها كمقر لها، فقد اتخذت البعثة الدنماركية[3] العلمية من بيت الفقيه مركزاً و منطلقاً لرحلاتها لداخل البلاد ، و قد وصلت إلى بيت الفقيه في الخامس و العشرين من فبراير سنة (1763 م) و لذلك يقول توركيل هانس في كتابه " من كوبنهاجن إلى صنعاء " ما يلي (إن موقعها المتوسط و لا شيء سواه ، هو الذي جعلها المركز المناسب الذي جعلت منه البعثة الدنماركية منطلقاً لها ، تنطلق من جولاتها وإليه تعود)[4] .

و هكذا وصلت إلينا أول خارطة لمدينة بيت الفقيه رسمها بدقة كارستين نيبور [5] و صورة أخرى للرسام جورج و لهلهم بارون فايند[6] و قد أظهرت معالم المدينة البارزة ، و تحدث نيبور عن المدينة ذاكراً ما يلي (تقع مدينة بيت الفقيه على سهل فسيح ... وهي مدينة غير مسورة تنتشر مبانيها على رقعة واسعة من الأرض ، و معظم بيوتها عبارة عن أكواخ مبنية بالطريقة التهامية المعتادة ، و توجد فيها قلعة ، بداخلها بئر عميقة ، و ليس في المدينة

---

1 - الحجري ، القاضي محمد بن أحمد الحجري ، مجموع بلدان اليمن و قبائلها ، تحقيق و تصحيح و مراجعة اسماعيل بن علي الأكوع ، منشورات وزارة الإعلام و الثقافة ، ج.ع.ي. ، الطبعة الأولى 1404هـ - 1984 م ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، صـ638 .

2- من هذه المقابلات الشخصية ، المعمر يحي حسن قاسم زبري ، و المعمر سعد حكيمة ، و المعمر يحي جزاز
و أيد ما ذكر أعلاه من تقسيم المدينة إلى قرى بأسمائها حصول الباحث على رسالة صغيرة للنسابة جابر شماع عجيلي المتوفي سنة (1391هـ) ويذكر فيها قرى المدينة و لكن الباحث يحجم عن ايرادها لتهكمها و الحط من بعض القرى بالمدينة .

3- كانت البعثة الدنماركية مؤلفة من خمسة من العلماء و هم :- البرفسور فريدرك كريستيان فونهافن ، دانماركي متخصص في فقه اللغة و الدراسات الشرقية ، و البرفسور بيتر فورسكال سويدي جمع بين علمي الطب و النبات ، و الطبيب كارل كرامر ، دانماركي متخصص في الجراحة و علم الحيوان ، و جورج ولهلهم باورن فايند رسام أنيطت به مهمة الرسوم الفنية ، و المهندس المساح كارستين نيبور ، انطلقت في 1761/1/4م من كوبنهاجن و عادت في 1767/11/20و قد مات كل أعضائها عدا كارستين نيبور ، راجع :- د/ عبدالله حسين الشيبة ، حركة الكشوف الأثرية في جنوب الجزيرة العربية ، دراسات يمنية ، العدد 37 سنة 1989 ، صـ97- 98 .

4- توركيل هانس ، من كوبنهاجن إلى صنعاء ، ترجمة محمد أحمد الرعدي ، دار العوده – بيروت ، و مركز الدراسات و البحوث اليمني – صنعاء ، الطبعة الثانية ، 1983 م ، صـ233 .

5- انظر الملحق رقم (1) .

6- انظر الملحق رقم (2) .

منارات سوى منارة واحدة و هي منارة المسجد الكبير ، و بفضل موقع بيت الفقيه أصبحت أهم سوق للبن في اليمن بل في العالم كله)[1] .

و في منتصف القرن التاسع عشر زار المدينة رحالة و عالم ، فأما الرحالة فهو الفرنسي موريس تاميزيه و الذي وصل بيت الفقيه في 14 مارس 1835 م مع زميل له هو إدوار كومب ، فقال في وصف المدينة (لجامع بيت الفقيه قبب أنيقة و مئذنة كأنها برج ، يراها المسافر من بعيد ، و إنما أجمل ما في هذه البلدة قلعتها ، أما بيوتها فمن الآجر ، و لكن ليس لها مشربيات ...و هناك أيضاً عدد من الأكواخ ...و ليس لبيت الفقيه أسوار ، و إنما تحد هذه المدينة شرقاً سلسلة من الجبال العالية)[2] .

أما العالم الذي زار المدينة مقتفياً أثر نيبور فهو كارلوس كروتندن في صيف سنة 1836 م و ذكر أن بيت الفقيه (مدينة كبيرة يسكنها 8000 نسمة ، لا توجد بالمدينة اسوار ، بيوتها من الحصير ،و لها قلعة في وسط المدينة تعرف بحصن عثمان ، و بالمدينة أيضاً ثلاثة مساجد و بعض القباب ، إنها أكبر من زبيد و منظرها بهيج)[3] .

و تستمر الصورة النمطية للمدينة بهذا الشكل حتى قدوم أول مصور فوتوغرافي للمدينة في سنة 1901 م وهو الرحالة الألماني هيرمان بورشارت والذي التقط ثلاث صور للمدينة [4] ، تظهر الصورة الأولى القسم الشمالي من المدينة و الصورة الثانية القسم الجنوبي و الصورة الثالثة الجامع الكبير .

و قد قال بورشارت (بيت الفقيه و هو مكان واسع مفتوح ذو سوق كبير (...)، و من الجدير بالملاحظة الجامع ذو المئذنة الكبيرة المميزة)[5].

فالمدينة غرست انطباعاً حضارياً لدى زوارها وتركت بعداً عملياً يتحدث عن نفسه ، و هذا الانطباع هو الذي جعل الضابط و الكاتب الانجليزي هارولد انجرامز يتحدث عنه في زيارته للمدينة فقال (لقد أعطتنا بيت الفقيه انطباعاً أكيداً بأنها أشبه ما تكون بلوحة جميلة باللون

---

[1] - الصايدي ، د. احمد قايد ، المادة التاريخية في كتاب نيبور عن اليمن ، دراسات يمنية ، العدد 39 السنة 1990م ،ص 21-22

[2] - شلحد ، د. يوسف ، رحلة (تاميزيه) و(كومب) إلى الجزيرة العربية ، مجلة العرب ج1 ، 2 . س 25 رجب / شعبان سنة 1410هـ الموافق فبراير / مارس سنة 1990م ، ص 71- 72 .

[3] - بلايفير ، إف.إل . ، تاريخ العربية السعيدة ، ص 28-29 .

[4] - انظر الملاحق رقم 3 .

[5] - بورشارت ، هيرمان ، بورشارت في اليمن ، رحلات مصورة للأعوام (1900 إلى 1909م) ترجمة عرفان عبود ، الناشر سفارة جمهورية المانيا الاتحادية في صنعاء ، ومعهد الأثار الألماني ، قسم الشرق، فرع صنعاء الطبعة الأولى، 2005م ص 40 .

استطاع المعماريون الذين بنوها أن يستغلوا إلى درجة كبيرة من الاتقان قطع الطابوق التهامي البنية الصغيرة)[1].

فالمدينة – ورغم ذلك – إلاّ أن قبائل الزرانيق تحيط بها من كل الجهات و هـذا مـا جعلهـا عرضة لعدم الاستقرار الدائم [2] ، فهم يعتبرونها كالقلب بالنسبة إلى الجسد ، فمن يصل إليها يسيطر على بلاد الزرانيق .

2- **قضاء بيت الفقيه** .

قام التقسيم الإداري في العهد العثماني للولايات على أساس قانون 1864 م و هو قانون الولايات في عهد السلطان العثماني عبدالعزيز (1861- 1876 م) ، و هو ما جعل الـدكتور فـاروق أباظه يكشف أن هذا القانون ليس عثمانياً فقال :- (و قد نقل هذا القانون نقلاً أميناً عن الـنظام الادارية الفرنسية من حيث تقسيم السلطنة إلى ولايات تتألف من متصرفيات ، و هذه تتألف من قائمقاميات يتبع كلاً منهم عدد من النواحي و في عهد هذا السلطان عاد العثمانيون إلى اليمن في سنة (1872 م) و أقاموا حكمهم في صنعاء فكان طبيعياً أن تتأثر الـيمن بقـانون الولايـات المذكور) [3] .

و يذكر ساطع الحصري هذا النظام و تقسيماتها الإدارية فيقول :- (كانت الدولة العثمانية تقسم إلى ولايات ، و الولايات إلى ألوية (سناجق) ، و الألوية إلى أقضية ، و الأقضية إلى نواحٍ ، و كان على رأس الإدارة في كل لواء (متصرف) ، و في كل قضاء (قائمقام) و فـي كـل ناحية (مدير ناحية) ، و كانت الدولة تنشر كل سنة حولية رسمية تسميها (سالنامة دولت عليه عثمانية) ، بمعنى (الكتاب السنوي للدولة العلية العثمانية) و كانت تبين في الحولية المذكورة تفاصيل التقسيمات الإدارية ، و تذكر أسماء رؤساء الموظفين في جميـع الأقـضية و الألويـة و الولايات ، فضلاً عن العاصمة) [4] .

و قد تم تقسيم اليمن إلى أربعة سناجق ، و السناجق إلى أقضية و الأقضية إلى نواحٍ و بـشكل سلسل كما يقول جيكوب (في عام 1872 م جعل الأتراك من اليمن ولاية واحدة ثم قسموها إلى أربعة متصرفيات في كل من تعز و صنعاء و عسير و الحديدة ، و كان الوالي (الحاكم) يقـيم

---

1 - انجرامز ، هارولد ، ائمة اليمن و حكامها و ثوراتها ، ترجمة نجيب سعيد باوزير ، مجلة اليمن العدد الثامن عشر ، شوال 1424هـ ، نوفمبر 2003م ، صـ 204 .

2 - هيدلي ، ريتشارد ، مادة بيت الفقيه ،دائرة المعارف الاسلامية ، جـ 8 ، صـ 501 .

3 - أباظه ، فاروق عثمان (دكتور) ، الحكم العثماني في اليمن (1972 -1918) ، دار العوده - بيروت ، الطبعة الثانية ، 1979 م ، صـ 103 .

4 - الحصري ، ساطع ، البلاد العربية و الدولة العثمانية ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة الثانية ، يوليو 1960م صـ 240

في صنعاء . أما هذه المتصرفيات فقد كان تقسيم كل واحدة منها إلى عدة أقضية و كل قضاء إلى قائمقام)[1] و استمر العمل بهذا التقسيم الإداري و استقر عليه الرأي الرسمي للدولة العثمانية من (1872 – إلى 1918م) و يقول الدكتور عبدالكريم العزير(و من هذا المنطلق و استناداً للفرمان السلطاني الصادر بتاريخ (8 محرم 1290هـ - 1873 م) بشأن التقسيم الإداري لولاية اليمن بموجب اللائحة المرفوعة من والي اليمن الفريق أحمد مختار باشا ... و على ضوء نظام الإدارة العمومية للولايات الصادر عام (1871م)[2]) صدرت سالنامة الدولة العثمانية و سالنمات ولاية اليمن سنة (1313هـ) و التي أعقبتها كل السالنامات خلال الأعوام التالية و لم تتغير في سناجقها و أقضيتها حتى قال ساطع الحصري مؤكداً ذلك في تعقيبه على سالنامة (1322هـ - 1904 م) " من المؤكد أنه لم يطرأ تغير يستحق الذكر على التقسيمات الإدارية المتعلقة بالبلاد العربية ، بعد التاريخ المذكور"[3] ، ومن هذا المنطلق ، يتضح بقاء سنجق الحديدة كما هو دون تغير ، و استمرارية قضاء بيت الفقيه – موضوع الدراسة – منذ 1872 و حتى 1918م ، و يشمل قضاء بيت الفقيه حسب سالنامة 1313هـ - 1895م على ما يلي من نواحٍ :-

1- بيت الفقيه   2- وادي رمع   3- زرانيق اليمن
4- الحسينية   5- المراوعة   6- وادي الرباط
7- جبل زيد   8- وادي بو سعير   9- بسط الوجه

و يلاحظ أن زرانيق الشام غير موجودين و كذا المجاملة و الدريهمي ، فقد ضمت إلى قضاء باجل و الذي ضم ما يلي :-

1- باجل   2- وادي سهام   3- الحمزه   4- دير عبار
5- قطيع   6- جبل ظافر   7- القارة   8- جبل عليس
9- الدريهمي   10- المجامله   11- زرانيق الشام[4]

و هذا التقسيم ينم عن جهل مطبق لدى الدولة العثمانية بشعوبها و ما تحتويه من أرض و جغرافيا و قبائل و لكن لم يكن يستمر هذا التقسيم طويلاً في كل سالنامة و لم يطبق فيها

---

1 - جيكوب ، هارولدف ، ملوك شبه الجزيرة العربية ، صـ75 .
2 - العزير ، عبدالكريم ، التشكيلات المركزية العثمانية و الإدارة المحلية في اليمن (1850- 1918 م)، مركز عبادي للدراسات و النشر– صنعاء ، الطبعة الأولى ، 2003 م ، صـ147- 148 .
3 - الحصري ، ساطع ، البلاد العربية و الدولة العثمانية ، صـ240 .
4 - العزير ، د. عبدالكريم ، التشكيلات المركزية العثمانية صـ 154 .

القانون بحذافيره ، يقول الدكتور فاروق أباظه (و في جنوب الأمبراطورية العثمانية كانت هناك أيضاً ولاية الحجاز و ولاية اليمن اللتان لم يطبق فيهما قانون الولايات تطبيقاً تاماً)[1].

و لذلك سعت الدولة العثمانية إلى تغيير النواحي و استبدالها أو ضمها من قضاء إلى قضاء ، أما عملياً فلم يتغير شيء بسبب عدم سيطرة الدولة الحقيقية على مقاليد الأمور في الأرض و عـدم تمكنها من فرض زمام المبادرة إلاّ في مراكز الأقضية لذلك تغيـرت النـواحي فقـط لتـسهيل السيطرة ، يقول د. عبدالكريم العزير (أما بالنسبة لتقسيم القضوات إلى نواحي فقد كان يتغيـر من وقت لآخر و بحسب الحاجة و الظروف الإجتماعية و الأمنية و العسكرية حيث تـتم نقـل ناحية من قضاء إلى قضاء آخر)[2].

و لم يكد ينتهي العهد العثماني حتى كانت اكتملت التنقلات للنـواحي و اسـتطاعت أن تـلاءم الواقع يقول الدكتور سيد مصطفى سالم (يدل على هذا أن الإمام يحي قد أبقى معظم التقسيمات " الإدارية " على حالها و أقام عليها حكاماً سماهم عمالاً)[3] .

لذلك بقيت بيت الفقيه قضاء في عهد العثمانيين ثم العهد الإمامي حتى العهد الجمهوري و اكتمال بناء الدولة ، أما في العهد العثماني فقد كان يحكمها قائمقام [4]. و هذا القضاء حدوده الإداريـة ذكرها الحجري فقال :- (يتصل قضاء بيت الفقيه من شماليه بقضاء باجل و الحديـدة و جبـل برع و من شرقيه بجبال ريمة و برع أيضاً و من جنوبيه بقضاء زبيد و بعض وصاب الـسافل و من غربيه بالبحر الأحمر)[5] ، و ذكر المؤرخ الألماني و عالم الأثار ادوارد جـلازر مـا يؤيد هذا التقسيم أثناء رحلته في 1885م فقال :- (و في الجنوب من القحرا " من باجل " قبيلة تتبع بيت الفقيه اسمها عبوس ... و تمتلك الجزء الأسفل مـن وادي سـهام)[6] ، ثـم يـذكر الحجري القبائل و النواحي التابعة لبيت الفقيه فيقول :- (و بيت الفقيه اليوم مركز قضاء بيـت الفقيه و هو واسع و يشمل جميع بلاد الزرانيق و هي أكبر قبيلة في تهامة .... ثم مـن قبائـل قضاء بيت الفقيه قبيلة المجاملة و المساعيد و بنو موسى ثم قبائل ناحيـة المنـصورية و هـم الوعارية و الرماة و المغالسة و المناصرة و مركز هذه الناحية المنصورية شمالي بيت الفقيـه

---

[1] - أباظه ، د. فاروق عثمان ، الحكم العثماني في اليمن ، صـ104 .
2- العزير ، د.عبدالكريم ، التشكيلات المركزية العثمانية ، صـ147 .
3- سالم ، د. سيد مصطفى ، تكوين اليمن الحديث ، اليمن و الإمام يحي (1904- 1948 م) ، دار الأمين للنشر و التوزيع – القاهرة ، الطبعة الرابعة ، 1993م ، صـ38 .
4- الوشلي ، اسماعيل بن محمد الوشلي ، توفي في (1356 هـ) ، نشر الثناء الحسن على بعض أرباب الفضل و الكمال من أهل اليمن و ذكر الحوادث الواقعة في هذا الزمن " مخطوط " .
5- الحجري ، مجموع بلدان اليمن ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع صـ637 .
6-جلازر ، إدوارد ، اليمن في كتابات الرحالة الأجانب ، ترجمة د. احمد قايد الصايدي ، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية – دمشق ، العدد 3 ، السنة 1999م . صـ4 .

على مسافة ساعتين و من قراها عواجه ...و شجينه ، ثم ناحية المراوعة وقبائلها هم العبسية.. ثم ناحية الدريهمي وقبائلها هم الجحبه و المنافرة)[1].

و يعدد الحجري بعد ذلك القرى التي هي مراكز لقبائلها والتابعة لقضاء بيت الفقيه فيقول (ومن القرى المشهورة في قضاء بيت الفقيه :- المراوعة في بلاد العبسية ، بضم القاف و فتح الطـاء المهملة ، و المكيمنيه في بلاد المنافرة ، و قضبة بفتح القاف و فتح الـضاد المعجمـة و البـاء الموحدة و هي للمشافنه من العبسيه و للمنافرة أيضاً و القوقر بفتح القافين بينهمـا واو سـاكنة و هي للزرانيق ، و اللاوية للمساعيد ، و المنصورية في بلاد الوعارية ، و الكُـرد فـي بـلاد العبسيه ، و الصعيد في بلاد الزرانيق ، و منظر من بلاد العبسيه و هي على مقربة من الحديدة في ساحل البحر ، جنوبي الحديدة على مسافة ساعة واحدة ، و الصنيف من بلاد الرامية ..و من قرى الزرانيق أيضاً المجنبعية و العباسي و الكدف و الشط في الطرف الشامي ، ثـم الـسليكيه و السالمية و الغانمية و السولة في الطرف اليماني ، ثم المزاهرة و المجرب و الدفة فـي بـلاد المعازبة ثم الزنبولية ، ونفحان في بني محمد)[2] .

و إذا ما كان هناك من ملاحظات فهي أنه ذكر الصعيد في بلاد الزرانيق و معروف أنها مركز المعازبة و لكن الزرانيق و المعازبة مصطلح واحد و قد طغـى الأول علـى الثـاني ، ومـن الملاحظات البينة هي عدم إيراد الحسينية مركز الطرف اليماني مع أنها ذكرها سابقاً فقـال :- (الحسينية بلده من بلاد الزرانيق و أعمال بيت الفقيه بوادي رمع)[3] و كـذلك لـم يـذكر المجاملة و هي من فخوذ الزرانيق و اعتبر المنصورية مركز الوعارية و هـي مركـز بـلاد المناصرة و هذا ما ألمح إليه في موضع آخر فقال:- (المنصورية من قرى تهامة و قد ذكـرت في بيت الفقيه ابن عجيل ولها اعمال منها بلاد الوعارية و بلاد الرامية و بلاد المناصرة)[4] .

[1] - الحجري ، مجموع بلدان اليمن و قبائلها ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، صـ636- 637 .
2- الحجري ، معجم بلدان اليمن و قبائلها ، المجلد 2 ، الجزء 4 صـ638 .
3- الحجري ، معجم بلدان اليمن و قبائلها ، المجلد 1 ، الجزء 2 ، صـ259 .
4- الحجري ، معجم بلدان اليمن و قبائلها ، المجلد 1 ، الجزء 4 ، صـ722 .

4- مراكز تجمع الزرانيق .

الزرانيق كان جزءٌ منهم بدو متنقل و غير ثابت و جزء استقر و كون مراكز استيطان بشرية ، و هذه المراكز عدت بمئات القرى ، و قد أحصيت أشهر المراكز التي كونها الزرانيق و أصبحت بلاداناً معروفة ، وقد استثنى بيت الفقيه عاصمة الزرانيق من تكرار ذكرها هنا .

1- الحسينية .

بلدة تقع في جنوب بيت الفقيه و تبعد عنها عشرين كيلو متراً و تقع بين دائرتي عرض 22ً و 14° شمالاً و خطي طول 19ً و 43° شرقاً[1] ، وقد ذكرها ابن الديبع مما يدل على قدمها و كان لها دورٌ باعتبارها إحدى محطات المعازبة و التي تتصدى للدولة الرسولية يقول إبن الديبع :- (و في منتصف ربيع الأول سنة سبعين (870 هـ) أخذ ابن سفيان حصن الشُريف و عمّره و عمر حصناً آخر في القاهرة تحت الحصن المذكور ، و غزا المعازبة و جمعهم متوفر و قد ملأت مواشيهم الفجاج ، فقتل منهم جماعة ، و انتهب ما معهم من المواشي و غيرها و هم إذ ذاك بقرية الحسينية)[2] . و قد ادعى السادة الأهادلة أنها سميت بالحسينية نسبة إلى بدر الدين الحسين بن سليمان بن ابي القاسم بن احمد الأهدل المتوفي في سنة (1109 هـ) و أنه أول من سكنها و الحقيقة – كما أراها – أن الحسينية أقدم من ذلك فقد ذكرها ابن الديبع ضمن أحداث 870هـ ، ثم ان مرد الخلط في ذلك يرجع إلى عبارة وردت في كتاب (تحفة الحبيب) لمصنفه عبدالله بن عبدالهادي بن محمد الأهدل و قد حصلت على الكتاب المذكور و كانت العبارة (و له آثار – أي الحسين بن سليمان الأهدل – كثيرة في الخيرات و حفر جملة من الأبيار و تشتهر بعضها الآن بالحسينية نسبة إليه)[3] و هذه الآبار موجودة في المحط و هي منطقة بعيدة عن الحسينية ثم والأهم من ذلك أن البحر توفي (1083هـ) قد ذكرها في تحفة الدهر [4] .

ثم هناك ادعاءٌ آخر بأن الحسينية هي مدينة فشال التاريخية و قد ذكر ذلك القاضي المحدث عبدالرحمن بن أحمد البهكلي في كتابه (نفح العود) فقال :- (و استقر بالحسينية قرية للعرب الزرانيق في موضع المدينة المعروفة بـ(فشال) في الزمن الأول)[5] .

---

1 - وضعت أرقام خطوط الطول و دوائر العرض الخاصة ببلاد الزرانيق بمساعدة الاستاذ عبده عبدالله منصور جازوري .

2 - ابن الديبع ، الفضل المزيد ، صـ134 .

3 - الأهدل ، عبدالله بن عبدالهادي بن محمد الأهدل ، تحفة الحبيب في ذكر أنساب بني أبي القاسم و ذكر تراجمهم على الترتيب ، مخطوط حصل عليه الباحث من الأستاذ الباحث وضاح عبدالباري طاهر الأهدل .

4 - البحر ، محمد الطاهر ، تحفة الدهر " مخطوط " .

5 - البهكلي ، القاضي عبدالرحمن بن أحمد حسن البهكلي ، " نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود " ، تحقيق محمد أحمد العقيلي ، مطابع جازان ، الطبعة الثانية ، 1406هـ -1986م ، صـ282 .

وهي زلة وقع فيها مؤرخ و محدث بحجم البهكلي ، ففشال ذكرت أثناء و بعد ذكـر الحـسينية و استمر ذكرها فترة من الزمن و لو كانت الحسينية هي فشال ، فما الفائدة من ذكر الحسينية ثم إنهـا في موقعين مختلفين .

و الحسينية بها حصن سمي بحصن الفاشقي – و سيذكر أثناء الحروب بين الزرانيق و العثمانيين – و قد كانت – ولا زالت – الحسينية مقر المشائخ الفواشق ، و تقع في قلب وادي رمع و تعرضـت لفيضانات و تخريبات من جراء ذلك .

و تعد الحسينية معقل الزرانيق في الطرف اليماني مثلما كانت رأس حربة للمعارضة ضـد الدولـة الرسولية ، و لذلك توصلت إلى سبب الإهتمام بهذه المنطقة من قبل الإستخبارات البريطانية ، فقـد زارها الكاتب و ضابط الإستخبارات البريطانية ويمان بيري ضمن المناطق التي زارها لاستكـشاف الوجود العثماني و الوجود العسكري فقال في كتابه " العربية التعيسة أو الأتراك في اليمن " ما يلـي :- (يحتشد عشرة ألآلاف رجل – يقصد الزرانيق – تحت قائدهم الأعلى محمّد يحي فاشق و الذي يعيش في مقره في الحسينية و هي قرية في شمال زبيد و تبعد عنها 9 أميال)[1]، ثم ذكرها تقرير استخباراتي آخر بقلم المقيم السياسي البريطاني في عدن البريغادير جنرال سي.هـ.يو. برايس فـي يناير1916م ذكر أنّ الحسينية هي مقر المدعو أحمد البحر[2] ...! و التقرير الأخير خطأ ، صححه الضابط البريطاني هارولد جاكوب فقال :- (فإن رجال هذه القبيلة يمنحون ولاءهم المباشر لـزعيم سيد هو أحمد بن يحي البحر الذي يعيش في المنصورية ...و يوجد اثنان من الزعمـاء المـشائخ و هذان يقيمان في خوخو[3] و الحسينية)[4].

وورد ذكرها في كتاب (اليمن مشاهدات و انطباعات) للمخرج الـسوفييتي فلاديميـر شـنيدروف و الذي رأس أول بعثة سينمائية إلى اليمن في 1930 م و قد عدّ الحسينية مـن المنـاطق الـسكنية المأهولة بالسكان والمهمة للزرانيق[5] .

و هكذا يتضح أن الحسينية من المراكز الهامة للزرانيق و لها دورٌ سنراها فيما بعـد فـي حـروب الزرانيق ضد العثمانيين .

---

[1] - Bury. G. W.Yman . Arabia Infelx or The Turks in Yemen . Macmillan and co. , London ,1915, P.24

[2] - (33250) F.O.371/2769 من الضابط السياسي البريغادير جنرال سي . هـ. يو. برايس إلى الحكومة البريطانية في 27 يناير 1916 م ، نجدة فتحي صفوة ، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ، دار الساقي ، بيروت ، الطبعة الأولى 1996م ، جـ2 ، صـ484 ، صـ489 .

[3] - يقصد الفوقر .

[4] - جاكوب ، هارولدف . ملوك شبه الجزيرة العربية ، صـ223 .

[5] - شنيدروف ، فلاديمير ، اليمن مشاهدات و انطباعات ، تعريب : سعيد دبعي ، دار الهمداني للطباعة و النشر – عدن ، الطبعة الأولى ، سنة 1983م صـ55

2- الصعيد .

تقع الصعيد في شرق بيت الفقيه بين خط طول 27 و 43° شرقاً و خط عرض 32 و14° شـمالاً و تبعد عن بيت الفقيه بنحو ستة أميال [1] و على بعد ثلاث ساعات [2].

و هي مركز المعازبة و بها حصن قديم ، و تعد الصعيد من أقدم مدن المعازبة، ومن خلالها تستطيع أن ترى بيت الفقيه لارتفاعها . و قد ورد ذكرها في القرن الثامن الهجري و أورد الناشري 821هـ في كتابه (غرر الدرر) ذكرها ولها قصة و ذكر أنها " و من قرى المعازبة الحازة قريـة تـسمى الصّعيد بعلي البلاد كان يكثر فيها زراعة الصيف و ينتال بها الناس في أوان انتواله و يكثرون فيها و ليس فيها إلاّ بئر واحدة "[3] ثم ورد ذكرها في تحفة الدهر لمحمد الطاهر البحر توفي 1083هـ في كتابه (تحفة الدهر) فقال :- " قرية الصعيد التي هي مسكن بني الرحباني مـن يعقـوب " و فـي موضع آخر " الصعيد بني يعقوب " و " صعيد المعازبة " [4]و هي ذات موقع استراتيجي هام فهـي مفتاح بيت الفقيه من جهة الشرق .

3- نفحان .

و تقع في الجنوب الشرقي من بيت الفقيه بـين خـط طـول 29 و43° شـرقاً و خـط عـرض 28 و28° شمالاً و مركز قبيلة بني محمد إحدى المكونات الأساسية للزرانيق ، و أعتقد أنها هـي نفسها التي أوردها ابن المجاور في زيارته لتهامة سنة (623هـ) عندما قال أنه "خبت نفحان "[5] ، و تقع بالقرب من جبال ريمة ، و على بعد كيلو مترين من الجنوب توجد قرية الصنيف و هي مقر مشائخ بني محمد و المعازبة حالياً و هم بني غلاب فخذ من بني محمد .

4- المجنبعيه .

و يضبط نطقها السيد محمد الطاهر البحـر 1083 هـ ـ فـي (تحفـة الـدهر) فيقـول " قريـة المجنبعيه :- بضم الميم و فتح الجيم و اسكان النون و كسر الباء و كسر العين المهملة ثم بعدها ياء مثناه مشددة ثم هاء "[6] ضمن أحداث 1034هـ فهي من المواضع السكنية القديمـة لبنـي محمـد

---

[1] - اليماني ، السيد حسين ، رحلة سمو ولي العهد . صـ24
[2] - الحجر ، القاضي محمد بن احمد ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث صـ480
[3] - الناشري ، القاضي محمد بن عبدالله ، غرر الدرر، " مخطوط " .
[4] - البحر ، محمد الطاهر ، تحفة الدهر ، مخطوط " .
[5] - ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن و مكة و بعض الحجاز ، صـ239 .
[6] - البحر ، محمد الطاهر ، تحفة الدهر ، " مخطوط " .

و المعازبة و هي تعد من معاقل الزرانيق [1] وتقع في الشمال الشرقي من بيت الفقيه ، وبين خـط طول 27َ و23° شرقاً و خط عرض37َ و14° شمالاً ، و من المجنبعية تطل على وسط زرانيـق الطرف الشامي .

5- القوقر .

بفتح القافين بينهما واو ساكنة و هي للزرانيق [2] و تقع في شمال بيت الفقيه و بـين خـط طـول 19َ و43° شرقاً و خط عرض 35َ و14° شمالاً ، و هي إحدى مواقع المشيخ للزرانيق في الطرف الشامي ، و تضم قرى شهيرة في الحروب مع العثمانيين كالحطبية و العباسي و العطنة ...

6- دير الزليل .

مركز مشيخ المجاملة إحدى المكونات الأساسية للزرانيق قديماً و تقع بين خـط طـول 23َ و43° شرقاً و خط عرض 38َ و14° شمالاً . و بقربه مدينة القحمة الأثرية ، و تقع دير زليل في شـمال بيت الفقيه .

7- الغوادر .

أحد مراكز تجمعات الزرانيق في الطرف اليماني في فم وادي رمع بين خط طول 30َ و43° شرقاً و خط عرض 23َ و14° شمالاً وهي في جنوب شرق بيت الفقيه .

8- الجربشية .

أحدى القرى المهمة في بلاد الزرانيق في الطرف الشامي و تقع إلى الشمال الشرقي من بيت الفقيـه و بين خط الطول 25َ و43° شرقاً و خط عرض 35َ و14° شمالاً .

---

1 - الحجري ، محمد بن احمد ، مجموع بلدان اليمن و قبائلها ، المجلد الثاني ، الجزء 4 ، صـ638 .
2 المصدر السابق .

5- شواطئ الزرانيق و جزرهم .

تمتد سواحل الزرانيق من ميناء الحديدة شمالاً حتى زبيد جنوباً ، وتطل على البحر الأحمر مسيطرة على شاطئ مهم و تمتلك مجموعة من الجزر المهمة في البحر الأحمر كجزيرة جبل زقر و جزيرة امكتف و جزيرة المجاملة و غيرها من الجزر[1] .

أما المراكز الساحلية للزرانيق فهي كما يلي :-

1- **الحديدة .**

الميناء المعروف في سواحل تهامة ، و ينسب إلى قبيلة حديد إحدى قبائل المعازبة[2] و قد اشتهرت الحديدة بعد اندثار ميناء غلافقة ثم ميناء المخاء ، و تتميز الحديدة بأن تركيبتها السكانية كانت في تكوينها الأول معتمدة على قبائل المعازبة ثم الزرانيق و قبائل تهامية أخرى كالقراشية و قبائل تهامة الشمالية ، و لذلك عدت الحديدة كمرفأ صغير للصيادين ثم تطور ، فكانت الحديدة (تعتبر... ميناء بيت الفقيه)[3] كما ذكر كارستين نيبور في القرن الثامن عشر، و هكذا في القرن التاسع عشر، فقد ذكر تاميزيه أن (الحديدة مرسى بيت الفقيه)[4] ، و في مطلع القرن العشرين كانت الحديدة تحت رحمة الزرانيق فقد ذكر الباحث البريطاني جون بولدري[5] نقلاً عن ملفات المخابرات البريطانية و الأرشيف البريطاني الكثير من الأحداث تدل على ذاك ، وكذلك ما سطره الوشلي في ذيله على نشر الثناء الحسن[6] .

2- **الطائف .**

ميناء الزرانيق[7] ، و يقع في الشمال الغربي من بيت الفقيه و جنوب الحديدة ، وبين خط طول 43° شرقاً و خط عرض 34 و14° شمالاً ، و تتميز بموقع جغرافي ممتاز حيث يطل على تلال ساحلية ، و به قلعة تعود إلى مطلع القرن العشرين ، يقول امين الريحاني " و ميناؤهم – أي الزرانيق – الأول الطائف "[8] و يذكر ج. انكارين و شنيدروف

---

1 - بورجي ، عبدالله علي " دكتور " ، الجزر اليمنية في الأحمر و خليج عدن ، منشورات 25 سبتمبر ، الطبعة الثانية 1996م ، صـ70-73 .

2 - الناشري ، القاضي محمد بن عبدالله ، غرر الدرر ، " مخطوط" و تاريخ المعلم وطيوط " مخطوط " .

3 - الصايدي ، أحمد قايد " دكتور " ، المادة التاريخ يةفي كتابات نيبور عن اليمن ، دراسات يمنية ، العدد 39، صـ21 .

4 - شلحد ، يوسف " دكتور " ، رحلة تاميزية و كومب إلى الجزيرة العربية ، ج1 ، 2 ، السنة 25 ، صـ70

5 - بولدري ، العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي (1914- 1919م) صـ40 ، 99 ، 118، 120،

6 - الوشلي ، اسماعيل بن محمد الوشلي (1356 هـ) ، ذيل نشر الثناء الحسن ، " مخطوط "

7 - F.O.371/2769 (33250) تقرير من اللفتنيت – كرنل هـ . ف . جيكوب – المساعد الأول للمقيم السياسي في عدن بتاريخ 17 يناير 1916م نقلاً عن الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية لنجدة صفوة ، جـ2، صـ489 ، و جون بولدري في العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن صـ129 .

8 - الريحاني ، امين ، ملوك العرب ، جـ1، صـ275 .

و جاكوب و سلفاتور ابو نتي و العرشي و الواسعي و الوشـلي أن الطـائف أحـد مـوانئ الزرانيق الهامة و مقر الشيخ أحمد فتيني جنيد بطل الزرانيق .

3- غلافقة

ميناء تهامي معروف منذ القدم و له دور في التاريخ اليمني و العربي ، ويقع فـي شـمال غرب بيت الفقيه و بين خط طول 02̄ و43° شرقاً و خط عرض 26̄ و14° شمالاً و ينطقه الأهالي " غليفقة " و يكاد اليوم أن يندثر لولا الممالح التي به و هو تابع للزرانيق و تـذكر أغلب المصادر أنه للزرانيق [1] .

4- الجاح

و يقع في الجنوب الغربي من بيت الفقيه ، و بين خط طول 02̄ و43° - 07̄ و14° شـرقاً و يمتد بين دائرتي عرض 18̄ و14° إلى22̄ و14° شمالاً ، ويبعد عن بيت الفقيه عـشرين ميلاً [2] و الجاح عرف في عهد الدولة الرسولية بنخل المدني و ذكر في كل المصادر التـي تناولت تلك الفترة ، ثم ظهر اسم الجاح في القرن الحادي عشر فقال البحر في تحفـة الـدهر (وادي نديه من اعمال نخل المعازبة الجاح بتقديم الجيم على الحاء)[3] . و بهـذا الـوادي الجاح نخل الزرانيق و قلعة على تلة مرتفعة و له شهرة في الحروب .
و هناك موانئ و شواطئ أخرى كالدريهمي[4] و شاطئ رمال وشاطئ قضبة [5]و أمتينة [6] و الزرانيق مسيطرين حتى يومنا هذا على هذا الشريط الساحلي .

---

1 - المصادر السابقة .
2 - اليماني ، السيد حسين ، رحلة سمو ولي العهد ، صـ25 .
3 - البحر ، محمد الطاهر ، تحفة الدهر ، " مخطوط " .
4 - شنيد روف ، فلاديمير ، اليمن انطباعات و مشاهدات ، صـ55 .
5 - الأرياني ، حسن بن احمد بن حسن ، (1319- 1388 هـ) ،. صادق التحاقيق فيما جرى في حاشد و الزرانيق ، " مخطوط" في 86 ورقة بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير في صنعاء ضمن مجموع مخطوط برقم 148 مجاميع بخط المؤلف .
6 - لقاء مع المعمر علي جربوح في 2007/4/14م .

الباب الثاني

الزرانيق ...
وبنيتهم السياسية والإجتماعية

الفصل الأول

البنية السياسية

1– البنية القبلية للإتحاد الزرنوقي .

2– تقسيم الزرانيق في منتصف القرن التاسع عشر .

3– مشيخة الزرانيق .

1- **البنية القبلية للإتحاد الزرنوقي .**

القبيلة مرحلة من مراحل التطور البشري ، تمر بها البشرية للوصول إلى مفهوم الدولة و تعني " مجموعة بشرية متضامنة ، تشعر بانتسابها إلى أصل قرابي مشترك ، تجمعها ثقافة ، و أعراف و مصالح مشتركة ، تقطن أرضاً محدده غالباً ، و تشكل تنظيماً اجتماعياً ، سياسياً ، اقتصادياً ، و عسكرياً واحداً "[1] ، و للقبيلة حياة خاصة بها " فالحياة القبلية تتميز بأمرين : أولهما أن القبيلة تتمسك باستقلالها الذاتي و تتعصب له أشد التعصب ، فلا تحب أي تدخل خارجي مهما كان نوعه أو مصدره . وثانيهما أن القبليين متعصبون جداً لقضاياهم الخاصة ولا يبعدون في تفكيرهم عن نطاق حياتهم اليومية الرتيبة "[2] .

و مرت القبيلة في اليمن و منها تهامة بالأطوار التاريخية المعروفة بدءاً بالنظام الأسري ثم النظام العشائري و صولاً للنظام القبلي و أخيراً تصل إلى مفهوم الدولة ، و قد توافرت مجموعة من الشروط في إيجاد البنية القبلية في اليمن و استمرارها ، و هي شروط ذكرها الدكتور فضل علي أبو غانم في كتابه " القبيلة و الدولة في اليمن " حيث قال : " تتكون القبيلة من العناصر الآتية :-

1- مجموعة من الأفراد و الأقسام يرتبطون بصلة نسب و قرابة عائلية واحدة .
2- مجموعة روابط تاريخية و ثقافية و دينية واحدة .
3- منطقة " أرض" محددة ، يسكنون فيها و يستغلون ثرواتها و مواردها الطبيعية بصورة مشتركة ، دون غيرهم "[3] .

و تبرز سمات أساسية للقبيلة في اليمن – ذكر بعضها سابقاً – و هي :-

1- النزعة نحو الاستقلال . 2- الولاء للقبيلة و شيخها . 3- الاحتكام للعرف القبلي .
4- شيخ القبيلة . 5- احتقار الأنشطة و الأعمال اليدوية [4].

---

[1] - العليمي ، رشاد " دكتور " ، القضاء القبلي في المجتمع اليمني ، دار الوادي للنشر و التوزيع ، بدون مكان و تاريخ النشر ، صـ9 – 13 . ، و محمد محسن الظاهري " دكتور " ، الدور السياسي للقبيلة في اليمن ، مكتبة مدبولي – مصر ، الطبعة الأولى سنة 1996 ، صـ17 . ، و علي بن علي صبره ، اليمن ...الوطن الأم ، وزارة الإعلام و الثقافة ، الطبعة الأولى 1407 هـ– 1987 ، صـ12 – 13 ، و حمزة علي لقمان ، تأريخ القبائل اليمنية ، دار الحكمة – صنعاء ، الطبعة الأولى 1985 ، صـ9 ، اليمن كما يراه الآخر .... دراسات انثروبولوجية مترجمة – المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية – 1997 ، و منه
- Dresch , paul . 1990 . " Imams and Tribes : The writing and Acting of History in Upper , " in khoury, ph . and J, kostiner (eds) Tribes and state formation in the Middle East . Berkely : University of California press .

[2] - سالم ، سيد مصطفى " دكتور " ، تكوين اليمن الحديث ، صـ21 .

[3] - أبو غانم ، فضل علي أحمد " دكتور " ، القبيلة و الدولة في اليمن ، دار المنار للطباعة و التوزيع و النشر – القاهرة ، الطبعة الأولى 1410هـ - 1990 ، صـ43 .

[4] - الشرجبي ، قائد نعمان " دكتور " ، الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني ، صـ61 .

و هناك باحث بريطاني معروف هو بول دريش Paul Dresch عـاش بـين 1977 إلـى 1983 وسط القبائل اليمنية ليخرج بدراسة ميدانية انثربولوجية تعد من أهم الدراسات الصادرة عن القبائل اليمنية و سماها " الدولة و القبائل في تاريخ اليمن " و يرى أن هناك مظاهر قبليـة واضحة عند القبائل اليمنية و هي :-

1- أن جميع السكان و عائلاتهم مزارعون و ليسوا بدواً مترحلين .

2- أنهم ينتمون إلى عائلات معروفة .

3- أنهم مسلحون بالبنادق و الجنابي .

4- أن لهم أعرافاً و أسلافاً يحتكمون إليها في حل بعض المنازعات التي تحدث فيما بينهم .

5- العناية بالشرف وأن ما يكسر الشرف هو الإهانة أو الحط من القدر وليس الضرر المادي .

6- أن الاعتداء على المرأة أو الطفل أو الجار هي من الأعمال التي تسّود الوجه و هي عيـب كبير كعيب الاعتداء على الغريب .

7- تفشي ظاهرة الثأر و القطاع .

8- العدال بمعنى تقديم البنادق و الجنابي ضماناً لالتزام الطرفين المتنازعين بحكم المحكمين .

9- احترام رابطة العيش و الملح بين سكان تلك المناطق و مع غيرهم .

10- المسئولية الجماعية في تحمل أقساط الغرامات أي الفرق بحسب الحال و المال إذا فرضت تلك الغرامات على سكان المنطقة لسبب أو لآخر .

11- ظاهرة احتقار السوق ووجود فئة من السكان يشار إليهم بالضعفاء كالمزاينة و الدواشين .

12- ظاهرة ضعف حضور الدولة في تلك المناطق " أي مناطق القبائل "

13- و قد تحدث الباحث عن فئة المشائخ حديثاً مستفيضاً [1] .

و يرى البرفيسور الانجليزي روبرت برترام سرجنت R.B.Serjent أن أهم مظاهر القبيلـة هو القوة فقال : " تقاس قوة و شرف القبيلة بقدرتها على الدفاع عن نفسها و بنشر حمايتها على جماعات أخرى تتعهد بحمايتها و تفقد القبيلة مكانتها عند عجزها عن الدفاع عن نفسها " [2] .

[1] - دريش ، بول " برفيسور " ، الدولة و القبائل في تاريخ اليمن ، نسخة مترجمة غير منشورة ، قام بترجمتها الدكتور علي محمد زيد ، راجع " وهم القبيلة و خداع السياسة في اليمن " للأستاذ أحمد الحاج ، مجلة الحكمة ، العددان 224 – 225 ، صيف 2003 ، صـ21 – 36 .

[2] - Serjeant , R . B, " The interplay between tribal Affinities and religious (Zaydi) authority in the Yemen . (Special Issue : state and society in Arab world . Fuad khuri , ed .) al – Abhath 30 : 11- 50 . و قد قام الاستاذ الباحث أحمد صالح الجبلي متفضلاً بترجمته للباحث فجزاه الله عنه خيراً بعنوان " العلاقات المتداخلة بين الجماعات القبلية و السلطة الدينية (الزيدية) في اليمن " .

أما ملجأ أحكام تلك القبائل فهي إلى مجموعة من القوانين عرفت بـالعرف القبلـي [1] و قـد تطرق إلى ذكر بعضها اليهودي اليمني حاييم حبشوش في رحلته مع جوزيـف هـاليفي سـنة 1870 [2] و المستشرق الأثري النمساوي جلازر سـنة 1884 [3] و المستـشرق الألمـاني الدكتور كارل راثينس في 1937 [4] و دراسة ميدانية مشتركة للباحث البريطاني ار . بـي . سرجنت و المستشرق الإيطالي إتوري روسي Ettore Rossi [5] و الفرنسي جوزيف شـلحد Joseph Chelhod 1969 [6] و أخيراً قام البرفيسور بول دريش بنشر قواعد العرف [7] .

و القبيلة في تهامة عنصر أساسي في التكوين الديمغرافي لتهامة و هي كبقية قبائل اليمن لها – ما ذكر آنفاً – من شروط و مظاهر و سمات و خصائص .

و تعد الزرانيق من أكبر التكتلات القبلية في اليمن مع حاشد و بكيل [8] و هي عبـارة عـن اتحاد كونفدرالي قبلي يضم ما يلي :-

1- الزرانيق : و قد ذكرنا أنهم يتجاوزن المئة و العشرون فرعاً و يسمون بلهجـة الزرانيـق مغرم فهؤلاء مغارم الزرانيق " يقومون قومة رجل واحد و لا يتخاف أحد [9] "
2- قبائل الأصل : و هم الذين يشكلون الأصول التي تسلسل منها الزرانيق و كان لهم ذكر في التاريخ كما ذكرنا في الباب الأول كالمعازبة و بني محمد و الفـروع الكبيـرة للزرانيـق كالمجاملة و المغالسة و هؤلاء لهم مشائخهم .
3- قبائل تشترك مع الزرانيق بالنسب " الجد الأعلـى عـك أو ذؤال " و الأرض و التـاريخ و المعتقد و الفلكلور و العادات و التقاليد كالوعارية و المناصـرة و الجحبـة و المنـافرة و العبوس و الرماة و القحرى ....الخ . و هؤلاء أيضاً لهم مشائخهم .

---

[1] - العرف القبلي هو " مجموعة من القوانين غير مكتوبة و من العادات و التقاليد تناقلت شفويا عبر الأجيال متـضمنة لحكـم و قرارات زعماء القبائل و حكامها " ، أنظر : أحمد عبدالرحمن المعلمي : " الشريعة المتوكلية أو القضاء في اليمن " كتيب طبع في عدن بدون تاريخ الطبع و يوجد نسخة نادرة منه اطلع عليها الباحث في مركز ادريس حنبلة للتوثيق ، ثم أعيد نشر هذا الكتيب في مجلة الاكليل ، العدد الخامس ، صنعاء ، 1981 ، صـ78 .

[2] - حبشوش ، حييم بن يحيى بن سالم الفُتيحي توفي 1311هـ -1893 ، رؤية اليمن بين حبشوش و هاليفي ، نقلته إلى العربية و حققته سامية نعيم صنبر ، مركز الدراسات و البحوث اليمني ، الطبعة الأولى 1412 هـ - 1992 ، صـ 37- 93 .

[3] - جلازر ، ادوارد . اليمن في كتابات الأجانب ، ترجمة الدكتور احمد قايد الصايدي . (1) .

[4] - راثينس ، كارل " دكتور " ، الطاغوت و الـشريعة العـرف و الـشريعة الاسـلامية لـدى قبائـل المرتفعـات اليمنيـة ، ترجمة أ . د . أحمد قايد الصايدي ، مجلة الثقافة ، السنة الخامسة ، العدد الثلاثون – فبراير – مارس 1997 ، صـ75 – 93 .

[5] - سرجنت ، " العلاقات المتداخلة ...." ترجمة الأستاذ أحمد صالح الجبلي ، المرجع السابق .

[6] - شلحد ، جوزيف " يوسف " ، الأعراف اليمنية و صلتها بالقضاء القبلي ، مجلة العرب ، عدد ذو القعدة / ذو الحجة 1405هـ - يوليو / أغسطس 1985 و الجزء الثاني في عدد محرم / صفر – سبتمبر / أكتوبر 1985 ، صـ512 - 527 .

[7] - دريش ، بول . قواعد الملازم وثائق عرفية و قبلية من برط (اليمن) ، المعهد الفرنسي للآثار و العلوم الاجتماعية بصنعاء و المعهد الألماني للآثار ، صنعاء 2006 .

[8] - العطار ، محمد سعيد " دكتور " ، التخاف الاقتصادي و الاجتماعي في اليمن أبعاد الثـورة اليمنيـة ، المطبوعـات الوطنيـة الجزائرية ، الطبعة الأولى نوفمبر1965 ، صـ117 .

[9] - في حديث مع المشائخ : الشيخ شعيب الفاشق ، و الشيخ محمد يحي منصر ، و الشيخ بخيت جابري ، و الشيخ علـي فتينـي غلاب .

4- قبائل تشترك مع الزرانيق في الأرض و التاريخ و المعتقد و الفلكلور و العادات و التقاليد و ارتضت الانضواء في الاتحاد الكونفدرالي " الزرانيق " لأغراض الحماية و المكاسب الاقتصادية و الأواصر الاجتماعية كالقراشيه و الأشاعرة و لهم مشائخهم .

فكل ما سبق من مغارم " فروع " و أصول و قبائل تشكل الاتحاد الكونفدرالي الزرنوقي و الذي كان يرأسه " شيخ مشائخ الزرانيق " كما تحكي وثيقة هامة حصلت عليها و تعود إلى سنة 1315 هـ الموافق 1897 .

- ضعف الروح القبلية لدى الشوافع .

تلاحظ الباحثة السوفيتية جولوبوفسكايا أن البنية القبلية في المناطق السنية " الشافعية " ضعيفة فتقول : " إن تفكك الروابط القبلية – العشائرية عند القبائل الشافعية و فقدان المشائخ لسلطاتهم الواسعة يرجع إلى القرن الخامس الميلادي أثناء فترة حكم الرسوليين " هكذا " في المناطق التي تنتشر عليها القبائل الشافعية ، و قد أوجد الرسوليون جهازاً إدارياً قوياً يمثل السلطة في المناطق التي يحكمونها ، و ركزوا عملياً في أيديهم جميع الوظائف الأساسية و الاجتماعية و الاقتصادية التي كان يقوم بها سابقاً المشائخ " مجالس القبائل " ، و كان من اثر ذلك التحلل التدريجي للنظام القبلي في المناطق الجنوبية و اكتساب القبائل الشافعية لمسات المشاعية الفلاحية " [1] ثم تؤكد الباحثة هذه النتيجة بقولها : " فأقلعت القبائل عن الالتزام بالعرف القبلي و بدؤوا رويداً رويداً ينسون أصولهم القبلية ، و على الرغم من أن القبائل الشافعية لا تزال تنسب نفسها إلى القبيلة ، إلاّ أن اسم القبيلة يرجع مصدره إلى اسم القرية أو المنطقة أينما يتواجدون عليها " [2] .

و يؤيدها في دعواها الدكتور قائد نعمان الشرجبي في كتابه " الشرائح الاجتماعية " فيقول : " فمن الملاحظ أن الروح القبلية ظلت قوية و نشطه في منطقة المرتفعات الشمالية و المنطقة الشرقية بينما خفت هذه الروح كثيراً في المنطقتين الوسطى " اب " و الجنوبية " تعز " و في كثير من المنطقة الغربية " تهامة " [3] و هذا ما جعل البرفيسور بول دريش يقول : " أظهرت بعض الدول التي قامت في اليمن الأسفل أحياناً " كالصليحيين أو الرسوليين أو العثمانيين " مدى ضعف حصانة القبائل و عرضتها للعدوان . إن أكثر المناطق تحصيناً

[1] - جولوبوفسكايا ، ايلينا كارلفنا ، الدولة و القبائل في شمال اليمن في العقد السادس و السابع من القرن العشرين ، ترجمة / محمد عبدالواحد الميتمي ، دراسات يمنية ، العدد 31 ، صـ126 .
[2] - المرجع السابق .
[3] - الشرجبي ، قائد نعمان " دكتور " ، الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني ، دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت بالتعاون مع مركز الدراسات و البحوث اليمني – صنعاء ، الطبعة الأولى 1986 ، صـ57 .

هي تلك الواقعة في الجبال الغربية ، حيث القبلية ضعيفة مقارنة بتلك التي في الهضبة ، أوانها ، بتعبير أكثر دقة منظمة بطريقة مختلفة " [1] و يعلل ذلك بقوله : " إن سلسلة الجبال الوعرة في الغرب ذات المدرجات الكثيفة تمثل قاعدة زراعية غنية أيضاً ، كما أن اليمن الأسفل و هو الجزء المعروف بالمرتفعات الجنوبية التابع للجمهورية العربيـة اليمنيـة أغنـى زراعيـاً . و العلاقة السائدة ، في الحياة الاجتماعية هناك ، هي تلك التـي تقـوم بـين مالـك الأرض و المزارع ، و لهذا فاليمن الأسفل في الواقع غير قبلي " [2] .

و قد يكون الباحثون مسّوا كبد الحقيقة عندما عزوا ضعف الروح القبلية لدى الـشوافع إلـى الظلم و القهر و الاضطهاد المنظم من الدول و الأنظمة التي تعاقبت على حكم اليمن و لكـن هناك عوامل أخرى مثل العامل الحضاري و هي انفتاح السواحل على البحر و تقبـل الآخـر و كذا نشوء الحضارات و المستوطنات البشرية في هذه المناطق [3] و يرجع آخـرون هـذا الضعف إلى العامل التاريخي أيضاً ، إذ يرون أن ذلك " يرجع إلى فترة الحكم الأيوبي للـيمن (569 – 828) حيث خضع اليمن الأسفل و الجنوب و تهامة لبيروقراطية متقدمـة و حـل الموظفون المدنيون محل شيوخ القبائل في دور الوسيط بين الأفراد و الدولة و عبـر الـزمن فقدت المنطقة الكثير من خصائص القبلية " [4] .

و الحقيقة أن الزرانيق – و كلهم شوافع – إلا أن بنيتهم القبلية قوية و محافظة ، و يتميز أبناء الزرانيق بروح قبلية قوية ، إلاّ أنها تضعف عند عدم استدعاءها و يكاد المؤلف يجزم بعـدم وجودها و لكن فجأة تثب – و هذا ما سيراه القارئ – عند الحروب و الكوارث و المـصائب و الشدائد و الإحساس بتهديد الكيان الزرنوقي أو اهانته .

---

[1] - دريس ، بول " برفيسور " ، الأئمة و القبائل ، صـ218 .

[2] - المرجع السابق .

[3] - الحديثي ، نزار عبداللطيف " دكتور " ، أهل اليمن في صدر الاسلام ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، الطبعة الأولى 1978 ، صـ66 ، 67 ، 70 .

[4] - أحمد ، أحمد يوسف " دكتور " ، الدور المصري في اليمن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القـاهرة ، الطبعـة الأولـى ، 1981 ، صـ64 .

2- تقسيم الزرانيق في منتصف القرن التاسع عشر .

كان الزرانيق كقوة سياسية يظهرون في الأحداث موحدين و كـان يظهـر لفـظ " شـيخ الزرانيق "[1] و " رئيس الزرانيق "[2] كدليل على توحيد القبيلة في إطار واحد ، و لم تذكر كتب التاريخ هذه التقسيمات المعروفة اليوم قبل النصف الأول من القـرن التاسـع عـشر ، فالزرانيق عرفوا بتوحدهم و وحدتهم و لم يتبدل نمطهم ثم بدأت الصورة تتغيـر و تـنعكس و ظهر أن الزرانيق قُسمّوا إلى قسمين ، و عند دراسة تأريخية هذا التقـسيم و متـى تـم ؟ يتحدد هذا من خلال دراسة المرجعيات التاريخية عن القرن التاسع عشر ، و هنا توصلت إلى أن التقسيم ظهر في عهد الاشراف و الذين كانوا يحكمون تهامة في تلك الفترة ، و من ضمن الأحداث التي تعرضت لها تهامة ، الصراع بين الأشراف أنفسهم على حكم تهامة ، إذ يـذكر المؤرخ محمد بن لطف الباري الحيمي توفي بعد 1278هـ / 1862 في كتابه " أخبـار أقطار اليمن "ما يلي : " و في شهر ربيع الآخر من هذه السنة – 1265 الموافق مارس 1849 – أخبرنا بأنها وقعت المشاققة بين الشريف الحسين بن علي و بين الشريف الحسن بن محمـد في شأن فكلاهما يريد أن يصير ملك بلاد تهامة إليه فوقعت بينهما محاربة حتى صلح شأنهما على أن يصير لكل منهما جانباً منها ..."[3] .

ثم لم يلبث هذا التقسيم شهراً حتى قدم الشريف محمد بن عون و الباشا توفيـق فـي جمـادى الأولى 1265هـ الموافق 1849[4] فأقروا هذا التقسيم لكونه يخدم و يفيد القوى الغازيـة و يضعف قوة ووحدة الزرانيق .

و مما يؤكد و يعزز هذا الرأي هو ظهور التقسيم المشيخي في نفس الفترة ، فالشيخ الهبه علي فاشق شيخ الطرف اليماني بدأ حكمه متوازياً مع حكم الشيخ الهبه علي معـروف شـيخ الطرف الشامي في نفس الفترة الزمنية[5].

و هذا التقسيم كرّسه الاحتلال العثماني باستصدار " الفرمان السلطاني العثماني الـصادر بتاريخ 8 محرم 1290هـ - 1873 بشأن التقسيم الإداري لولاية اليمن اللائحة المرفوعة من

---

[1] - النعمي ، أحمد بن أحمد الحسني توفي 1258 هـ - 1842 ، حوليات النعمي التهامية ، بتحقيق و دراسة / حـسين عبـدالله العمري " دكتور " ، دار الفكر – دمشق ، دار الحكمة اليمانية – صنعاء ، الطبعة الأولى 1407هـ -1987 ، صـ46 ، البهكلي . نفح العود ، صـ253 .

[2] - جحاف ، لطف الله بن أحمد ، درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي و أعلام دولته الميامين ، مخطوطـة فـي مؤسسة إبداع ، أحداث سنة 1224 هـ .

[3] - الحيمي ، محمد بن لطف الباري قاضي ، أخبار أقطار اليمن لما شاع من الوقائع و الفتن و له عنوان جانبي آخر هو " الروض البسام فيما شاع في اليمن من الوقائع و الفتن ، نسخة محطوطة بالفاتيكان حصل الباحث على صورة منها من الدكتور جان لامبرت مدير المعهد الفرنسي للآثار و العلوم الاجتماعية بصنعاء .

[4] - المصدر السابق .

[5]- وثائق حصل عليها الباحث من شيخي الزرانيق (من الشيخ يحيى محمد منصر " شيخ الطرف الشامي " و الشيخ شعيب محمّـد الفاشق " شيخ الطرف اليماني ") .

والي ولاية اليمن الفريق احمد مختار باشا و على ضوء نظـام الإدارة العموميـة للولايـات الصادر عام 1871 وعلى ما اشتملت عليه سالنامة الدولة العلية العثمانية وسـالنمات ولايـة اليمن " [1] .

و بموجب تلك القوانين العثمانية و السالنامات الشاهانية تم تكريس التقسيم ، بل و ضم زرانيق الطرف اليماني إلى قضاء بيت الفقيه و زرانيق الطرف الشامي إلـى قـضاء باجـل حـسب سالنامة الدولة العلية العثمانية و سالنامة ولاية اليمن 1313 هـ [2] في محاولة يائسة من قبل الدولة العثمانية لإماتة روح المقاومة الزرنوقية و لضرب طرف بطرف و خلق توازن مريح للمحتل إنطلاقاً من مبدأ " فرق تسد " .

والحقيقة أن ذلك لم يمت روح المقاومة لدى الزرانيق و لم يفت من عضدهم بل كان عامل قوة فحاربوا بشراسة و شهد بذلك الجميع – كما سنرى في الباب الثالث – حتى خرج الترك فـي 1918 .

و تذكر المصادر بعد 1264هـ/ 1848 هذا التقسيم و اتفق على قسمين للزرانيق و هما :

1- قسم شمالي و يسمى الطرف الشامي و مركزه القوقر .

2- قسم جنوبي و يسمى الطرف اليماني و مركزه الحسينية .

و الطرف لفظة عربية صحيحة تعني كما في " لسان العرب لابن منظـور " الطـرفُ بالتحريك الناحية من النواحي و الطائفة من الشيء " [3] و أيدّه المرتضى الزبيدي في " تـاج العروس " [4] .

و أما اليماني فتعني الجنوبي و كذا الشامي و التي تعني الشمالي و هذا معـروف ، و النـاس يقولون : الطرف الشامي و يقصدون الناحية الشمالية ، و الطرف اليماني و يقصدون الناحية الجنوبية و قد اعتمد هذا المصطلح الجهاز المركزي للإحـصاء [5] و الأجهـزة الحكوميـة الحالية الأخرى [6] .

و لكن هل هناك حدود فاصلة بين الطرفين الشامي و اليماني ؟

---

1 - العزير ، عبدالكريم " دكتور " ، التشكيلات المركزية العثمانية و الإدارة المحلية في اليمن ، 1850 – 1918 ، صـ147-148 .

2 - المصدر السابق ، صـ154 ، سالنامة 1313هـ ، مطبعة الولاية .

3 - ابن منظور ، محمد بن مكرم المصري ، لسان العرب ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى ، جـ9 ، صـ213 .

4 - الزبيدي ، تاج العروس ، مادة " ط . ر . ف " .

5 - الجهاز المركزي للإحصاء ، النتائج النهائية لتعداد السكان لسنة 2004 .

6 - مثل الصحة و الإدارة المحلية و الأمن .

في الحقيقة لا يوجد نص تاريخي أو وثيقة تثبت ذلك ، و لكن جرى العرف أن تتخذ مدينة بيت الفقيه كحد فاصل بينهما و ليس محيط المدينة فقط ، بل قسمت المدينة نفسها إلى شمالية و جنوبية ، و جعل مبنى الحكومة و القلعة العثمانيتان بوسط المدينة هما الحد الفاصل ، فما كان شمال مبنى الحكومة العثمانية و القلعة [1] فهو طرف شامي و ما كان جنوب المبنى الحكومي و القلعة فهو للطرف اليماني[2] .

و من أقدم ما توصلت إليه من وثائق هو كتاب تاريخ اليمن و صنعاء للضابط العثماني أحمد راشد بك و الذي يذكر في سنة 1289هـ الموافق 1872 " أن قبائل الزرانيق كبيرة و تابعة إلى بيت الفقيه و تنقسم إلى أربعة أقسام و هي قبيلة (شامي) ، و (غليفقة) ، و (الجاحة) ، و (يماني) و هذه الأقسام أيضاً تتشعب إلى قبائل أخرى كل منها لها أسمها الخاص " [3] . أما الوثائق المحلية فلم أتوصل إلاّ إلى وثيقة خطية نادرة و مذيلة بآخر ختم و تاريخ 25 محرم 1315هـ - 25 يونيو 1897 و فيها ختم " شيخ الطرف الشامي " و لكن فيها ختم " شيخ مشائخ الزرانيق " أيضاً ...!

و يلاحظ المؤلف أن كل المصادر و الوثائق تؤكد التقسيم بعد الفرمان السلطاني و السالنامة الرسمية للدولة العثمانية سنة 1313هـ - 1895 .

و من وثائق الاستخبارات البريطانية ، نجد تقرير استخباري كتبه الميجر ج . ك . تود J .K .Tod و مؤرخ هذا التقرير بـ " 30 أغسطس 1902- يوم السبت 26 جماد أول 1320هـ " حيث يذكر التقرير أن " بيت الفقيه هي المركز الرئيسي لقبيلة الزرانيق ، و بها حامية تركية تتألف من 200 ، و هي تتكون من 500 منزل ، و الأغلبية مبنية من الطين ، و للزرانيق اثنين من المشائخ الرئيسيين و هما : حسن شانته و محمد شانته [4] و السابقان يعيشان في بيت الفقيه ، و هما أذعنا للأتراك ، إلا أن الأخير يقود ثورة في الحسينية ضد الأتراك " [5] .

---

[1] - ملحق رقم (4) .
[2] - لقاءات مع المعمرين : يحي عبدالله العمري ، و محمد فتيني لبن مقبول ، و سالم يحي مشهور ، و الفتيني أشرم ، و العاقل الجمال و، و علي جربوح، و يحي حسن زبري ، و المشائخ السابق ذكرهم .
[3] - راشد بك ، أحمد . تاريخ اليمن و صنعاء ، الجزء الثاني ، صـ158 .
[4] - Husen shantah and Mohammad shantah .
[5] - Ingrams , D and L . , Records of Yemen Vol . 5. Administrative state of the Yemen , 1900-1904, P.365 .

و في زيارته لتهامة في أغسطس 1919 / ذي القعدة 1337هـ ، يقول الضابط البريطاني اللفتانت كولونيل هارولدف . جاكوب ما يلي : " يوجد اثنان من الزعماء المشائخ و هذان يقيمان في خوخر[1] و الحسينية "[2] .

و في عام 1922 / رمضان1340 هـ زارها الأديب أمين الريحاني و ذكر أن الزرانيق " يقسمون قسمين ، زرانيق الشام أي القسم الشمالي و زرانيق اليمن أي القسم الجنوبي "[3]

و قد تلقف كتاب الأئمة الزيدية هذه المعلومة ، فذكرت كما هي ، و من خلال سيرة الإمام الزيدي يحي بن حميد الدين و المسماة بـ" كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأئمة " ذكر المصنف عبدالكريم بن أحمد مطهر ضمن أحداث سنة 1340هـ - 1922 مصطلحي (قبائل الزرانيق الشامي – قبائل الزرانيق اليماني)[4] و هكذا ذكر الارياني في " صادق التحاقيق " زرانيق اليمن و زرانيق الشام[5] و الواسعي[6] و الجرافي[7] و الويسي[8] و أما الحجري فقد حدد ذلك فقال : " و يقال لمن في جنوبي بيت الفقيه أهل الطرف اليماني و لمن في شمالها أهل الطرف الشامي "[9] و آخرهم الشاعر الأستاذ عبدالله البردوني و الذي يقول في " اليمن الجمهوري " : " لأنها – أي بيت الفقيه – تقسمها إلى قسمين : القسم الشمالي أو الشامي كما يسمونه يمتد من شمال بيت الفقيه إلى المنصورية إلى تخوم ريمة ؛ و يقسم هذا الصقع بكثافة الكثبان و جمرية الرمال ، أما الشق الجنوبي فيمتد من جنوب بيت الفقيه إلى البدوه منطقة القصرة و هو متشابك الأدغال متعرج المسالك "[10] .

أما الكتاب و الرحالة و الضباط العرب فقد ذكروا نفس ما ذكره الريحاني إلا أنهم وقعوا في أخطاء جسيمة و منها ما ذكره ضباط البعثة العسكرية العراقية في اليمن ككتاب قلب اليمن لمحمد حسن المحاويلي[11] .

و كتاب سيف الدين سعيد آل يحيى المسمى بـ " تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن " و الذي أخطأ في تحديد المفهوم للشام " شمال " و اليمن " الجنوب " فيقول : " و الزرانيق

---

[1] - يقصد القوقر .
[2] - جاكوب . هارولدف . ملوك شبه الجزيرة العربية ، صـ223 .
[3] - الريحاني ، أمين ، ملوك العرب ، جـ1 ، صـ276 .
[4] - مطهر ، القاضي عبدالكريم بن أحمد " توفي 1366هـ - 1947 " ، سيرة الإمام يحي بن محمد حميد الدين المسماة " كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة " ، تحقيق محمد عيسى صالحية " دكتور " ، دار البشير – الأردن ، الطبعة الأولى جـ2 ، صـ323 .
[5] - الارياني ، حسن بن أحمد بن حسن " 1319- 1388هـ" ، صادق التحاقيق فيما جرى في حاشد و الزرانيق ، " مخطوط " .
[6] - الواسعي ، عبدالواسع بن يحي ، فرجة الهموم و الحزن في حوادث و تاريخ اليمن ، صـ21 .
[7] - الجرافي ، القاضي عبدالكريم بن عبدالله ، المقتطف من تاريخ اليمن ، مطبعة عيسى الحلبي و شركاه ، الطبعة الأولى سنة 1951 – 1370هـ ، صـ18- 26 .
[8] - الويسي ، حسين بن علي ، اليمن الكبرى ، مطبعة النهضة العربية – القاهرة ، الطبعة الأولى1382هـ /1962، صـ 152 .
[9] - الحجري ، القاضي محمد بن أحمد ، مجموع بلدان اليمن و قبائلها ، المجلد الثاني الجزء الرابع ، صـ636 .
[10] - البردوني ، عبدالله ، اليمن الجمهوري ، مطبعة الكاتب العربي – دمشق ، الطبعة الأولى ، 1983 ، صـ141 .
[11] - حسن ، محمد ، قلب اليمن ، مطبعة المعارف – بغداد ، الطبعة الأولى 1948 ، صـ10 .

قسمان : زرانيق الشام – أي القسم الشمالي من تهامة اليمن ، و تستثنى منهم قبيلـة عربيـة مشهورة بالبأس و عزة الجانب هي قبيلة " القحـراء " ... و زرانيـق الـيمن – أي القـسم الجنوبي من تهامة اليمن " [1] و يفهم من كلامه أن الزرانيق تمتد شمالاً و جنوباً في تهامـة اليمن ، و هذا ما أوقع دكتور جغرافي كتب بحثاً بعنوان " تهامة اليمن " في أخطـاء كثيـرة و منها قوله " يمكن تقسيم الزرانيق إلى مجموعتين متميزتين : زرانيق الشام و هـم أولئـك الذين يسكنون الشمال ابتداء من المنصورية و حتى زبيد ، أما أولئك الذين يـسكنون جنـوب زبيد فيطلق عليهم زرانيق اليمن " [2] .

و من أخطاء الكتاب العرب ما نقله الدكتور أحمد فخري عن الجرافي [3] و حـسن محمـد جوهر و محمد السيد أيوب عن الريحاني [4].

و هذه مجمل الآراء في تقسيم الزرانيق إلى قسمين قسم الطرف الشامي " الـشمالي " و قـسم الطرف الجنوبي " اليماني " .

---

1 - آل يحي ، سيف الدين سعيد " عميد ركن " ، تأريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن للفترة من 1940 إلى 1943 ، دائـرة التدريب / مديرية التطوير القتالي ، المطابع العسكرية – بغداد ، الطبعة الأولى ، حزيران 1986، الجزء الأول صـ233 .

2 - جعفر ، محمد حلمي محمد " دكتور " ، تهامة اليمن ، صـ 66 .

3 - فخري ، أحمد " دكتور " ، اليمن ماضيها و حاضرها ، مراجعة و تعليق الدكتور عبدالحليم نور الدين ، المكتبة اليمنية للنشر و التوزيع – صنعاء ، منشورات المدنية – بيروت ، الطبعة الثانية 1409 – 1988 ، صـ78 .

4 - جوهر و أيوب ، حسن محمد جوهر و محمد السيد أيوب ، اليمن ، الدار القومية للطباعة و النشر – القاهرة ، صـ33 .

3-مشيخة الزرانيق .

يقوم النظام القبلي السياسي على أساس وجود شيخ يقود التكتلات و البنى الاجتماعية و من هذا المنطلق نجد أن الزرانيق يقودهم مشائخ و شخصيات كارزمية و مقادمة حسبما سنذكر في مبحث " التكوين الطبقي للزرانيق " .

و هؤلاء تميزوا بصفات قلما تميز بها غيرهم مثل الدهاء و الحنكة و السياسة و مدارة الأمور فضلاً عن الشجاعة و البطولة و الكرم و إغاثة الملهوف و إجارة المظلوم ...الخ .

و هذا ما أثار إعجاب الأدباء و الكتاب ، يقول أمين الريحاني : " أما شيوخهم فلا ينقصهم في السياسة ختل [1] و دهاء . هم دائماً يمثلون في رواية تهامة السياسة " [2] .

و من أقدم المشائخ الذين ذكروا في تاريخ العصر الحديث هو الشيخ الهبه علي شيخ الزرانيق ، و هذا الشيخ توفي حسب رواية النعمي في سنة 1225 هـ - 1810 [3] في حين يرى المؤرخ لطف الله بن أحمد جحاف أنه توفي في ربيع الأول سنة 1224 – ابريل 1809 [4] و أيده القاضي عبدالرحمن البهكلي في كتابه " نفح العود " [5] .

و الحقيقة أن شخصية الهبه علي هذا هي شخصية كارزمية غامضة بل و يعد عند الزرانيق ميثولوجية بكل ما تحمله هذه الكلمة من مفهوم ، فمشائخ الطرفين : الطرف الشامي و الطرف اليماني يدّعيان انتسابهم إليه ، فالفواشق – و هم مشائخ الطرف اليماني – يقولون أن الهبة علي هذا هو جدهم و ما هو إلاّ الهبة علي فاشق ، و المعاريف – مشائخ الطرف الشامي – يقولون بل هو جدهم الأعلى و ما هو إلاّ الهبة علي معروف ، و هنا كان على المؤلف استقراء الوثائق و استفهام المعمرين و إطلاق العنان لهم للوصول إلى الحقيقة و مقارنتها بكتب التاريخ في تلك الفترة ، فالرجل كان له تاريخ و تأثير في تاريخ تهامة ، فكيف كان مقتله ؟.

يذكر النعمي و هو مؤرخ تهامي في " حولياته التهامية " مقتل الشيخ الهبة علي بقوله :" و لما كان سنة 1225هـ / 1810 قدّم الشريف حمود بن محمد يام [6] على الزرانيق وحصل

---

1 - الختل هو الخداع .

2 - الريحاني ، أمين ، ملوك العرب ، جـ1 ، صـ276 .

3 - النعمي ، أحمد بن أحمد الحسني ، حوليات النعمي ، صـ46 .

4 - جحاف ، لطف الله بن أحمد ، درر نحور الحور العين ، أحداث سنة 1224هـ .

5 - البهكلي ، عبدالرحمن بن أحمد ، نفح العود ، صـ278 .

6 - يام و هم قبائل من همدان من حاشد و ينسبون إلى يام بن أصبا بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد يسكنون في نجران ، مجموع بلدان اليمن و قبائلها للحجري ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع صـ734- 775 .

الحرب بينهما ، فلما غُلِب شيخهم الهبة علي أحرق الجبخانة [1] على أولاده و من في القلعة و خرج و قتل " [2] .

أما المؤرخ لطف الله بن أحمد جحاف و هو مؤرخ زيدي فيـ ذكر الحـ دث ضـ من أحـ داث 1224هـ / 1809 فيقول : " و فيها – ربيع أول – وجه حمود على قبائل الزرانيق طوائـ ف من يام و غيرها فالتحموا قتالاً شديداً ، و انجلت عن خمسمائة قتيل من الزرانيق و ثلاثمائـ ة من يام ، و قتل من الزرانيق رئيسها ، و عاد كلٍ من الجيش بلاده " [3] .

أما البهكلي و هو الذي عاش في بيت الفقيه و مات بها ، فيذكر الحدث ضـ من 1224هـ ـ / 1809 و يقول ما يلي : " و من ذلك أنه – أي الشريف حمود – أرسل ليام و جهزهم صحبة ولده الشريف أحمد بن حمود على قبائل " عك " من " الزرانيق " و من على جـ يلهم لأنهـ م كانوا خرجوا عن الطاعة و خشي أن يكاتبوا عبدالوهاب " أبو نقطة " ، و يتوسعوا لطائفة من جنده في بلادهم فتعظم بذلك المحنة على الشريف ، فأخذهم الشريف أحمد بالجند اليامي و قتل منهم قدراً لا يحصى ، و أحرق بيوتهم و هدم معاقلهم ، حتى صاروا كأمثال الناس لما لقـ وه من شدة البأس " [4] .

فهذه هي المعلومات الموجودة عن الشيخ الهبة علي في كتب التاريخ ، و إذا ما أُضيف إليهـ ا التراث الشفهي و غُربل من الميثولوجية ، فسوف ترتسم صورة مقربة لهذه الشخـ صية بنـ اء على المعطيات التالية :

1- أن الشيخ الهبة علي كان شيخاً للزرانيق كلهم دون تقسيم بينهم و أنه كان يمتلك " قلعة " .
2- أن الشيخ الهبة علي كان يتميز بالبطولة و الشجاعة و الحمية و الفداء .
3- أن تهامة – و منها الزرانيق – تعرضت في تلك الفترة إلى موجات بشرية ذات صـ فات همجية و وحشية من قبل قبائل يام و عسير و غيرهم هدفها الاستيلاء و السلب و النهب .
4- أن هذه القبائل " يام و غيرها " كانت كثيرة و غليظة و عنيفة .

يقول جحاف في أحداث " 1215هـ - 1800 " عن وحشية قبائل يام ما يلي : " و فيها سارت قبيلة يام كالتي قبلها من الأعوام و قصدوا تهامة اليمن ... فأظهروا المنكـ رات مـ ن الـ سبي و الزنا و القتل و عاملوا أهل الإسلام معاملة الكفرة اللئام ...و كانت قبيلة يام إذا مرت بمحل

---

[1] - الجبخانة : مخزن مواد الحرب من بارود و قنابل و سلاح " تركية " .
[2] - النعمي ، حوليات النعمي ، صـ 46 .
[3] - جحاف ، درر نحور الحور ، أحداث سنة 1224 هـ .
[4] - البهكلي ، نفح العود ، صـ 278 .

دمرته و أخذت محاسن ما فيه من الأموال و قتلوا النساء و دفنـوهن إلا العـورات فأبقوهـا منكشفة ... "[1] فهذه هي أحد أساليبهم .

و ضمن أحداث 1216هـ/ 1810 يقول : " و فيها تحركت قبيلة يام و قصدت التهايم ، فعاثوا بها و انتهكوا الحرمات و نهبوا الأموال و استرقوا النساء و الصبيان ، و عملوا من فـضائح الأمور من الزنا و اللواط و الإحراق ما لا يعلم إلاّ الذي يعلم ما تكن الصدور و عادوا و قـد أوقروا حمائلهم من جميع المشتهيات "[2] .

و هذه الصورة المتوحشة و المستحلة لكل شيءٍ هي التي جعلت شيخ الزرانيق يقاتـل بكـل بسالة و فدائية و الموقن بالموت من دون شك و المدرك لطبيعة هؤلاء الهمج ، فلهذا لا يستبعد حسب ما يرويه المتخيل الشعبي في موروثه الفلكلوري أن ينزل هـذا الـشيخ إلـى الميـدان متوشحاً سلاحه و متقدماً جموعه الزرنوقيه وبعد أن أحرق كل شيءٍ يمكـن أن تـسلبه تلـك القبائل إياه من مال و سلاح و ذخيره و نساء و الأخير عار و أي عار ، فنزل يقول : " النار و لا العار ، النار و لا العار ، النار و لا العار "[3] .

هكذا يتصوره المتخيل الشعبي ، بطل كارزمي ، و أصبح مضرب الأمثال حسبما يقول النعمي في حولياته ضمن حوادث 1243هـ/ 1828 و التي أراد السيد علي بن أحمد كـزيح شـيخ حيس أن يفعل مثلما فعل الشيخ الهبة علي[4] .

و مما سبق يتضح سببية تصميم مشائخ الطرفين " الشامي و اليماني " في اعتبار الشيح الهبـة علي هو الجد الأعلى لهم و يدّعي كل طرفٍ منهما أنه من نسل هذا الرجل ، و يرى المؤلف أن مسألة الحسم في أحقية أحد الطرفين بالانتساب إلى الشيخ الهبة علي ، مسألة حساسة جـداً لدى المؤلف ، و لذلك سيتطرق إلى ذكر مشائخ الطرفين حتى 1918 .

---

[1] - جحاف ، درر نحور حور العين ، أحداث سنة 1215 هـ .

[2] - المصدر السابق ، أحداث سنة 1216 هـ .

[3] - و يرون أن المعركة كانت في المجرب حتى سمي بالشيخ الهبة علي صاحب المجرب و ممن روى لنا هذه القصة العاقل علي جربوح، و محمد سعيد حكيمة ، و العاقل الجمال .

[4] - النعمي ، حوليات النعمي ، صـ91 .

1- مشائخ الطرف الشامي .

مشائخ الطرف الشامي هم آل معروف ، و مقرهم قرية القوقر ، و أصلهم مـن بيـوت المعاريف و هي قرية تقع بين دائرتي عرض 22¯ و14° شمالاً و خطي طول 18¯ و 43° شرقاً في الحسينية بالطرف اليماني جنوب بيت الفقيه ، و المعاريف فرع قـوي و كبيـر فـي الزرانيق و ممتد بين الطرفين " الشامي و اليماني " .

و من خلال دراسة لتسلسل مشائخهم ، بدءاً بالشيخ الهبة علي (معروف) حتى الشيخ منـصر معروف في 1918 و هم على النحو التالي :

1- الشيخ الهبة علي معروف بدءاً من 1263 هـ .

2- الشيخ حسن بن إسماعيل بن الهبة علي معروف .

3- الشيخ احمد بن حسن بن إسماعيل بن الهبة علي معروف .

4- الشيخ الجروب بن حسن بن إسماعيل بن الهبة علي معروف .

5- الشيخ بكر بن الجروب بن حسن بن إسماعيل بن الهبة علي معروف .

6- الشيخ منصر بن منصر بن حسن بن محمّد بن الهبة علي معروف .

7- الشيخ يحيى بن منصر بن منصر بن حسن بن محمّد بن الهبة علي معروف .

2- مشائخ الطرف اليماني .

مشائخ الطرف اليماني هم آل الفاشق ، و مقرهم الدائم الحسينية ، و أصلهم من قرية الفواشق و التي تقع بين دائرتي عرض 26̄ و 14° شمالاً و خط طول 21̄ و43° شرقاً في الطرف اليماني جنوب بيت الفقيه ، و هم أصل متأصل في الزرانيق و بيت عزيز قوي ، تقول روايات المتخيل الشعبي و بشكلها الأسطوري الرائع : " انه عندما سمع الشيخ الهبة علي فاشق بقدوم قبائل يام و قبائل أخرى معها ، و أدرك الشيخ الهبة علي الفاشق أن الموت محاط به ، فقدم إلى قلعته [1] و جمع ماله و سلاحه و ذخائره و نساءه و أولاده ، و أحرق القلعة بمن فيها ثم نزل إلى الميدان مقاتلاً قتال الإبطال حتى أستشهد ، و كان له جارية أخفت ولداً من أولاده قبل تفجير القلعة و هربت به إلى بلاد السوح و جلست عند شيخ قبيلة البشرى حتى إذا شب هذا الولد و بلغ مبلغ الرجال و نظر شيخ البشرى إلى ذلك الفتى و رأى فيه ملامح النجابة و البطولة و أدرك أن له شأناً عظيماً استحلف الجارية بكنهة هذا الفتى ، فأخبرته الحقيقة ، و هنا ساعده هذا الشيخ في العودة إلى بلاد الزرانيق و عاد كشيخ و استمر منه نسل مشائخ الفواشق " [2] .

هكذا تورد الرواية الشعبية و بشكل مشوق و جذاب القصة ، وقد عمل قائمة للمشائخ الفواشق معتمداً في ذلك على الروايات الشفوية و على قائمة المشائخ الفواشق و التي أعدها المأمون داود حسن محمّد فاشق و وضع لها تواريخ ....! و هم على النحو التالي :

1- الشيخ الهبة علي فاشق بدءاً من 1263 هـ .

2- الشيخ يحيى بن الهبة علي فاشق.

3- الشيخ محمد بن يحي بن الهبة علي فاشق.

4- الشيخ منصر بن يحيى بن الهبة علي فاشق.

5- الشيخ محمّد بن يحيى بن الهبة علي فاشق.

6- الشيخ حسن بن يحيى بن الهبة علي فاشق.

7- الشيخ حسن بن محمّد بن يحيى بن الهبة علي فاشق.

---

[1] - القلعة و تسمى حصن الفاشقي و تقع في شرق الحسينية و تطل على تل مرتفع و لها موقع استراتيجي ، و قد تهدم هذا الحصن أثناء حرب الزرانيق مع الأئمة الزيدية في 1346هـ / 1928 و أعيد ترميمه في 1348 هـ - الموافق 1930 .

[2] - هذه الرواية سمعتها من أغلب من ذكرتهم في السابق و بالأخص منهم علي جربوح، و العاقل الجمال ، و فتيني أشرم ، و سعيد حكيمة .

الفصل الثاني

البنية الاجتماعية

1- التكوين الطبقي للزرانيق .

2- حياة الزرانيق اليومية و مأكولاتهم و ملابسهم .

3- مساكن الزرانيق .

1- التكوين الطبقي للزرانيق .

تتسم البنية الطبقية لدى الزرانيق بتركيبة اجتماعية متولدة منـذ القـدم ، و بـالاختلاف الجذري في قمة هرمتيها الطبقية عن بقية القبائل اليمنية ، بل و عن عاصمتها بيـت الفقيـه ، و هذه التراتيبية في البنية الطبقية الاجتماعية تجعل " المقادمة " و هم – كما سنرى – رجـال الحرب و المشورة فهم الذين يقودون الزرانيق فعلياً و إن كان على رأس الهرمية الطبقيـة " المشائخ " فالمقادمة هم بمثابة مجلس شوروي لا يخرج " المشائخ " عن رأيهم ، و تتسم البنية الطبقية أيضاً – كما قلنا – باستبعاد " المناصب " و هم القادة الروحيون عن قمـة الهرميـة الاجتماعية ، فالزرانيق رجال حرب و كر و فر لا يخضعون لأحدٍ اطلاقاً إذا ثاروا .

و هذه السمات للخصوصية الزرنوقية في تركيبة بنيتها الطبقية هي التي جعلت الغزاة يتركون الزرانيق و شأنهم و يسعون إلى مراضاتها و مسالمتها و تجنب المساس بها .

و قد توصل المؤلف إلى التركيبة الاجتماعية للزرانيق من خلال المسح الميداني و اللقـاءات المتعددة مع كل البنى الطبقية و خرج بهذه التراتيبية و هي كما يلي :-

1- المشائخ .

و الشيخ له دور رئيسي عند القبائل ، و يمثل الرأس و هو الـ " متحدث باسم مجموعة القبيلة و الذي عليه مواجهة السلطة الإكراهية للدولة " [1] و يمثل " قمة الهرم الاجتماعي فـي البنية القبلية " [2] و له صلاحيات واسعة عند الزرانيق و بشكل عام عند بقية قبائـل الـيمن ذكرها الدكتور قائد نعمان الشرجبي و قسمها إلى مهام داخلية و مهام خارجية فـ ـ " أولـى مهامه الداخلية و أهمها على الإطلاق هي حفظ الأمن و الاستقرار ، و يـتم ذلـك بواسـطة العرف القبلي الذي يسهر على تطبيقه بحزم ، فهو الذي يفصل بين كافة النزاعات و الخلافات – صغيرة كانت أم كبيرة – التي تحدث بين أفراد القبيلة أو المنطقة ...إن مهام الشيخ و دوره داخل القبيلة أو المنطقة في غاية الأهمية ...و على وجه الخصوص في حالات الاضـطرابات السياسية و عدم الاستقرار السياسي و في غياب أو ضعف السلطة المركزية " [3] .

أما مهامه الخارجية فيذكر أن " الشيخ مسئول عن علاقة قبيلته أو منطقته بالخارج و المتحدث باسمها و المدافع عنها ... و هو الذي يمثل القبيلة و يقوم بإبرام الصلح و التحالف أو إعـلان

---

[1] - كروزه ، هانس " بروفيسور " . الأنظمة القبلية و التركيب الاجتماعي حالة الجمهورية العربية اليمنية ، ترجمة سلطان ناجي ، مجلة الحكمة اليمانية ، العدد 94 ، السنة الحادية عشرة ، أغسطس / سبتمبر 1981، صـ38 .

[2] - المقرمي ، عبدالملك " دكتور " ، التاريخ الاجتماعي للثورة اليمنية رؤية سوسيولوجية لتحول بناء القوة ، دار الفكر المعاصر – بيروت ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة الأولى 1411هـ/ 1991 ، صـ153 .

[3] - الشرجبي ، الشرائح الاجتماعية التقليدية ، صـ174 .

الحرب نيابة عنها إلاّ أنه في هذا الصدد لا يتخذ أية قرارات – و خاصة الخطيرة منهـا – إلاّ بعد التشاور مع عقال القبيلة و وجهائها " (1) .

و يلخص المفكر فرد هوليدي Fred Hallidy هذا الدور بقوله " رئيس القبيلة كـان الـشيخ و لديه مهمتان أساسيتان : ممارسة دور الحكم داخل القبيلة بين الأجنحة المتصارعة و تمثيـل زعماء العائلة الذكور و صلاحياته في التحكيم تتضمن سلطة الإدارة الاقتصادية " (2) .

و لدى الزرانيق – كما ذكرنا – شيخين ، شيخ للطرف الشامي " الشمالي " و شـيخ للطـرف اليماني " الجنوبي " ، و لكن من خلال النصوص والوثائق التاريخية، يتضح أنه كان لـديهم " شيخ مشائخ" و هذا دليل على النمط الاتحادي " الكونفدرالي " كما يذهب الدكتور عبد المالـك المقرمي حيث يقول : " مشايخ المشائخ :- و هم رؤساء الاتحادات القبلية الكبرى ، إذ كانـت القبائل الشمالية خصوصاً تتجمع في اتحادات قبلية " كونفدرالية " يقوم على رأسها شيخ مشايخ يجمع في يده سلطات يحددها طبيعة تكوين الحلف " (3) .

و يأتي بعد المشائخ ، مشائخ أقل أو صغار ينضوون تحت هؤلاء المشائخ و يتبعون المـشائخ الكبار في كل الأمور ، و كان يتم اختيار المشائخ بطريقة ديمقراطية و هي تقاليد راسخة لدى الزرانيق و لدى القبائل اليمنية ككل (4) و ذلك عن طريق دعوة أفراد القبيلة لاختيار شيخ لهم ، ثم مع مرور الزمن أصبح الأمر لا يعدو عن كونه وراثياً ومحصوراً في عائلة واحدة فقط .

2- المقادمة .

المقدمي أو بلهجة الزرانيق " المجدمي " و هو الذي يقدم الأشياء و يقتحم الأمور، يتقدم الناس ، و يمشي في الحروب قدماً (5) و هؤلاء يمثلون المحرك الحقيقي للزرانيـق ، ومـا علـى المشائخ إلاّ إتباعهم و تنفيذ ما يرونه صحيحاً و مناسباً .

فهم مجلس شوروي ، يتناقشون و يتبادلون الآراء و يستعرضون المواقف ثم يخرجون بـرأي مجمع عليه في أي شيءٍ يخص الزرانيق سواء كان خطراً أو كارثة أو نزاعاً ...الخ

---

[1] - المرجع السابق .

[2] - هوليدي ، فرد " برفيسور " . الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية ، ترجمة حازم صاغية و سعد محيو ، دار ابن خلدون – بيروت ، الطبعة الثانية – نيسان 1978 ، صـ13 .

[3] - المقرمي ، عبدالملك " دكتور " . التاريخ الاجتماعي للثورة اليمنية ، صـ 195 .

[4] - ندوة مركز الدراسات المستقبل ، القبيلة و الدولة في اليمن ، ادارها د / فارس السقاف و شارك فيها د / فضل أبو غانم ، و الشيخ حميد الأحمر ، و الشيخ حمود الذارحي ، و د / حمود العودي ، و الاستاذ / عبدالرحيم محسن ، 1995 ، صـ36-40 . و الاستاذ / عبدالباري طاهر ، اليمن الإرث و أفق الحرية ، مؤسسة العفيف الثقافية ، الطبعة الأولى 2001 ، صـ 166-180 .

[5] - ابن منظور ، لسان العرب ، جـ12 ، صـ465، تاج العروس للزبيدي ، مادة " م . ق. د . م " .

و يمثل كل فخذ قوّي من الزرانيق عضوٌ واحد و هذا الفخذ قد يشمل فروعاً متعددة من الزرانيق فالقباصية – مثلاً – لهم عضوٌ واحد و إن تعددت أسمائهم و كذا الجنادية و الصرادحة و المشاهير ... و هلم جرا .

و للمقدمي صفات متعددة و أهمها على الإطلاق هي الشجاعة و البطولة و الإقدام في الحروب و الشهامة ، و هناك صفات أخرى كالكرم و البذل و العدل ...الخ .

و كثير من المقادمة ذو صفات بدنية متميزة من حيث الحجم و الطول و إن كان هذا المعيار ليس دائماً المقياس كما رجح بعض المعمرين الذين التقاهم المؤلف [1].

و بعض المقادمة يحتلون مناصب العقال و لكن ليس ذلك دائماً ، و المقادمة أصحاب أراضي واسعة و ملكيات كبيرة و ثروة ، ولكن المقدمي أيضاً مزارع ...يحرث و يبذر و يرعى دوابه .. و هو مقاتل شرس و عنيد أيضاً .

يقول البروفيسور الألماني كروزه :- " إن النظام الاجتماعي للقبائل المستقرة ... ليعطي عدداً من الأدوار لأؤلئك المنتمين إلى الجماعة المعينة كأعضاء أو توابع ، فبين الأعضاء الذين هم متساوون بسبب علاقة القرابة العصبية ، فإن التباين مبدئياً سيكون على أساس الجنس و العمر ، فالدور الاعتيادي للعضو الناضج الذكر القادر في الجماعة سيكون هو دور المزارع المباشر و المقاتل في أوقات النزاع ، فالإنتاج و الدفاع هما المهنتان الاجتماعيتان الأساسيتان لمصلحة الحفاظ على بقاء الجماعة " [2] .

و هذه الطبقة يمكن أن يصل إليها الفرد الزرنوقي إن أظهر صفات كاريزمية لفتت إليها أنظار فخذه ثم قبيلته ، و هؤلاء المقادمة هم في كثير من الأحيان من أصحاب الملكيات الواسعة و لكن ذلك ليس بصفة دائمة ، فأصحاب الملكيات الواسعة قد يكونون المشائخ أو المقادمة أو المناصب أو الفلاحين إذا استكثروا من شراء الأراضي و استصلاحها .

3- المناصب .

و المنْصِب في اللغة " الأصل و المرجع و الذي يرجع إليه الناس " [3] ثم يضيف المرتضى الزبيدي وهو " تهامي " و يدرك ما يحمله هذا المعنى فقال في " تاج العروس " ما يلي : " و المنصب لغةً : الحسب و المقام ، و يستعار للشرف أي : مأخوذ من معنى الأصل و منه :- منصب الولايات السلطانية و الشرعية ، و جمعه : المناصب ، و في

---

[1] - استقى الباحث مادته عن المقادمة من المعمرين و المشائخ و المذكورين سابقاً .

[2] - كروزه ، هانس . الأنظمة القبلية و التركيب الاجتماعي ، صـ34 .

[3] - الفيروز أبادي . القاموس المحيط ، جـ1 ، صـ 177 . و ابن منظور . لسان العرب ، جـ1 ، صـ758 ، و المرتضى الزبيدي . تاج العروس ، مادة " ن . ص . ب" .

شفاء العليل :- المنصب في كلام المولدين : ما يتـولاه الرجـل مـن العمـل ...قـال الشهاب :- و إنما هو في الكلام القديم الفصيح بمعنى الأصل و الحسب و الشرف " [1] .

و المنصب أو المنصوب هو من يتولى السلطة الروحية و يستمدها من أسلافه ، و يرجع إليه في حل النزاعات و الصلح و الأزمات المادية أو الغيبية لأفراد المجتمع أو للمجتمـع نفسه ، و هؤلاء يوجدون في كل المناطق السنية – الصوفية كتهامة و حضرموت و عدن و الحجرية و إب و رداع و أبين ...و غيرها .

و قد أولى الباحثون البريطانيون كروبرت سرجنت [2] و وليم هارولـد انجرامـز [3] و الكسندر كينش [4] و غيرهم طبقة المناصب اهتمامهم و دراساتهم لما تلعبه مـن دور روحي و اجتماعي متميز .

و المنصب كما يقول الدكتور الكسندر كينش : هو الذي يدعو " القبائل المحليـة ليكـون حكماً بينها في نزاعاتها المتعددة . و عليه فإنه سيلعب دوراً رئيسياً في مفاوضات السلام بين القبائل المتحاربة و التي تعيش في الأراضي المحيطة و تعترف بسلطته التي يـشار إليها بلفظ " جاه " ، بعبارة أخرى ، يحتل المؤسس ، و من بعده أكثر أفراد سلالته كفاءة ، مركزاً يسمى " منصب " ، و يقدمون أنفسهم كضامنين لتطبيق شروط اتفاقيـات الـسلام بين الوحدات القبلية . و لذلك ، عليهم أن يكونوا خبراء بـالقوانين و الأعـراف القبليـة المعقدة .لا يجرؤ أحد ، على الأقل نظرياً ، على مخالفة القواعد التي حـددها المؤسـس أو المنصب ، أو عدم الرضوخ لقراراته ، و يعتبر المخالف هدفاً محتملاً لعقـاب إلهـي وشيك " [5] ، و في موضع آخر يذكر أنه " من الواضح أن الخوف مـن انتقـام الـولي المتوفى يلعب دوراً هاماً في مثل هذه الحالات ، و يعزز ذلك باتفاق القبائل علـى اتخـاذ موقف موحد ضد منتهكي الهدنة .و بالرغم من الوقائع العيانية ، تظل الـسلطة الروحيـة للمنصب ، و المستمدة من سلفه الموقر، آخر ملاذ و يلجأ إليه في النزاعات القبلية " [6] .

---

[1] - المرجع السابق .

[2] - Serjeant , R . B . " The saiyds of Hadramawt " . an inaugural lecture delivered on 5 June 1956 . London : school of oriental and African studies, 1957 .

[3] - Ingrams , W . H . Arabia and the Isles Arabia . vol 2 . PP 131 – 222 .
نقلاً عن " انجرامز و اليمن " تقديم و ترجمة : حامد جامع ، مجلة اليمن ، العدد التاسع عشر / ربيع الثاني 1425هـ - مايو 2004 ، صـ 283- 316 .

[4] - Kynsh , Alexander , 1993 . " The cult of saints in Hadramawt " , in R . B . Sergeant , R. L . Bidwell , G . Rex simth (eds) . New Arabian studies 1 , University of Exeter press .
صدر مترجماً عن المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ضمن دراسات انثروبولوجية بعنوان " زيارة أضرحة الأولياء في حضرموت ، اليمن كما يراه الأخر ، صـ307- 320 .

[5] - كينش ، الكسندر " دكتور " . المرجع السابق ، صـ309 .

[6] - المرجع السابق ، صـ 313 .

و المنصب هجرة [1] لا يمسون بسوء أو إهانة و لا يحملون السلاح و يسيرون آمنون مـن دون خوفٍ أو وجل لأنه في ضيافة القبائل ، يقول سرجنت : " ينص القانون القبلي عمومـاً ، على أن أي انتهاك لأمن أي مكان تكفل أمنه القبائل يقابل بعقوبات ثقيلة للغاية بحق المذنب ، و يقع السادة تحت حماية خاصة من قبل القبائل فيدعون " هجرة القبائل " ، لذلك فالسيد محترم و مهجر " أي : محمي حتى من الإهانة ، و على القبائل تلبية صوته إذا ما هاجمـه أحـد ، حيث يترتب على الشيخ جمع رجال القبيلة التي يقع تحت حمايتها للدفاع عنه ، كما أن عليهم استرضاءه بذبح العقائر أمام باب بيته " [2] ثم يذكر ما يلي : " و بصفته هجرة لـيس عليـه الاشتراك في القتال أو في تحمل أية مسئولية قبلية إذا رغب في ذلك و لكنه يستطيع التوسـط بين القبائل " [3] .

و المناصب يتوارثون اللقب " ان الوظيفة أو المنصب عند العرب وراثية و انتخابية فـي آنٍ واحد ، سواء كانت دينية أو زمنية ، فالشيخ و السلطان و الإمام أو المنصب ...الخ كل هؤلاء منتخب من العائلة التي تقلدت هذه الوظيفة وراثياً " [4] .

و إذا كان المناصب أو المنصوب في حضرموت و بعض المناطق هم من طبقة السادة ، ففي تهامة – بلاد الأولياء – لا تنحصر طبقة المناصب في السادة و الأشراف [5] فقط بـل فـي العرب ككل ، و هذه الطبقة متأصلة في تهامة و منها بلاد الزرانيق و منها ما ذكره البحر في تحفة الدهر [6] و كذلك ما ذكره جلال الدين المحبي (1061 – 1111 هـ) في موسوعته " خلاصة الأثر " إذ ذكر في ترجمة الشيخ عبد القادر بن المعروف المشرع العجيلي أنه " كان قائماً بخدمة منصب آبائه " [7] و كذلك " و خلفه في منصبه الشيخ عبد الرزاق العجيل " [8] و يقول في ترجمة الشيخ محمد بن عمر بن احمد القديمي " و لما دخل القنفذة كـان صـاحب المنصب من أولاد الشيخ علي الطواشي بمدينة حلي " [9] و كذلك ما ذكره الوشـلي فـي " نشر الثناء " عن استمرارية المنصبة في بني المشرع حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري فقال عن الفقيه يحيى بن يحيى مشرع العجيلي توفي سنة 1358هـ و هذا الفقيه ولد و عاش

[1] - الجبلي ، احمد صالح . الهجر و الجوار ، مركز الدراسات و البحوث اليمني– صنعاء ، الطبعة الأولى 2000 ، صـ9– 10.
[2] - سرجنت ، العلاقات المتداخلة بين الجماعات القبلية .
[3] - المرجع السابق .
[4] - المرجع السابق .
[5] - السيد مصطلح يطلق على من كان من أبناء الحسين بن علي بن أبي طالب و الشريف لقب يطلق على من كان من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب .
[6] - البحر ، محمد بن الطاهر . توفي 1083 هـ ، تحفة الدهر " مخطوط " .
[7] - المحبي ، محمد أمين بن فضل الله . خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، نشر بعناية السيد مصطفى وهبي و رعاية محمد باشا عارف بالمطبعة الوهبية – القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1284هـ/ 1869 ، جـ2، صـ469 .
[8] - المرجع السابق .
[9] - المرجع السابق ، جـ4 ، صـ 184 .

في الحديدة إلاّ أنه " مات القائم بمنصب المشرع ببيت الفقيه ابن عجيل ، طُلب للقيـام بـذلك لأهليته و عدم من يقوم به سواه " [1] ثم يوضح بعض أعمال المنصوب " فقام به قياماً تامـاً مع المصالحة بين الناس وعمارة المحل بإطعام الطعام وإكرام الوافدين و تلقيهم بالبشر " [2] .

و هكذا المناصب بني الصوفي ، و العطاس ، و العلوي ، و أبكـر الأهـدل ، و الأهادلـة ، و البحر ، و الدرابيش ، و المقابيل ...الخ في بلاد الزرانيق .

و لكل من هؤلاء أماكن مخصصة معروفة باسم المنزلة ، فهناك منزلة بني البحر و منزلة بني العلوي و منزلة الصوفي ...و هلم جراً . يقول الأستاذ أحمد صالح الجبلي : " ثمة فـي منطقة تهامة ما يطلق عليه " المنزلة " و هي بيوت خاصة بالأولياء و المناصـب و العلمـاء تتمتع بمكانة رفيعة بين الناس خاصة و أن هؤلاء العلماء و المناصب بمثابة المرجعية الشاملة لحياة الناس " [3] .

و الواضح أن تأثير المناصب في الحياة السياسية ليس قوياً و لا يلجأ الزرانيق إليهم فـي الحروب إلاّ لاستمداد الدعاء بالنصر على الأعداء و غير ذلك و لا يسمحون بالتدخل لهـؤلاء حتى إذا ما أجهدوا قبلوا بتدخلهم في اللحظات الأخيرة ، وهنـاك تـأثير خـاص لمناصـب مخصوصين فقط ، وقد أدرك الضابط السياسي جاكوب ذلك وذكر اثنين فقال في كتابه " ملوك شبه الجزيرة العربية ": فإن رجال القبيلة– أي الزرانيق– يمنحون ولاءهم المباشر لزعيم سيد هو أحمد بن يحيى البحر[4]الذي يعيش في المنصورية.. بينما يعيش في مينائهم بالجاح سـيد آخر[5] "[6].

و هناك السيد أحمد الشراعي و كان على علاقة حميمة مع الزرانيق و مشائخهم و رغم كونه من خارج بلادهم إلاّ أن هذا الرجل اكتسب حب التهاميين حتى النخاع و كان واسطة خير بين التهاميين بل و اليمنيين و الدولة العثمانية قال الوشلي عنه و عن والده :" و قد عرفت مـنهم

---

[1] - الوشلي ، اسماعيل بن محمد . نشر الثناء الحسن ، " مخطوط " .

[2] -المرجع السابق .

[3] - الجبلي ، احمد صالح . الهجر و الجوار ، صـ46 .

[4] - السيد احمد بن يحيى بن احمد بن عبدالله البحر . عالم و مصلح اجتماعي ، ولد و توفي بالمنصورية و التي كانت تتبع بيت الفقيه ، و لذلك كانت الدولة العثمانية تعتمد عليه هو و احمد الشراعي في تهدئة القبائل و استعطاف الشعب إلتهامي ، وله املاك واسعة ، توفي منصب المنصورية المذكور في شهر رمضان سنة 1336هـ/ يونيو 1918 ، و ممن ترجم له : نشر الثناء الحسن و ذيله للوشلي " مخطوط " ، ووثيقتين بريطانيتين تحملان رقماً واحداً و هو :-

- Fo 371 / 2769 (33250)

نقلاً عن كتاب " الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية " لنجدة فتحي صفوة ، جـ 2 ، صـ483- 489 .

[5] - السيد المقصود هو السيد حسن درابيش المقبولي ، و هو عالم و ولي مشهور ، ولد و توفي في الجاح و هو أحد موانئ الزرانيق و يتبع بيت الفقيه ، و كان مشهوراً بالإصلاح بين الناس و الشفاعة لهم و الوقوف مع مطالب الجماهير الكادحة " الشقاة " و لا يخاف في الله لومة لائم ، و هو و والده السيد درابيش مقبولي لهما دور في عهد الدولة العثمانية في الإصلاح و دعم مشائخ العلم و طلابه " معلومات من المعمرين و الفقيه محمّد فقيه فرج " .

[6] - جاكوب ، ملوك شبه الجزيرة العربية ، صـ223 .

السيد الجليل احمد بن يحيى الشراعي الساكن ببندر الحديدة و قد كان والده السيد يحيى بن محمد متولياً رياسة البندر من قبل الدولة العثمانية إلى توفي في عام مائتين و ألف (بياض في الأصل) ثم تولى بعده ابنه المذكور فعمت منزلته عند الدولة ...و ارتفعت مرتبته عندهم و ساعدته المقادير حتى ترقى إلى الرتب المعروفة عندهم و قارب رتبة الوزارة و شاع ذكره ، و بعد صيته حتى كوتب و امتدح بالقصائد من البلاد الشاسعة كحماة الشام و دمشق و غيرها و هو ذو عقل رصين و رأي صائب مجالس للملوك مخالط لهم و كثرت لديه الدنيا ، فبنى بيوتاً شامخة كثيرة في بندر الحديدة و اشترى غيرها و له صدقات كثيرة و محاسن شهيرة و مع ذلك هو كثير التواضع حسن الأخلاق سهل الخطاب لين الجانب مكرم لأهل الفضل و الشرف محسن إليهم ، منزل الناس منازلهم ، مواظب على أداء الفرائض ...ثم توفي ليلة الجمعة من ربيع الأول 1330هـ / مارس 1912 " [1] .

و لكن كان هناك مناصب يناصبون الدولة العثمانية العداء العلني و هم من بيوت راسخة في السيادة و المنصبة ، و يقومون بتأليب القبائل على الدولة من خلال التحريض العلني ، ومن هؤلاء مناصب المراوعه و هم سادة من آل الأهدل و قد عملوا على تحريض الزرانيق ضد العثمانيين حيث يذكر تقرير بريطاني كتبه المقدم و الملحق العسكري أف . أر . ماونسل (F. R .Maunsell) و مرسل إلى السيد أوكونور (O’conor) حيث يقول في هذا التقرير : " و في هذه الأثناء – أي في سنة 1902 – وضع سيد المراوعه نفسه في عداوة مباشرة مع الحكومة العثمانية حيث أنه يمثل شخصية دينية هامة و له نفوذ كبير بين قبيلة الزرانيق العملاقة المسلحة جيداً التي تقطن منطقة بيت الفقيه ... و له صلة الآن في تحريض قبيلة الزرانيق ضد الأتراك بنسبة نجاح كبير جداً " [2] .

و يذكر الضابط جاكوب في كتابه " ملوك شبه الجزيرة العربية " أنه " كان من المحتم على الأتراك غالباً القيام بالتعذيب و القصاص من أولئك القتلة ، و أحياناً كان ينبغي عليهم ترك الحبل على الغارب ، معتمدين على المساعدة المعنوية و الأدبية من سادة المراوعه الأقوياء

---

[1] - الوشلي ، نشر الثناء الحسن " خط " ، و يذكر محمد اديب أهدلي في كتابه " القول الأعدل في تراجم بني الأهدل " أن السيد أحمد كان مبعوث الحديدة في مجلس المبعوثان العثماني و نشر له صورة نادرة صـ 84 . و قد طبع الكتاب المذكور في مطبعة الشرق – حمص – سوريا في الطبعة الأولى سنة جمادى الآخرة 1359هـ / يونيو 1940 ، عن الوشلي نقل محمد بن محمد زبارة الترجمة في كتابه " نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر " تحقيق و نشر مركز الدراسات و الأبحاث اليمنية – صنعاء ، الطبعة الأولى 1979، صـ 164 .

[2] - وثيقة مرسلة من المقدم ماونسل (Lieutenant – colonel Maunsell) إلى السيد أوكونور (O’conor) – مرفق يحمل رقم 153 – راجع

- Records of Yemen , vol . 5 . P 357 .

الذين لهم أكثر من أي جماعة أخرى من غيرهم بعض أنواع السيطرة و النفوذ علـى رجـال تلك القبيلة منذ زمن طويل " [1] .

و أيضاً ممن كان يحرض على الحرب ضد قوى المعتدين المناصب آل الصوفي [2] و هـم عرب من ذرية الإمام أحمد بن موسى العجيل .

4- العقال و الأمناء .

العاقل عند الزرانيق هو من يتم اختياره من أبناء قريته ليديرها و مهمته تتمثل في :

1- حفظ الأمن و الاستقرار في القرية .

2- حل المنازعات الصغيرة و التي لا تحتاج لتدخل الشيخ .

3- تبليغ الشيخ و الدولة عن الجرائم الكبرى التي تقع في القرية كالقتل و السرقة .

و العاقل قد يكون " مقدمي " و من أصحاب الملكيات المتوسطة و أحياناً الكبيرة أو الصغيرة .

أما الأمين فهو الذي يقوم بكتابة العقود العقارية و عقود الزواج ...الخ ، و يكون من العـرب أو السادة و الأشراف فلا فرق في ذلك و له غالباً أرض يزرعهـا و يعمـل فيهـا كالعاقـل و المقدمي .

5- الفلاحون و الإقطاع .

إذا كان الشعب اليمني أغلبيته "يشتغلون بالزراعة " [3] و يقدر العطار " نسبة الفلاحـين بـ (80%) من مجموعهم ، و التي تشمل كل مـن يخـدم الأرض " [4] ، فالتهـاميون – و الزرانيق منهم – أغلبيتهم مزارعون ، فالأرض هي الحياة و مصدر رزقهـم الوحيـد حتى أولئك الذين يعملون في البحر أو الذين تمدنوا لهم أرض يرجعون إليهـا فيزرعونهـا أو يؤجرونها ، فالكل لديه أرض زراعية هي ثروته ، و الفلاحون الزرانيق يحبون أرضهم و هم مرتبطون بها حتى صارت ألوانهم من أديم أرضهم ، و هم متعاونون فيما بينهم وقـت الحصاد و الكوارث و الشدائد و لهم في ذلك تقاليد و أعراف ، و الكل يزرع فالشيخ يـزرع

---

[1] - جاكوب ، ملوك شبه الجزيرة العربية ، صـ 82 .

[2] - الارياني ، القاضي احمد بن حسن ، صادق التحاقيق بما جرى في حاشد و الزرانيق ، " مخطوط " .

[3] - غالب ، محمد انعم " دكتور " ، عوائق التنمية في اليمن " دراسة لعهد ما قبل الثورة " ، اوتو هاراسوفيتس – فيسبادن ، الطبعة الثالثة ، 1978 ، صـ39 .

[4] - العطار ، التخلف الاقتصادي و الاجتماعي في اليمن ، صـ118 ، و يرى عضو البعثة العراقية العميد سيف الدين سعيد آل يحيى أن نسبة الفلاحين 75% من مجموع اليمن ، تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن ،ج 1 ، صـ70 .

و المقدمي و العاقل ...الخ فكل فرد ينتمي للزرانيق يزرع و كل له رقعة أرض محدودة واسعة أو صغيرة ، و هناك مشايعه للكل و لا يتملكها أحد مهما كان .

- **الإقطاع في تهامة**

يذهب بعض الباحثين إلى أن الإقطاع موجود في تهامة [1] و متغلغل في أرضها منطلقين في ذلك على ما كتبه الرحالة و الباحثون السوفيت و هم مؤدلجون على ذلك ، و الحقيقة أن تهامة لم تعرف نظام الإقطاع بمفهومه الأوربي أو الشرقي و إن وجدت ملامحه أو إرهاصاته ، و يؤكد العطار و الشرجبي هذا الطرح و يستندون في ذلك على ما يلي :-

1- توجد ملكيات فردية كبيرة واسعة إلا أن الملكيات الصغيرة و المتوسطة تمثل الشكل الغالب لملكية الأرض فملكية الأرض لم تكن عائدة للإقطاعيين كما هو مفترض في النمط الإقطاعي .

2- لم يكن يوجد " سادة إقطاعيون " لهم مطلق التصرف في الأمور الاقتصادية و المالية و السياسية و القانونية في نطاق مقاطعاتهم ، فالسيد الإقطاعي الأوربي كان يتمتع بسلطات واسعة على جميع المستويات بعكس الشيخ و الذي كان وجوده مرتبطاً بالنظام القبلي لكي يقوم بمهام وظيفية محددة و متعارف عليها .

3- إن الغالبية العظمى من المنتجين الزراعيين كانوا فلاحين أحرار و لم يكن هناك وجود لمنتجين " أقنان " كما في الإقطاع الأوربي ، كما أن العلاقة بين الفلاح المنتج و مالك الأرض لم تكن علاقة تبعية شخصية مباشرة كما كانت في أوربا الإقطاعية بقدر ما كانت علاقة تحكمها الأعراف من خلال مبدأ " المشاركة بالمحصول " أو مبدأ " التشريك " .

4- غالبية الفلاحين كانوا أفراداً مسلحين – و خاصةً الزرانيق – فإنه سيتضح صعوبة إخضاع هؤلاء و تقييدهم للعمل بالأرض لصالح أي كان من دون رغبتهم و رضاهم .

---

[1] - الشهاري ، محمد علي " دكتور " . طريق الثورة اليمنية ، كتاب الهلال ، العدد 188 ، رجب 1386هـ/ نوفمبر 1966 ، صـ62- 66 . ، و د / محمد انعم غالب ، عوائق التنمية في اليمن ، صـ41 . ، و د / سلطان أحمد عمر ، نظرة في تطور المجتمع اليمني ، دار الطليعة للطباعة و النشر – بيروت ، الطبعة الأولى – فبراير 1970 ، صـ41 – 117 . ، و د / جولوبو فسكايا ، ثورة 26 سبتمبر في اليمن ، صـ107- 119 . ، و د / صادق عبده علي ، الحركات السياسية و الاجتماعية في اليمن ، مؤسسة دار الكتاب الحديث – بيروت ، دار الثقافة العربية – الشارقة ، الطبعة الأولى ، 1412هـ/ 1992، صـ63، 85 ، 86 . ، و الاستاذ عبدالباري طاهر ، اليمن و أفق الحرية ، صـ 30- 37 ، و د / نصر سالم هادي . التركيب الاجتماعي و الاقتصادي للمجتمع في المملكة المتوكلية اليمنية عشية ثورة 26 سبتمبر 1962 ، مجلة حولية الآداب – كلية الآداب - جامعة عدن ، العدد الرابع ، يونيو 2007 .

5- التقسيم الطبقي : إن التقسيم الطبقي في اليمن كان يختلف إلى حد كبير عما هو مفترض في النظام الإقطاعي و في حالة اليمن لم يكن ذلك التقسيم يصل إلى حـد قيامـه علـى أساس أو قواعد قانونية محددة كما هو الحال في النظام الإقطاعي .

6- لا يوجد إقطاعيو الولايات أو المعاقل المتمتعـون بـالحقوق الـسياسية و الاقتـصادية و المالية . (سك النقود مثلاً)

7- الشروط التاريخية مختلفة تماماً في اليمن عن شروط التاريخ الأوربي و ظروفه [1] .

و إذن فالإقطاع لا يوجد في تهامة و هذا ما لمسه المؤلف و هو من أبناءها و من لقاءاتـه بالمعمرين [2] و أحاديث الناس و حكاياتهم ، بل و من وثائق الإيجار و التشريك و التي تخص جده [3] و آل البهكلي و أسر أخرى .

و لكن هل يمكن أن تصنف تهامة كـ" بلد شـبه إقطـاعي " [4] كمـا يقـول الأسـتاذ عبد الباري طاهر الأهدل أو كما يقول الدكتور عبد العزيز قائد المسعودي أن هناك " سمات النظام الإقطاعي كانت كامنة في المجتمع اليمني " [5] و لعل الدكتور العطار كان سباقاً في حسم هذه المسالة بقوله : " إن اليمن هو بلد إقطاعي ، إذا كنا نعني بهذه الكلمـة اسـتغلال جماهير الفلاحين التي تخدم الأرض ، استغلالاً فاحشاً لا حدود لـه ، و ليـست وضـعيته الإقطاعية هذه " واضحة التقنين " تبعاً لقوانين دستورية ، بل هـي وضـعية " ضـمنية " . و الفلاح لا يجد أمامه من وسيلة عملية سوى الرضوخ للشروط المفروضة عليه " [6] .

و إجمالاً نجد أن هناك نظام تعاوني و عرفي تقليدي سائر منذ القدم يجبر الفلاحين بمساعدة بعضهم البعض من دون تمييز لدى الزرانيق و هذا ما يسمى بلهجتهم " الفزعة " و تعني في اللغة " الإغاثة و النصرة ، من فزع إلى القوم استغاثهم و فـزع القـوم و فـزعهم فزعـاً و أفزعهم أغاثهم و لنفزع أي لنغيث و فزعنا أي أغثنا ...فالفزع الإغاثة و النصرة " [7] .

و هذا هو التعاون و ليس السخرة ، فالتعاون متأصل في هذا الشعب الأبي الكريم كما يقـول الدكتور حمود العودي حيث يقول : " تظهر بعض المشاكل و الأزمـات بالنـسبة لـبعض

---

[1] - العطار ، التخلف الاقتصادي و الاجتماعي في اليمن ، صـ115-116 ، و الشرجبي ، الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني ، صـ 126- 127 .

[2] - لقاءات مع سالم يحي مشهور و محمد فتيني لبن مقبول و يحيى عبدالله العمري و قاسم يحيى فتاح .

[3] - الحاج يحيى حسن زبري و هو من أصحاب الملكيات الكبيرة .

[4] - الاستاذ عبدالباري طاهر ، اليمن الإرث و أفق الحرية ، صـ30 .

[5] - المسعودي ، عبدالعزيز قائد " دكتور " ، معالم تاريخ اليمن المعاصر ، القوى اليمنية لحركة المعارضة اليمنية (1905-1948) ، مكتبة السنحاني – صنعاء ، الطبعة الأولى ، 1413هـ - 1992، صـ94 .

[6] - العطار ، المرجع السابق ، صـ 116 .

[7] - الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، جـ1 ، صـ960 ، و ابن منظور ، لسان العرب جـ2 ، صـ251 ، و المرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، مادة " ف . ز . ع " .

المزارعين ...وهنا تتخذ حلول من نوع معين لمواجهة هذا الموقف وهو ما يعرف " العون " أو " العانة " و الذي يبدأ بمبادرة أحد الفلاحين ممن يعانون المشكلة بإطلاق عيار ناري بعد صلاة المغرب و إخراج خادم القرية " المزين " لضرب الطبول حول القرية ، و ذلك إيذاناً بطلب صاحب المشكلة العون ..." [1] .

و كذلك توصل المؤلف إلى أن الإقطاع لم يوجد في بلاد الزرانيق في فترة البحث و ذلك من خلال الاستقراء التاريخي و حوادثه و من خلال العلاقات بين الملاك و الفلاحين و حكايات المعمرين في ذلك و الوثائق ، و توصل أن معظم الزرانيق فلاحون و لهم أراضي زراعية متفاوتة في المساحة ، هذا ما يذكره الدكتور أحمد قايد الصايدي عن طبقة الفلاحين اليمنيين حيث يقول :

1- الفلاحون الأغنياء : و هم الفلاحون الذين يمتلكون أراضٍ تزيد عن قدرتهم على استغلالها استغلالاً مباشراً ، فيسلمونها إلى فلاحين فقراء أو معدمين يقومون بزراعتها مقابل حصة معلومة من المحصول يتقاضونها منهم .
2- الفلاحون المتوسطون : وهم الفلاحون الذين يمتلكون أراضٍ تكفي حاجتهم و يقومون باستغلالها بأنفسهم .
3- الفلاحون الفقراء : هم الذين يمتلكون أراضٍ لا تكفي حاجتهم فيقومون بزراعة أراضٍ أخرى يأخذونها من الفلاحين الأغنياء إلى جانب أراضيهم الخاصة .
4- الفلاحون المعدمون : هم الذين لا يمتلكون أراضٍ خاصة بهم فيعيشون من بيع قوة عملهم و من زراعة أراضي كبار الملاك و الفلاحين الأغنياء [2] .

6- الشقاة .

و الشاقي هو الذي لا أرض له و يشقى " يعمل " في أرض الغير ، و يصنفون طبقياً تحت مسميات " الفلاحين الفقراء " [3] أو " الفلاحون المعدمون " [4] أو " العمال الزراعيون "[5] و كلها تصب في معناً واحد و هو ما اتفق اليمنيون على تسميته بـ " الشاقي " ، فهم يعيشون

---

[1] - العودي ، حمود " دكتور " . التراث الشعبي و علاقته بالتنمية في البلاد النامية ، دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمني ، مركز الدراسات اليمنية – صنعاء ، عالم الكتب – القاهرة 1400هـ - 1980، صـ144 - 165 .

[2] - الصايدي ، احمد قايد " دكتور " ، حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام يحيى بن محمد حميد الدين (1322-1367هـ/ 1904- 1948) ، مركز الدراسات و البحوث اليمني – صنعاء ، الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983 ، صـ17 .

[3] - الشهاري ، طريق الثورة اليمنية ، صـ67 ، و هو يختلف مع البقية في هذه التسمية .

[4] - سلطان أحمد عمر ، نظرة في تطور المجتمع اليمني ، صـ99- 110 ، و الصايدي ، حركة المعارضة اليمنية ، صـ17 ، و المقرمي ، التاريخ الاجتماعي للثورة اليمنية ، صـ148 .

[5] - العطار ، التخلف الاقتصادي و الاجتماعي في اليمن ، صـ118 ، 131 ، و د. محمد أنعم غالب ، عوائق التنمية في اليمن ، صـ 42 ، و المسعودي ، معالم تاريخ اليمن المعاصر ، صـ56 .

في القرى وهم من أبناء القبائل و لهـم عـائلات و منـازل يملكونهـا و لكـن لا يملكـون أرضاً " و من لا أرض له في مجتمع زراعي فمركزه الاجتماعي منخفض و يعير بأنه لـيس له سهم إلا في الشمس و الطريق " [1] .

و هؤلاء الشقاة يحتلون نسبة من سكان تهامة حسبما يورد " التقرير الذي قدمه السيد محمد علي عثمان (و كان رئيساً لاتحاد الدول العربية الذي ضم العربية المتحدة و المملكة المتوكلية اليمنية) لمجلس اتحاد الدول العربية عام 1959 حيث قدرهم مع عائلاتهم بـ ـ(10%) مـن سكان تهامة " [2] و لكن الباحثين ينتقدون هذه النسبة و يعتبرون أنها أكبر من ذلك في تهامة و يرون " أن معدي التقرير هما من ممثلي المملكة اليمنية المتوكلية في مجلس اتحـاد الـدول العربية و هما من وزراء ينتمون إلى طبقة كبار الملاك " الإقطاعيين " و بنيت علـى أسـاس التقدير و التخمين فقط " [3] .

و قد كانت أجور هؤلاء الشقاة في الأرض منخفضة للغايـة إذ يـذكر العطـار أن " العمـال الزراعيون المشتغلون في الملكيات الكبرى أجرتهم اليومية تتراوح بين 20 سنتيم من الدولار الأمريكي إلى 80 سنتيم ، تبعاً للنواحي و حسب شروط العمر " [4] في حين يرى محمد أنعم غالب أن " الأجر اليومي للعامل الزراعي يبلغ ربع ريال أو يرتفع 3 /8 الريال (ثلاثة مـن ثمانية من الريال) في موسم البذار و الحصاد مع وجبة واحدة في كلا الحـالين " [5] و كـل ذلك يدل على تدني مستوى دخلهم فقط .

أما الزرانيق و الذين يعرفون قيمة الأرض و الأرض عندهم معيار ، و العيـب كـل العيـب حسب ما يقولون أن لا يكون للإنسان أرض ، فهو يعير و يهان و ينظر له بازدراء و أمثلتهم تمتلئ بالسخرية و الاستهزاء بذلك و المؤلف يحجم عن إيراد بعضها و يذكر منها " امـشاقي شاطي " أي الشاقي شاطي و الشاطي هي التي توضع في القدمين عند دخول الحمام و خلعها عند الخروج منه اليوم ، و كان يلبسها عامة أهل تهامة و هذا يدل على الحط ممن يبيع أرضه و كذاك المثل الآخر " بين امشحات و امشاقي يوم " و يقصدون بذلك أن الـشاقي إذا مـرض

---

[1] - غالب ، عوائق التنمية في اليمن ، صـ34 .
[2] - الشهاري ، طريق الثورة اليمنية ، صـ67 ، و د/ محمد أنعم غالب ، عوائق التنمية في اليمن ، صـ42 ، و سلطان أحمد عمر ، نظرة في تطور المجتمع اليمني ، صـ68 .
[3] - غالب ، عوائق التنمية في اليمن ، صـ42 ، و الشهاري ، طريق الثورة اليمنية ، صـ67 ، و سلطان احمد عمر ، نظرة في تطور المجتمع اليمني ، صـ68 .
[4] - العطار ، المرجع السابق ، صـ131 .
[5] - غالب ، المرجع السابق ، صـ42 ، و الشهاري ، المرجع السابق ، صـ65 ، و العودي ، صـ 178 – 179 .

أو استراح أو لم يجد عملاً فهو كالشحات يخرج يستجدي الناس ليدينوه أو يعطوه و هذا عقاب من باع أرضه عندهم وهذا بعكس مدينة بيت الفقيه تماماً فأغلبيتهم شقاة [1] .

و الشاقي عندهم قد يكون له أرض و يعمل في أرض الغير و هذا ليس بعيب بل رجولة و كد و عمل ، أما من لا أرض له فهو بعكس ما سبق .

7- العبيد .

و العبيد طبقة من طبقات المجتمع الزرنوقي في فترة الاحتلال العثمـاني 1849 – 1918 (فترة البحث) و قد كانت رائجة في العصور الوسطى و الحديثة فـي تهامـة لقربهـا مـن الشواطئ الأفريقية و كذا لرغبة التهاميين في أيدي عاملة رخيصة ثابتة و مستمرة في زراعة الأراضي و الأعمال المنزلية و كذلك لإظهار المكانة الاجتماعية للشخص المالك للعبيد .

و العبيد من الناحية الاجتماعية مرتبتهم لم تكن في أسفل درجات السلم الاجتماعي ، إذ أن هذه المرتبة كانت مخصصة لشريحة أدنى مكانة منهم وهم الأخدام مع أن أفرادها " أحرار " .

و من المحتمل جداً أن السبب في ذلك يعود إلى خصوصية العلاقة بين العبد و سيده . فقد كان العبد يرتبط ارتباطاً مباشراً بشخص مالكه و بالتالي فإن أي احترام للعبد إنما هـو احتـرام لشخص مالكه ، و العكس صحيح و هذا هو وحده – تقريباً – الذي يفسر لنا ارتفـاع مكانـة العبد عند بقية الشرائح الاجتماعية و تدني مكانة الأخـدام " الأحـرار " ، و العبيـد أنفـسهم ينظرون إلى أنفسهم على هذا الأساس [2] .

لقد أصاب الشرجبي في تعليله ، و لكن الزرانيق يرون أيضاً أن هناك صفات يتصف بها العبد تجعله يرتفع في عين سيده و مجتمعه كالصدق و الأمانة و الشجاعة و البطولة و الوفاء ...الخ و أحياناً ترتفع مكانة العبد حتى على سيده نفسه إذا كان سيده جبان أو خائن أو بخيل ، فتظهر جدارة العبد و تنزل مكانة سيده الأخلاقية فقط [3] أما – كما يقول الزرانيق – إذا كان العبـد فيه صفات السوء كالسرقة و الجبن و الكسل و القذارة فينزل إلى مرتبة " الأخـدام " فيعـيش معهم و يتزوج منهم .

و التهاميون – و بالذات تهامة الشام – و منهم " السادة " يكثرون من شراء الجواري و اللاتي فيما بعد يصبحن أزواجهن ، أما الزرانيق فهم مقلون من ذلك للحفاظ على نقاء دمهم – كمـا يقولون – و قد أطلع المؤلف على وثائق تملك بعض العبيد لدى الزرانيق و التي تعود لفتـرة

---

[1] - استقيت هذه الأمثال من الحاج حسن اسماعيل خزرجي " 95 سنة " .

[2] - الشرجبي ، الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني ، صـ258 .

[3] - و لكنهم يشددون على مقولة " العبد عبد " .

البحث و رفض أصحابها تصويرها ، و تبين هذه الوثائق أن العبد كان يباع و يشترى كسلعة أو ملك عقاري و بشروط معينة و صفات جسدية واضحة .

و يؤكد العطار ما سبق قوله حيث يذكر " بما أن العبيد كانوا يشكلون ملكاً خاصاً ، فإنهم كانوا مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بشخص مالكهم ، و الذي كان يعاملهم معاملة إنسانية ، و قد كانوا يتمتعون أحياناً بحرية أوسع ، و بحياة يحسدهم عليها الفلاحون " [1] .

و قد استكثر الزرانيق من العبيد و الاماء ، كما يذكر الدكتور حسين العمري حيث ذكر في دراسته القيمة عن " الأمراء العبيد و المماليك في اليمن " أن " آل الفاشق أصحاب قبائل الزرانيق و أمثالهم ممن كانوا يتخذون العبيد للحراسة و الإماء زوجات " [2] .

و قد كان لدى الشيخ حسن محمد فاشق ووالده الشيخ محمد يحيى فاشق مئات من العبيد و كما قال لي المأمون فتيني أشرم [3] أنه سمع أنهم ثلاثمائة عبد ، و كذا ما قيل عن الشيخ يحيى منصر معروف و الذي كان لديه سبعة عبيد[4] و قد التقى المؤلف بكثير من هؤلاء العبيد و الذين اعتقوا و المعتوق حر وله حق التملك في القبيلة و في جوارها و الدفاع عنها .

8- الريسأ .

الريسأ هم الحلاقون أو المزينون ، و اللفظة تهامية مفردها رييس بفتح الراء و كسر الياء وسكون السين وجمعها ريسأ بكسر الراء وسكون الياء ، والأصل اللغوي من رأس و رؤساء . و اللفظة تستدعي التاريخ اليمني ، ليحكي أبناء تهامة و منهم هذه الطبقة للباحث قصة التسمية و تقوقعهم في طبقة واحدة ، فيرون أنهم قديماً كانوا يحكمون اليمن و أنهم من الأحباش و هم ينحدرون من رؤساء الجيش الحبشي ، ثم انهم عاشوا فترة طويلة من الزمن و تزوجوا و توالدوا في اليمن و أنجبوا أجيالاً و أصبحوا يمنيين و إن كانوا من أصول حبشية ثم غُلبوا و هزموا و فر منهم من فر إلى الحبشة ، و من ولد في اليمن فقد خُير بين العودة للحبشة أو البقاء في اليمن بشرط العمل في المهن التي كان ينظر إليها العرب على أنها محتقرة و يرفضون الاشتغال بها ، ففضلت الأجيال التي ولدت في اليمن البقاء و العمل في الحلاقة و التزيين.

---

1 - العطار ، المرجع السابق ، صـ119 .

2 - العمري ، حسين بن عبدالله " بروفيسور " ، الأمراء العبيد و المماليك في اليمن ، دار الفكر المعاصر – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1409 هـ - 1989 ، صـ94 .

3 - كان اللقاء مع المأمون فتيني أشرم في الجاح .

4 - سمعت ذلك من جدي الحاج يحيى حسن زبري و علي جربوع و سالم يحيى مشهور .

و تنحصر أعمال الريس في الحلاقة و لكن هناك أعمال أخرى يقومون بهـا ، فقـد ذكـرت الباحثة الأنثروبولوجية الهولندية مارينا دي ريخت أن هؤلاء يمارسون " الطب الشعبي " و أن هذه الطبقة "تمارس العلاج الطبيعي للصداع و الآلام الجسدية الأخرى مثـل جبـر الكـسور و الحجامة و يقومون بمداواة الجسد و معالجة الدم و الشعر و خلع الأسـنان و الكـي " [1].

و تؤكد الباحثة جولوبو فسكايا الأعمال السابقة للريسا و أنهم اشتغلوا " بمهنـة الحجامـة .... و أشتغل الشخص الذي يدخل في هذه الفئة إلى جانب مهنة الحلاقـة ، بمعالجـة عـدد مـن الأمراض بالوسائل الشعبية ، يقومون بعملية الكي لبعض المناطق التي يشكوا منها المـريض و كذا يقومون بالحجامة أي امتصاص الدم " [2] .

و هناك أعمال أخرى " كالعزف على آلة المزمار " [3] و " القيام هو و أسرته بدق الطبـول في المواكب العامة و إدارة حلقات الرقص بمختلف أنواعه " [4] .

و في تهامة حيث عاشت الهولندية مارينا دي ريخت ، كذلك عاش في فترة قريبـة الباحـث المعماري و الاجتماعي الفرنسي بول بونانفان في الثمانينات و التسعينات من القرن الماضي ، فقد عاشت ريخت في الحديدة ، أما بونانفان فقد عاش لسنين في زبيد و خرج بكتاب " زبيـد العمارة السكنية و التاريخ الاجتماعي" ، ذكر فيه الطبقات الاجتماعية من خلال معايشته لها ، فقال عن أعمال الريسا أنها : " الحجامة و اقتلاع الأضـراس و تقـديم الأضـاحي أي ذبـح المواشي في بعض المناسبات لدى الناس الذين لا يريدون القيام بذبحها بأنفسهم ، في زبيـد ، يعمل كل حلاق في خدمة عدد من العائلات الرفيعة في حيه ، فيذهب لحلاقـة الرجـال فـي منازلهم ، مقابل أجر يدفعونه له و لشخصية الحلاق دور في العديد من المناسبات خـصوصاً طوال الأيام التي تدوم فيها مراسيم الزواج " [5] ثم يـشرح بونانفـان الأعمـال الفلكلوريـة للأفراح التهامية و دور الريس في ذلك و منها دور الريسة أو المغترفة " و هو " اسم يطلـق على كل النساء اللواتي يطلقن الزغاريد في المناسبات المختلفة " [6] .

و يذكر الشرجبي مهام أخرى للريس " إلى جانب مهنته الرئيسية الحلاقة " يقوم المزين بمهام أخرى هامة : كالختان فقد " كان المزين يقوم بعملية الختان للذكور بينما كانت المزينة تقـوم

---

[1] - دي ريخت ، مارينا " دكتورة " . رائدات في ظروف غير مواتية ، ترجمة : محمد عبدالحميد عبدالرحمن ، دار مهاجرون – أمستردام ، ابريل 2003 ، صـ58 .

[2] - جولوبو فسكايا ، د . ي . ك . ، حول وضع الفئات الدنيا في البنية الاجتماعية للمجتمع اليمني ، ترجمة د. قائد محمد طربوش ، مجلة الحكمة ، العدد 110، صـ30- 31 .

[3] - جلازر، إدوارد ، اليمن في كتاب الرحالة الأجانب ، صـ28 .

[4] - العودي ، حمود " دكتور" . التراث الشعبي و علاقته بالتنمية ، صـ136 .

[5] - بونانفان ، بول " دكتور" ، احياء زبيد : ملاحظات في التاريخ الاجتماعي ، حوليات يمنية ، صادرة عن المعهد الفرنسي للآثار و العلوم الاجتماعية بصنعاء ، العدد الأول – 2002 ، صـ 56 .

[6] - المرجع السابق .

بختان الإناث ... و خلع الأسنان و استئصال اللوزتين بطريقة بدائية للغاية و خدمة المدنيين في المناسبات المختلفة و يقوم بتوزيع الدعوات للمدعوين و خدمتهم ، كما أنه يتقـدم موكـب العريس في حفلات العرس "[1] ثم يذكر أعمال الريسة فيقول : " و تقوم المزينة بقص شعور النساء و تصفيفه و عموماً بتجميل النساء كما تشارك في ترتيب حفلات الزواج و بالإضـافة إلى ذلك تقوم بخدمة مجالس النساء وقت القيلولة[2] أو في غيرها من خلال إعداد " المداعة " و إعداد الشاي و القهوة .... "[3] .

و لكل قرية أو عدة قرى في بلاد الزرانيق ريس يختص بها و يتوارثها أبناءه بعده و لا يجرؤ أحد من الريسأ الآخرين على منافستهم فيها و له عمل واحد عندهم إلى جانب ما سبق و هـو الحلاقة لكل أفراد البيت الواحد سواء في القرية أو البيت أو الأرض أو تحت شجرة و في أي وقت متى ما أراد أحد أبناء القرية و كان يحلق للرجل كل شيء في جسده ، و أجره يحـصل عليه مرتين في العام :

1- أجر يوم الحصاد ، و يتمثل في عذق .

2- أجر يوم الخبيط ، أي يوم ضرب و خبط العذق لاستخراج الثمار .

إلى جانب ما يحصل عليه من مكافآت مالية و عينية في مناسبات مختلفة .

9- الأخدام .

الأخدام طبقة اجتماعية مهمشة في المجتمع اليمني ، وجدت لها الكثير مـن الدراسـات بـدءاً بدراسة الرحاليين الفرنسيين ت . أرنود Th Arnaud و أ . فاسـيير A . vayssiere[4] في 1850 . و انتهاء بدراسة الباحث الأستاذ محمد سالم شجاب[5] فـي 2003 ، و كتـب أغلب من زار اليمن عن هذه الطبقة ، و كل من درس اليمن و تاريخه و مجتمعه يتطرق إلى ذكرهم ، و اهتمت بهذه الطبقة منظمات المجتمع المدني و المنظمات الدولية و ذلك نابع مـن ظروفها المعيشية و وضعها الاجتماعي والذي وضعها في أسفل السلم و رفض دمجهـا فـي

[1] - الشرجبي ، الشرائح الاجتماعية ، صـ239 .

2- و تسمى في تهامة بالنشرة و تبدأ من بعد صلاة العصر حتى المغرب .

[3] - المرجع السابق ، صـ239- 240 .

[4] - ت . ارنود و أ . فاسيير ، الأخدام في اليمن : أصولهم و عاداتهم ، ترجمة من الإنجليزية الأستاذ عبده علي عثمان ، مجلة دراسات يمنية ، العدد الأول 15 / 9 / 1978 ، صـ69 – 77 .

[5] - شجاب ، محمد سالم ، علي بن مهدي و مأساة الأخدام في المجتمع اليمني . مركز عبادي للدراسات و النشر – صنعاء ، الطبعة الأولى ، 1424 هـ - 2003 . ، و كتاب مارينا دي ريخت ، " رائدات في ظروف غير مواتية " ففيه دراسات عن هذه الطبقة و قصص واقعية عايشتها الباحثة .

المجتمع [1] أو محاولة تعليمها [2] و شوهها و نظر إليها بعنصرية حتى فـي المسلـسلات التلفزيونية [3] ، و لم تلق هذه المعاملة فقط من الطبقات الاجتماعية التقليديـة " المتخلفـة – الرجعية " بل حتى من الأنظمة التقدمية التي حكمت اليمن في القرن العشرين [4] فمـن هـم الأخدام و ما هو الأصل لوجودهم في اليمن ...؟

فأغلب الدراسات تؤكد أن هذه " عناصر بشرية أفريقية الأصـل و التـي يمكـن ملاحظتهـا بوضوح في حياة شعبنا ...! و هي تعيش وضعاً بائساً في المجتمع " [5] ، في حـين يـذهب آخرون إلى أنهم عناصر هندية [6] أو حميرية [7] أو بقايا عبيد [8] أو أنهم يمنيون هاجروا إلى الحبشة و اختلطوا بالسكان ثم رجعوا لوطنهم [9] أو هم " عبارة عن حثالة متبقيـة مـن دخلاء على البلاد نساهم التاريخ و أن المجتمع اليمني قد نفر من عملية اندماجهم معه " [10] أو أنهم مزيج بين الفرس – الأثيوبي أو الأصل الأثيوبي العربي [11] أو هم مزيج ثلاثي بين الأصل الحبشي و الفارسي و اليمني [12] .

و الحقيقة أن للباحث رأي في مسألة التسمية و قد توصل إلى هذا الرأي بعد البحث و استقراء التاريخ التهامي و التحقق من النصوص التاريخية و قد نشر هذا الرأي في كتاب الأستاذ محمد سالم شجاب [13] و يتلخص هذا الرأي فيما يلي :-

أن الأخدام مصطلح حديث ظهر في القرون الثلاثة الأخيرة الثاني و الثالث و الرابـع عـشر الهجري أي من الثامن عشر و التاسع عشر و العشرين المـيلادي ، و أن التـسمية الـسابقة

---

[1] - صحيفة الوحدوي ، الدمج الاجتماعي لطلاب الفئات المهمشة ، العدد 548 ، 21 / يناير / 2003 .

[2] - الحرازي ، سيناء . أثر الوضعية الاجتماعية للفئات المهمشة في العلاقات الأسرية ، محاضرة في مؤسسة العفيـف الثقافيـة ، نشرة ملخصها صحيفة الوحدوي عدد 618 بتاريخ 22 / يونيو / 2004 ، و مقال "مهمشون في وطن مهمش " لمحمد القيرعـي ، الثوري العدد 1839 .

[3] القيرعي ، محمد " رئيس منظمة الدفاع عن الأحرار السود في اليمن " . ، مسلسل سيف بن ذي يزن يسيء لنا ، صحيفة الثقافية العدد 215 بتاريخ 13 / 10 / 2003 ، ومقال له بعنوان " مسلسل سيف بن ذي يزن وجه متوحش من وجوه الثقافة العنصرية " صحيفة التجمع العدد 490 بتاريخ 5 / يناير / 2004 .

[4] - صحيفة التجمع ، " الأحرار السود يطالبون الاشتراكي بالاعتذار " العدد السابق .

[5] - العودي ، حمود " دكتور " ، المنظور العلمي للثقافة ، دراسة خاصة عن المجتمع اليمني ، دار الهنا - الطبعة الأولى 1973 ، صـ 115 .

[6] - ت . ارنود . و أ . فاسيير ، المرجع السابق ، صـ72 .

[7] - المرجع السابق .

[8] - جلازر ، اليمن في كتابات الرحالة الأجانب ، صـ28 ، و أوليج جيراسيموف و يوماشين ، في جبال العربية السعيدة ، ترجمة جليلة عبدالوهاب جحاف ، مركز الدراسات و البحوث اليمني – صنعاء ، الطبعة الأولى ، 2004 ، صـ 68 .

[9] - عبده علي عثمان ، تعليقاً على ما ترجمه في مقال " الأخدام في اليمن " ، المرجع السابق صـ 75 .

[10] - و هو رأي الباحث الن روود A . Rouaud – أورده الشرجبي في " الشرائح الاجتماعية ...صـ 261 .

[11] - جولوبو فسكايا ، حول وضع الفئات الدنيا ، المرجع السابق ، صـ 16 . ، و ثورة 26 سبتمبر للباحثة أيضاً ، صـ101 ، و مارينا دي ريخت ، رائدات في ظروف غير مواتية ، صـ58 .

[12] - G . Hey worth – Dune , Al- Yemen . A General social , political and Economic survey . , Cairo 1952 . PP . 14 – 16 .

و عنه ينقل الدكتور محمد أنعم غالب في عوائق التنمية في اليمن ، صـ35 ، و الدكتورة جولوبو فسكايا في دراستها حول وضع الفئات ، صـ16 .

[13] - شجاب ، علي بن مهدي و مأساة الأخدام ، صـ 81 - .

لتسمية الأخدام هي السناكم ، و يضبط التسمية المحدث شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي المتوفي سنة 893هـ فيقول : " السناكم ، بفتح السين المهملة و قبل الألف نون و بعده كاف مكسورة "[1] ، و السناكم طبقة اجتماعية منحطة فهم " يأكلون الميتات و يشربون المسكرات و لا يعرفون الصلوات و لا شيئاً من الشرائع ... يشربون و يلعبون ... و يضربون الطبول "[2] ، أما المعلم وطيوط فيذكر أنهم " يأكلون الميتة ، وهم أناس لا قدر لهم عند الناس ، يدقون الطبول ، تلغ الكلاب في آنيتهم ..."[3] فهذه بعض صفاتهم و التي تدل على انحطاطهم الاجتماعي و الأخلاقي و الديني ، و هذا ما جعل الرحالة ابن المجاور يذكرهم في رحلته إلى تهامة سنة 623هـ بصفتهم و اسمهم و ما تقوله نسائهم عند السب و الشتم فيقول : " و نساء السناكمة في اليمن إذا خاصمت إحداهن الأخرى ترفع أزرتها و تقف على أربع و تقول للتي تقابلها : بالله يا ستي أبصري الهلال قد طلع و الخزا قد انقطع "[4] فهذا مستواهم الأخلاقي ، و هذا ما جعل المعلم وطيوط يورد بعض قصصهم و منها هذه القصة : " و مما سمعت الفقيه العلامة المشهور عمر بن الجزار الحميري قال : كان معنا في الدولة المجاهدية[5] شريف مقدم في المهجم ، و كان قد دامت تقدمته فيها ، فخرج ليلة يسير ، فرأى خادمة من الذين يأكلون الميتة و هم أناس لا قدر لهم عند الناس ، يولعون بالطبول ، و تولغ الكلاب في آنيتهم ، فأعجبته ، فطلب أبويها ، فخطبها إليهما ، فقالا: سبحان الله يا سيدي ، كيف هذا أنت رجل شريف ؟

فضرب أبوها ، فلم يجد بداً أن عقد بها ، و تعجب الناس غاية التعجب ، فزفها إلى بيته ، فكانت معه شريفة ، فشغف بهذه الخادمة ، و لم يقدر يخرج منها ، لأن الدخل و الخروج في بيتها ، فقعد و تعذر زماناً .

فوقع له علم أن أرضه سقيت بالشام[6] ، فسافر بها على جمل ، فلما قارب المنزل وقع عليها ثم طعنها على فرجها طعناً مؤلماً ، وذهب و طرح بها و ذهب عنها ، و كانت صبورة و قد تنعمت معه ، فخرج عليها راعٍ فحملها إلى منزله و بقي يهب لها[7] شيئاً من اللبن و من

[1] - الشرجي ، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبداللطيف . طبقات الخواص أهل الصدق و الإخلاص ، الدار اليمنية للنشر و التوزيع – صنعاء ، الطبعة الأولى 1406 هـ 1986 ، صـ222 .
[2] - المرجع السابق .
[3] - المعلم وطيوط ، تاريخ وطيوط ، " مخطوط " .
[4] - ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، صـ135 .
[5] - الدولة المجاهدية نسبة إلى الملك المجاهد الرسولي و قد حكم من (721 – 764هـ) .
[6] - الشام أي الشمال من تهامة .
[7] - يهب لها أي يعطيها .

السمن حتى عوفيت و خرجت سراً إلى اليمن [1] فلحقت بأهلها ، و قد رجع الشريف و لـم يعبأ بها و لا بقومها لحقارتهم و خساستهم .

فتسير – أي الشريف – ليلة ، فرآها في منزل أبيها ، فبقي متعجباً يقول حيناً : " هذه أخت لها " ، و حيناً يقول : " هي هي " ، و لم يعتقد حياتها و لا جسر يسأل عنها لسوء فعله بها .

فجاءت أمها و قد أنست .

و قالت : يا سيدي . فلانة تبلغكم السلام .

فقال : كم لها عندكم ؟

قالت : كذا و كذا .

قال : هل حكت لكم شيئاً ؟

قالت : لا .

فلام نفسه ، و أمر عليها من أخذها و أتى بها و بأمها إلى المهجم ، فخلا بهما .

و قال : اقسم بالله لئن لم تصدقيني من أبو ابنتك لأضربن عنقك .

قالت : و الله يا سيدي . كنت شابه و علي طراوة الشبة و أنا أجني زهب ، فجاء فارس زعم أنه شريف ، فوقع علي ، فحملت بها .

ثم أتى الشريف إلى أمه ، فقال لها : يا أماه . أخبريني من أبي ؟

قالت : أبوك الشريف .

قال : أصدقيني قبل أن أفضحك .

قالت : تشتهي الأمان .

قال لها : أنت آمنة .

قالت : كنت مزوجة على أبوك ، فلم أحمل منه بشيء ، فخشيت أن يتزوج علـي ، و كـان المشعل مشعل الضوء على الباب و هو جاد فطلبته فوقع علي فحملت بك ، و الله مـا كـذبت عليك و هذا ما كان " [2] .

فهذه قصة من القصص التي ما زالت حتى الآن تحكى في تهامة ، و هـؤلاء الـسناكمة لـم يستطع أحد الاقتراب منهم أو مخالطتهم إلا رجال الله الصوفية و الذين استطاعوا تهذيب بعض الأخدام مثلما فعل الشيخ أبو الحسن علي بن المرتضى الحضرمي [3] .

---

1 - اليمن أي الجنوب من تهامة .

2 - وطيوط ، المعلم ، تاريخ وطيوط ، " مخطوط " .

3 - الشرجي ، طبقات الخواص ، صـ222 .

فالسناكم إذن فصيل من العبيد انحطوا و انغلقوا على أنفـسهم و كوّنـوا " جيتـوا " Ghetto منفصلين عن المجتمع رافضين الانفتاح أو الاقتراب من حياة البشر (1) .

و قد كان لبعض السناكم أعمال يدوية مثل عمل الجونيات و المناخـل و الطفـي و الأعمـال اليدوية البدائية (2) .

و بالعودة إلى الأخدام ، فهم يشكلون طبقة اجتماعية متدنية جداً عند الزرانيق ، بل إن المؤلف وجد إشكالية و هي رفض الزرانيق اعتبار الأخدام ضمن مكوناتهم الاجتماعية و طبقاتهم رغم اعترافهم بأنهم كما يقول جلازر " يسكنون في أحياء خاصة بهم عادة ما تكون خارج المـدن و القرى تسمى "حافة الأخدام " و كما هو الحال في الحديدة و بيت الفقيه .." (3) .

فهم إذن يعيشون في بيوت منفصلة في قرى الزرانيق ، و يتركز دورهم على ما يلي :-

1- المشاركة في حراثة الأرض و ضمدها بشكل سليم .
2- يخبط الحصاد ، بمعنى ضرب السنابل المحصودة لإخراج الثمار .
3- بناء العشش .
4- عمل أسوار للبيوت الزرنوقية .
5- ضرب الطبول و صناعة النعال .

و كل ذلك و غيره مقابل أجر نقدي و لكن غالباً ما يكون الأجر عبارة عن حبوب " طعام كما يسمى عند الزرانيق " يأخذه الخادم يوم الحصاد .

---

[1] - مقشر ، عبد الودود قاسم ، السناكم ، صـ81-85 ، ضمن كتاب محمد سالم شجاب السابق .
[2] - مجهول ، نور المعارف ، تحقيق محمد عبدالرحيم جازم ، المعهد الفرنسي للآثار و العلوم الاجتماعية بصنعاء ، الطبعة الأولى ، 1424هـ - 2003 ، الجزء الأول ، صـ227 .
[3] - جلازر ، المرجع السابق ، صـ27 .

2- حياة الزرانيق اليومية و مأكولاتهم و ملابسهم .

1- الحياة اليومية للزرانيق

تبدأ حياة الزرنوقي اليومية مع صلاة الفجر حيث كان يصحو مبكراً ليصلي الفجر ثم يتجه إلى أرضه و يبدأ عمله اليومي برعاية أرضه و زراعتها و بذرها و ريها و حصادها ... و خلال العام الواحد تتعدد مهامه في أرضه خلال الفصول الأربع ، فهو في صباح :-

1- الربيع يعمل على حراثة الأرض و توسيعها .
2- الصيف يقوم ببذر الأرض .
3- الخريف يعتني بالزراعة التي تكون قد قامت و استوى عودها في أول الخريف و في آخر الخريف يقوم بالحصاد و قطف السنابل .
4- الشتاء يبدأ موسم زراعي جديد .

و في خلال كل صباح تأتي زوجته أو أولاده بالقراع و هي تسمية التهاميين للصبوح و بالماء و الدواب .

أما في الظهر ، فبعد الانتهاء من الأرض يذهب إلى بئر القرية ليبرح أي يستخرج الماء من الآبار و سقي الدواب و ملأ البيت بما يحتاجه من ماء خلال يومه و ليله ، ثم يذهب للمسجد لأداء صلاة الظهر و الانعطاف لبيته للراحة و الغذاء ثم يبدأ العصر حيث تتجدد المهام حسب الفصول أيضاً و على النحو التالي :-

1- في أيام الربيع و تسمى " موسم العمرة " أي تعمير الأرض و" تبريزها " أي قطع الأعشاب و الشجيرات الضارة و إصلاح " الزبير" و هو سور الأرض و أيضاً سدها الذي يجمع المياه فيه و الأرض تسمى عندهم بـ" الزهب " ، و الزهب في اللغة " القطعة الوافرة من المال و الأرض " [1] .
2- في أيام الخريف يرعى الدواب فقط .
3- في أيام الصيف يواصل يومه ببذر الأرض .
4- في أيام الشتاء يحصد و يعتني بالمواشي .

أما ظاهرة القات فقد كانت تمثل في حياة الزرنوقي ظاهرة نادرة و لا يخزن إلاّ في " أيام الوعد " و هو الذهاب إلى السوق أو بيت الفقيه أو أيام المناسبات و غالباً ما كان كبار السن هم الذين يمضغون القات و لساعة أو ساعتين فقط .

---

[1] - الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، جـ1 ، صـ122 . و ابن منظور ، لسان العرب ، جـ1 ، صـ448 . و المرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، مادة " زهب " .

أما المساء ، فالزرانيق بعد أداء صلاة المغرب يجلسون حول المسجد و يتداولون شؤون القرية و شؤون القبيلة ثم يلجون المسجد لأداء صلاة العشاء و بعد ذلك تبدأ جلسات السمر حيث تحكى قصة و تاريخ القبيلة بطريقة ميثولوجية و يسرد المعمرون طرفاً من حياة الأوائل و كذا حياتهم أيام شبابهم و تدار النكات و القصص الخرافية و يبدأ الشباب باللعب و ينتهي كل شيء في الساعة التاسعة أوالعاشرة مساء و يذهب الجميع إلى منازلهم ليخلدوا إلى النوم .

- المرأة الزرنوقيه

تقع عليها المسئولية في كثير من الأمور ، و تبدأ حياتها الصباحية بالتبكير في الاستيقاظ ثم طحن الطعام و إعداد وجبة " القراع " و توظيب البيت و تنظيفه و إيصال الأكل إلى الزوج في مزرعته و مساعدته مع أبناءها في إزالة الأعشاب و هو ما يسمى بالعلاف و تقديمه للدواب و قطع الشجيرات الضارة بالزرع و تقديمها للثيران و الأبقار ، و المشاركة مع زوجها في بذر الأرض و زراعتها و حصادها ، و الاعتناء بالأطفال و جلب الماء إلى البيت و تصليح ما خرب منه و الاحتطاب ... و في الليل تعد العشاء و تنظف البيت و تنتظر زوجها و تتهيأ له حتى إذا ما قدم اكتملت حياتها السعيدة ...!

2- مأكولات الزرانيق

الأكل عند الزرانيق بسيط جداً و كله منتج محلي ، فهم يأكلون مما يزرعون و يذبحون مما يرعون ، و يكاد يجمل أكلهم في الخبز و اللبن و اللحم و كل ما تولد من ذلك ، فمكونات الوجبات الزرنوقية الثلاث الرئيسية من الأكل هي كما يلي :-

1- الوجبة الأولى :- القُراع

و يسمي الزرانيق و التهاميون بشكل عام صبوح الإفطار بالقراع [(1)] ، و يرجعون سبب التسمية إلى قرع الصفراء و على هذا فالتسمية عربية خالصة فـ " قرع الشيء يقرعه قرعاً ضربه و كذلك رده و سكنه و كبحه " و "والقرعة أيضاً الجراب الواسع يلقى فيه الطعام " [(2)] فقرع الصفراء أي وأد و قتل الملاريا أو أي مرضٍ آخر في بدأها و مهدها من خلال التغذية الصحية في وقتها .

1 - جلازر ، اليمن في كتابات الرحالة الأجانب ، صـ68 .

2 - الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، جـ1 ، صـ620 . ، و ابن منظور ، ، لسان العرب ، جـ12 ، صـ312 . ، و المرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، مادة " ق . ر . ع " .

و تتكون وجبة القراع مما يلي :-

1- العيش ، و العيشُ لفظة يمانية خالصة – كما يقول ابن دريـد – و تعنـي الطعـام [1] . و الطعام عند الزرانيق – كما هو في اللغة [2] – اسم جامع لكل ما يقتات به الناس مـن الحبوب كالشعير و الحنطة و الدخن و الدجرى " اللوبيا " ....و غير ذلك .

و العيش عند الزرانيق نوعين :-

1- فطير و الفطير في اللغة هو " خلاف الخمير و هو العجين الذي لم يختمـر و الـذي اختبز من ساعته " [3] و تتكون هذه الأكلة من الدخن و طعام الغرب ...

2- الكدر و هو الحامض من الأكلة السابقة و التي تكون قد " شتيت " أي حمضت قبـل ذلك بزمن و في اللغة " الكُدر هو القبضات المحصودة المتفرقة من الزرع و نحـوه واحدته كدرة .. قال كراع : هو صنف من الطعام " [4]

2- ما يصنع مما سبق ليكون إداماً مثل الزومة و الكبان و " الكبان طعام لأهل اليمن يتخذ من سحيق الذرة المبلولة و يجعل في مراكن صغار " [5] .

3- الحليب و هو عند الزرانيق ثلاثة ألوان :-

1- اللبن و يكاد يكون مشروب اليوم بكامله و لا يختص بوقت و يشرب بكمية كبيرة .

2- الريبة و الريب " هو اللبن الرائب و هو الذي يمخض فيخرج زبـدة ، فقيـل للـبن الممخوض رائب لأنه يخلط بالماء عند المخض ليخرج زبدة " [6] و يشرب صباحاً مع الكدر و يستخدمونه للأطفال بكثرة .

3- القارص و " القارص الحامض من ألبان الإبل خاصة و هو شـديد الحموضـة " [7] و يستخدم صباحاً بكثرة .

هذا إلى جانب ما يستخرج من مشتقات الألبان كالزبدة و الجبنة و الثريبة " الزبادي " .

---

[1] - الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، جـ1 ، صـ773 . ، و ابن منظور ، ، لسان العرب ، جـ6 ، صـ321 . ، و المرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، مادة " ع . ي . ش " .

[2] - الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، جـ1 ، صـ603 . ، و ابن منظور ، ، لسان العرب ، جـ12 ، صـ363 . ، و المرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، مادة " ط . ع . ا . م " .

[3] - الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، جـ1 ، صـ773 . ، و ابن منظور ، ، لسان العرب ، جـ5 ، صـ55 . ، و المرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، مادة " ف . ط . ر " .

[4] - الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، جـ1 ، صـ603 . و ابن منظور ، لسان العرب ، جـ5 ، صـ134 . و المرتضى الزبيبدي ، تاج العروس ، مادة " ك . د . ر " .

[5] - القاموس المحيط ، جـ1، صـ1583 . ، و لسان العرب ، جـ13 ، صـ352 ، و تاج العروس ، مادة " ك . ب . ن . " .

[6] - القاموس المحيط ، جـ1، صـ183 . ، و لسان العرب ، جـ1 ، صـ439 ، و تاج العروس ، مادة " ر . و . ب . " .

[7] - القاموس المحيط ، جـ1، صـ808 . ، و لسان العرب ، جـ7 ، صـ70 ، و تاج العروس ، مادة " ق . ر . ص . " .

2- الوجبة الثانية :- البدء .

وجبة الغذاء تسمى عند الزرانيق بالبدء بضم الباء [1] ، و هذا لحـبهم الـشديد للحـم و اعتقادهم القوي أنه لا يصح إطلاق لفظة غذاء إلاّ بوجود لحم فإذا لم يوجد اللحم فهو لـيس بغذاء لديهم ، و البدء في اللغة العربية هي " المفاصل و إحداها بدى مقصور و هـو أيـضاً مهموز تقديره بدع و ابداء الجزور عشرة وركاها و فخذاها و ساقاها و كتفاها و عضداها ... فالبدى المفصل و العظم بما عليه من اللحم " [2] .

و يتكون الغذاء عند الزرانيق مما يلي :-

1- الفطير ، و يكون قد طحن لساعته و طبخ .
2- اللبن .
3- اللحم .
4- العسل .
5- البر في المناسبات و يفت مع العسل .
6- اللحوح و هو طعام أهل تهامة فقط كما يقول الفيروز أبادي و المرتضى الزبيـدي " اللحوح بالضم : شبه الخبز القطائف يؤكل باللبن يعمل باليمن ، و قد يؤكل مثروداً في مرق اللحم نادراً و هو غالب طعام أهل تهامة حتى لا يعرف في غيره مـن الـبلاد فاللحوح من خواص أرض اليمن لا يكاد يوجد في غيره " [3].
7- السحاويق .
8- الإدام كالملوخية و البامية ... و غير ذلك .

و طريقة أكل الفطير و اللبن قديمة عند الزرانيق و ما زالت حتى يومنا هذا و هـي كمـا ذكرها اليافعي المتوفي سنة 768هـ " و عادة أهل اليمن يأكلون الخبز و اللـبن إذا كـان مفتوتاً بالكف " [4] .

---

[1] - كامل ، مراد " دكتور " . اللهجات العربية الحديثة في اليمن . معهد البحوث و الدراسات العربية ، الطبعة الأولى ، 1968 ، صـ 83 ، نقلاً عن خليل نامي في دراسة ميدانية عن اللهجات اليمنية نشرها في مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة مايو سنة 1946 و مايو 1948 .
[2] - القاموس المحيط ، جـ1، صـ 42 . ، و لسان العرب ، جـ1 ، صـ26 . ، و تاج العروس ، مادة " ب . د . أ . " .
[3] - القاموس المحيط ، جـ1 ، صـ306 ،. ، و تاج العروس ، مادة " ل ح ح " .
[4] - اليافعي ، عبدالله بن أسعد ، مرآة الجنان ، جـ4 ، صـ214 .

3- الوجبة الثالثة :- العشاء

وجبة العشاء هي اللبن و العيش فقط .

و هذه الأكلات التي ذكرت سابقاً عند الزرانيق هي لجميع أفراد الأسرة إلاّ أن الشباب كانوا لا يأكلون إلاّ اللبن و الفطير و السمن فقط و يعيرون إذا أكلوا من غير ذلك .

3- ملابس الزرانيق .

الملابس عند الزرانيق تتناسب مع مكوناتهم التاريخية و بيئتهم الجغرافية و مناخهم الحـار ، و هي بشكل عام بسيطة في مكوناتها بساطة لابسيها ، يقول العميد سيف الـدين سـعيد عنـد حديثه عن ملابس أهالي تهامة " و هؤلاء أخفّ أهل الأرض لباسـاً ...خاصـة فـي القـرى المنتشرة بعيداً عن المدن التهامية ... فقد يكتفي أحدهم بما يستر عورته فقط و ما يستر رأسه من أشعة الشمس المحرقة ...و ليس غريباً في هؤلاء الناس أن يخافوا علـى رؤوسـهم و لا يخافون على أقدامهم ...و ذلك لأن أقدامهم نفسها قد استحالت إلى نعال ...أو أقسى من نعال ...! و قد ترى رجال و نساء قبيلة (الزرانيق) المشهورة في تهامة يضعون على رؤوسهم قبعة كبيرة من الحصير أثناء اشتغالهم في العراء ...حتى إذا التجأوا إلى الظل تحت عشـشهم المخروطية المصنوعة من أغصان الأثل و القش ، رفعوا القبعة المكسيكية ووضـعوا علـى رؤوسهم طاقيات خفيفة مصنوعة من القصب الخفيف " [(1)] .

و يقول حسن محمد جوهر و محمد السيد أيوب عن ملابس تهامة " ففي تهامة ، نظراً لارتفاع درجة الحرارة و الرطوبة طول العام و فقر الغالبية العظمى من السكان ، نرى الأطفال عراة حفاة يضعون في رقابهم حلقات من حديد ، بها أحجبة و تمائم و تعاويذ يعتقد أماتهم و آباؤهم أنها تقيهم شر العين و المرض و الحسد و مس الجن و تجلب لهم الحظ و تبعد عنهم الهموم ، و يترك الرجل النصف الأعلى من الجسم عارياً في أثناء العمل و إبان اشتداد الحر ، و يغطي النصف الأسفل بمئزر مخيط اسطواني الشكل ملون ذي خطوط ، و يشده علـى الأرداف .... فإذا انتهى من عمله أو تلطف الجو يلبس قميصاً قصيراً ، (صدرة) قصير الأكمـام ، بينـه و بين الفوطة زنار من القطن أو الجلد يعلق فيه الخنجر أو الخرطوش أو هما معاً ، و يـضع اليمني على رأسه طربوشاً من الخيزران للوقاية من الشمس و يسمى " الكوفي " و هو قمعـي الشكل بني اللون ...و يعتبر غطاء الرأس الرسمي في الحديدة ...كما تستعمل الشبقة و هـي غطاء للرأس على شكل القبعة ، و هي قديمة العهد في تهامة ....و يلبسها الرجال و النساء ،

---

[1] - آل يحيى ، العميد الركن سيف الدين سعيد ، تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن ، جـ1 ، صـ73 .

و تصنع محلياً من الخوص ، و هي رخوة متهدلة واسعة النسيج ، يتخللها الهـواء ، متـسعة الأطراف ، تظلل كل الرأس و العنق ، عالية لكي تحفظ الرأس من أشعة الشمس " ثـم يقـول عن لباس نساء تهامة " و نساء تهامة يرتدين غلالة رقيقة بلا أكمام تسمى " الكورتة " و تحت الكورتة فوطة ملونة ، و يضعن على رؤوسهن منديلاً ملونـاً ، و عنـدما يخـرجن للنزهـة أو الزيارة يرتدين الملابس الملونة و أحب الألوان إليهن الأصفر و الأحمر " [1] .

و بشكل عام يعتمد اللباس الزرنوقي على المادة المزروعة في وطنهم و هي " القطـن " [2]

و تتكون هذه الملابس حسبما التقطت في صورة نادرة لزرنوقي شاب وردت في كتاب العربية التعيسة لبري الصادر في 1915 و كذا ما رآه المؤلف و سمعه من المعمرين مما يلي :-

1- طاقة و " الطاقُ ضرب من الملابس و الثياب " [3] و هو ثوب أبيض يصبغ بأسـود و يكون طوله ست مدارع يد بما يقارب الخمسة أمتار .

2- مدرعة و تكون طويلة الأكمام ، مفتوحـة الـصدر ، و بـدون أزرار ، قـصيرة ، و تظهر الصدر و البطن ، و مصبوغة بأسود .

3- شمل و " الشملة عند العرب مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به ... و أشتمل بالثوب أي أداره على جسده كله " [4] و هذا اللبس معروف في تهامة ذكره كتـاب " نـور المعارف " و قال محققه محمد عبدالرحيم جازم " و الـشملة جمـع شِـمال و هـي منسوجات صوفية تحاك من صوف الأغنام و الماعز و تنسج بمنـسج خـاص يمـد موازياً للأرض... و تستخدم كفراش يمد على الأرض للجلوس عليه ، كما يـستخدم لحافاً للوقاية من البرد في الشتاء و ينسج من صوف الأغنام الذي يفتل خيوطاً رفيعة نسيج صوفي رقيق يستخدم كشال يوضع على الكتف و يعتم به و يسمى شملة " [5] و عند الزرانيق هو خيوط رقيقة و رفيعة صوفية توضع فـوق المعجـر و تكـون مضببة بالحرير و تقطع منها قطع لتوضع في الرجـل اليمنـى لتـدل علـى القـوة و الشجاعة .

---

1 - جوهر و أيوب ، اليمن ، صـ86- 88 .

2 - جحاف ، أمة الرزاق يحيى ، البعد الاجتماعي في الأزياء الشعبية اليمنية ، حوليات العفيف ، العـدد 3 ، الـسنة 2003 م ، صـ81 .

3 - ابن منظور ، لسان العرب ، جـ10، صـ231 . ، و المرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، مادة " ط . و . ق " .

4 - القاموس المحيط ، جـ1 ، صـ1318 . ، و لسان العرب ، جـ11 ، صـ364 . ، و تاج العروس ، مادة " ش . م . ل " .

5 - مجهول ، نور المعارف ، تحقيق محمد عبدالرحيم جازم ، جـ1 ، صـ354 .

4- المعجر و " المعجر كمنبر و هو ثوب يمني يلتحف به و يرتدى و الجمع المعـاجر ، قال الليث : ضرب من الثياب تكون باليمن " [1] .

و المعجر عند الزرانيق قطعة من القماش تحاك في بيت الفقيه من الحرير غالباً أو الكتان و تلف حول الخصر و تشد بها الملابس و تكون بمثابة الحزام في يومنا هذا و يتبـاهى بها الزرانيق للزينة و بألوانها و بطولها و الذي يبلغ أحياناً الاثنى عشر متراً .

5- العكاوة و هي قطعة فضية اسطوانية الشكل و منقوشة بدقة و عناية [2] و يستخدمها الزرانيق الشباب و لا يلبسها إلاّ من كان له القعشة و يعني عندهم ترك الشعر يطول من دون قص و الاعتناء به عناية فائقة لدى الشباب الزرنـوقي فهـو دليـل قـوة ، و الشعر عندهم نوعين :- نوع يصلح للقعشة و يسمى شعر خرفجـي أي ذو شـعر أجعد و يكون كثيفاً متداخلاً و نوع آخر يسمى شعر سلبة أي ناعم لا يـستقيم مثـل الخرفجي و هو لا يصلح للقعشة ، ويقول جيراسيموف و ماشين :- " شاهدنا رجـالاً من الزرانيق متوسطي القامة ، ذوي شعر أجعد مثبت بقطعة فضية على شكل حزمة صغيرة خلف الرأس " [3] .

6- حديد . والاسم لا يطابق المسمى فهو قطعة فضية اسطوانية الشكل توضع في الزند تحت الكدف و يدل عندهم على القوة و لا يلبسه إلاّ من يستحق هذه الصفة .

7- سيروا و هي عبارة عن حروز من فضة توضع بجانب الشمل فوق المعجر و هـي للزينة و لإبعاد الأرواح الشريرة أو العين .

8- الجنبية و هي إما جنبية أو سكينة و وضعيتها دائماً عندهم جانباً في المعجر و منهـا أعطوا الجنبية مسماها .

و يمشي شباب الزرانيق حفاة و عيب أن يلبس " شاطي " أما كبار السن فيلبسون ما يلي :-

1- ثوب أبيض و مدرعة غير مصبوغة .

2- معجر .

3- شمل .

4- جنبية أو سكين .

5- قبع أي غطاء الرأس أو الخيزران أو شدادة و عمامة .

---

1 - القاموس المحيط ، جـ1 ، صـ560 . ، و لسان العرب ، جـ4 ، صـ542 . ، و تاج العروس ، مادة " ع . ج . ر " .

2 - ملحق رقم (5)

3 - جيراسيموف و ماشين ، في جبال العربية السعيدة ، صـ51 .

6- شاطي .

أما النساء عند الزرانيق ، فيعجبهن الملابس الملونة الزاهية و بالـذات الأصـفر و تتكـون ملابسهن مما يلي :-

1- طورية حايكي و هي مئزر تغطي الجزء الأسفل من الجسم .

2- قميص و هي حسبما تذكر الباحثة أمة الرزاق جحـاف " عبـارة عـن زي مادتـه النسيجية من القطن المخلوط بالكتان ، ينسدل على الجـسد بحريـة كاملـة ، و أكمامـة العريضة لا يتم تركيبها بطريقة منفصلة ، و إنما هي جزء من الثوب ، و يكون اتساعها بعرض القميص نفسه ، و تظهر أجزاء من الجسد و يتم تطريزه بفخامة و كثافة بخيـوط القطن المتللة و المنسوجة بطريقة تسمى خدوجة ، و هي طريقة بدائية يدوية ثم يتم تثبيتها في شكل وحدات زخرفية جميلة تجمع بين البساطة و الفخامة على الواجهة ، مع تطريـز بسيط و خفيف على الخلفية و يصل طول القميص عادة إلى منتصف الساق " [1] .

3- شايبة بيضاء متللة أو منقوشة يدوياً إلى نصف الفخذ ثم شايبة أخرى إلى الأزرار .

4- مكشط و هو المصر الذي يغطي الشعر .

5- مقلمة و هي التي تغطي الرأس .

6- قبع حصير غالباً .

7- شاطي وهي التي تلبس في القدمين .

---

[1] - جحاف ، أمة الرزاق ، المرجع السابق .

3- مساكن الزرانيق

تتميز مساكن التهاميين و منهم الزرانيق بـ" نمط من الاستقرار السكاني فريد من نوعـه في شبه الجزيرة العربية "[1] و هذا النمط هو استخدام " الأكـواخ المبنيـة مـن أعـشاب و غصون الأشجار "[2] ، وقد وجد هذا النمط السكني منذ وجود الإنسان في تهامـة و هـو شكل بدائي للاستيطان البشري ، و ذكر هذا السكن كارستن نيبور في سنة 1761 حيث ذكـر أن المساكن " في تهامة معظم بيوتها عبارة عن أكواخ ، و بناؤها لا يكلف كثيراً ، فهي تبنـى من أغصان الشجر و الأعشاب و تكسى جدرانها بالطين المخلوط ببراز الأبقار ، و تدهن من الداخل بالكلس ، و سقوفها مبنية بأعشاب متوفرة بكثرة في تهامة ، و نادراً ما تكـون هنـاك نوافذ ، أما الأبواب فهي مجرد قطعة من الحصير ، و في هذه البيوت و حولها توضع سـرر أشبه بكراس طويلة منسوج سطحها بخيوط من القش ، و يجلس المرء عليها و ينام بارتياح ، و مثل هذه السرر " الكراسي " لا توجد في مناطق الجبال ، و نادراً ما تكون الأكواخ مقسمة في الداخل إلى أجنحة أو حجرات ، فإذا كان حجم الأسرة كبيراً أو كانت هنـاك حيوانـات ، فإنه يتم بناء أكثر من كوخ للأسرة الواحدة ، ثم تحاط جميعها بسياج واحد مبني من أغـصان الشجر "[3] ، و إلى جانب ما ذكره نيبور من أن بناء الأكواخ لا يكلف كثيراً ، يذكر الكاتب شيرلي كي أسباباً أخرى لاتخاذ هذا النمط السكني فيقول : " فالبيوت في تهامة مجموعة مـن العشش المبنية من سعف النخيل و فروع الأشجار و مطلية بالطين من الـداخل و غالبـاً مـا يصبغ الداخل بالألوان البيضاء مزينة بألوان أخرى ، و يعيش الناس في تهامة في جو حـار رطب و ليس هناك حاجة من الأغراض الجوية كما و أن موقعهم الجغرافي يحميهم من أيـة مشاكل قد تحدث من قبل سكان المناطق الجبلية ..."[4] ، ولمس الكاتب البريطـاني إدجـار أو بالانس (Edgar O’ Ballance) سبباً آخر يباين ما سبق فقال : " في سهل تهامـة تستخدم القبائل الأكواخ المصنوعة من القش و أعواد البوص ، حيث لا توجد عنـدهم فكـرة دفاعية طالما أنهم لا يملكون القليل أو لا يملكون أشياء ذات بال ، وعندما تلوح المتاعب في

---

[1] - أبو العلا ، محمود طه " دكتور " ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة ، طبعة 1966، جـ1 ، صـ138 .
[2] - المرجع السابق .
[3] - الصائدي ، احمد قائد " دكتور " ، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن ، دراسات يمنية ، عدد 38 ، صـ23 .
[4] - كي ، شير لي ، الفن المعماري اليمني ، ترجمة : أحمد ضيف الله ، دراسات يمنية ، العدد 30 ، صـ223 .

الأفق سرعان ما يولون الأدبار ، أكثر من بقائهم و دفاعهم ، حيث يستطيعون بسرعة تـشييد العديد من الأكواخ المصنوعة من القش حيثما ينتهي بهم المطاف " [1] .

وقد قام العميد الركن سيف الدين آل يحيى [2] عضو البعثة العراقية إلى اليمن و كذا حـسن محمد جوهر و محمد السيد أيوب صاحب اليمن [3] و الدكتور محمد حلمي جعفر [4] بشرح الكيفية لتكوين هذه المساكن و كيفية عملها و إقامتها .

و في بلاد الزرانيق يسكن الغالبية منهم في هذه المساكن [5] حيث تتكون مما يلي :-

1- العشة و اشتقاقها اللغوي معروف من عشش الطيور ، و يشرح الأستاذ محمد سالم شجاب تكوينها فيقول : " يقام أساس العشة على شكل دائري و يبنى بغرس أشجار مقطعة و يـسمى عندهم " ساس " ثم يشد رأس هذا الساس بحزام من فروع الأشجار شـداً محكمـاً و يـربط بالحبال و يسمى هذا الحزام " التعفوف " و يكون حجمه كثيفاً من الخارج .

وفي بعض المناطق يبنى الساس للعشة من الطين و التبن " الواحدة تبنة : ما قطع من سـنابل الزرع كالبر ونحوه و المراد به هنا ما تبقى من سنبل الدخن بعد إخراج الحب منه و يـسمى في تهامة الحماط ..." و يفعل له التعفوف كسابقه .

ثم يأتي دور بناء رأس العشة ، فيقام على شكل قبة بوضع اخشاب تسمى " الضلوع " تتخذ من السدر – العرج – أو من الذرح يؤتى به من جبال ريمة ، و أما السدر أو العرج فهو كثير في تهامة ، توضع هذه الأخشاب على التعفوف فتقام عليه من جميع الجهات و بـين كـل ضـلع وآخر قدر عشر بوصات و تتلاقى رؤوسها من أعلى ثم تشد بعضها إلى بعض ، ثم تحزم تلك الضلوع بفروع أشجار رفيعة قد خمسة ملي و تشد بحبال رفيعة ايضاً ابتداء من اسفل الضلوع حتى أعلاها و بشكل دائري ، ثم يكسي الرأس كاملاً بالقش " العجور " و يشد بالحبال " [6] .

2- العريش و العريش بناءٌ مستطيل من الأشجار و النخيل و يكون للراحة و المقيل و النوم ، وله أصل لغوي فهو من " عرش يعرشُ و يعرش عرشاً أي بنـى بنـاء مـن خـشبٍ

---

[1] - أو بالانس ، إدجار ، اليمن الثورة الحرب ، ترجمة و تعليق دكتور عبدالخالق محمد لاشيد ، مكتبة مدبولي – القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1990، صـ51 .

[2] - آل يحيى ، سيف الدين سعيد ، تاريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن ، جـ1 ، صـ108 .

[3] - حسن محمد جوهر و محمد السيد أيوب ، اليمن ، صـ77 – 78 .

[4] - جعفر ، محمد حلمي " دكتور " ، تهامة اليمن ، صـ66 ، 75 – 76 .

[5] - ملحق رقم (6) .

[6] - شجاب ، محمد سالم ، قبيلة الزرانيق و حركتهم التاريخية ، مجلة اليمن الجديد ، العدد 2 ديسمبر 1987 ، صـ42 – 43 .

و العريشُ خيمة من خشب و ثُمام ...و أحياناً تسوى من جريد النخل و يطـرح فوقهـا الثمام و جمعها عرشٌ " [1] .

3- السقيفة و هي معروفة وتوضع أمام العشة أو العريش أو منفصلة في البيت و هي للراحة و النوم وقت الظهيرة .

4- سور البيت يتكون من الأشجار الشوكية أو من الطين وروث الأبقار و الأغنام .

5- الدرم و الدرم و هو أصغر من العشة و غالباً ما يكون سكن الفقراء من الزرانيـق أو يتخذ للراحة في الأرض و في اللغة " الدرم شجر تتخذ منه حبـال ليـست بالقويـة ... و الدرماء نبات سهلي ليس بشجر و لا عشب ينبت على هيئة الكبد " [2] .

[1] - ابن منظور ، لسان العرب ، جـ6 ، صـ313 . ، و المرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، مادة " ع . ر . ش " . جلازر ، اليمن في كتابات الرحالة الأجانب ، العدد 1 ، صـ68 .

[2] - الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، جـ1 ، صـ1429 . ، و ابن منظور ، لسان العرب ، جـ12 ، صـ197 . ، و المرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، مادة " د . ر . م " .

الباب الثالث

الزرانيق و العثمانيون

الفصل الأول

الدور السياسي و العسكري للزرانيق منذ ظهورهم حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري / القرن التاسع عشر الميلادي

1- الزرانيق في القرن العاشر الهجري

2- الزرانيق في القرن الحادي عشر الهجري

3- الزرانيق في القرن الثاني عشر الهجري

4- الزرانيق في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري

1- القرن العاشر الهجري

يظهر جلياً أن الزرانيق ظهروا على مسرح الأحداث في وقـت متـأخر زمنيـاً ، وذلـك لانضوائهم تحت أصلهم القبلي أولاً و هو المعازبة و أيضاً لظهور الزرانيق بمسميات متعددة كبيت الأكيد أو الكعبين أو المجاملة ...الخ . و قد ذكرنا ذلك في الباب الأول .

فالمعازبة – و الزرانيق منهم – صالوا و جالوا ضد الدول و الأنظمة التي احتلت بلادهم بدءاً بالأيوبيين و الرسوليين و الطاهريين مروراً بالجراكسة و العثمانيين و الأئمة الزيدية ، فكانوا المقاومين و المتصدين لاستقرار هؤلاء في تهامة ، و يورد البردوني أنهـم " قـد صـاولوا (مطهر شرف الدين) في القرن السادس عشر مقدار أربع سنوات ثم استكانوا لغلبته " [1] ، و لكن لم يذكر – كعادته – المصدر الذي اعتمد عليه في ايراد هذه المعلومة التاريخية الهامة ، و هل قصد مصدره الذي اعتمد عليه المعازبه بشكل عام أم الزرانيق بشكل خاص ؟

و بالرجوع إلى المصادر التاريخية التي رجع إليها المؤلف وهي :-

1- روح الروح [2] .

2- السلوك الذهبية في خلاصة السير المتوكلية [3] .

3- البرق اليماني [4] .

4- غاية الأماني [5] .

و هي مصادر تناولت فترة الامام المطهر شرف الدين (908 – 980هـ ـ/1502- 1572) و لم تتطرق إلى ذكر معاركه ضد الزرانيق أو حتى المعازبة ، فكيف حددها البردوني بـأربع سنوات ثم استكانت الزرانيق لغلبته و لمن أتى بعده " ثلاثة أجيال " [6] ... !

---

[1] - البردوني ، اليمن الجمهوري ، صـ140 .

[2] - شرف الدين ، عيسى بن لطف الله بن المطهر ت 1048 هـ ، روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن و الفتوح ، جزءان ، مخطوط أصدرته وزارة الإعلام و الثقافة ، ج . ع . ي ، الطبعة الثانية 1401 هـ - 1981 ، جـ 1 ، صـ34 حتى جـ 2 ، صـ28 .

[3] - المفضل ، جمال الدين محمد بن إبراهيم توفي 1085 هـ ، السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية اليحيوية في سيرة الامام يحيى شرف الدين ، مخطوط بالمكتبة الغربية بصنعاء .

[4] - النهروالي ، قطب الدين محمد بن أحمد (917-990 هـ) .البرق اليماني في الفتح العثماني ، منشورات المدينة – لبنان ، الطبعة الثانية 1407 هـ - 1986 ، صـ165 و ما بعدها .

[5] - أبي القاسم ، يحيى بن الحسين المتوفى سنة 1091 هـ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور ، دار الكتاب العربي – القاهرة الطبعة الأولى سنة 1388هـ- 1968 ، جـ2 ، صـ745 .

[6] - البردوني ، المرجع السابق .

2- الزرانيق في القرن الحادي عشر الهجري

يسجل المؤلف أول ظهور للزرانيق ككيان مستقل يرد ذكره في كتابات المؤرخين و تشير إليهم صراحة بمسماهم الحالي " الزرانيق " كقوة سياسية و عسكرية في تهامة من خلال مقاومتهم و تصديهم للعثمانيين في احتلالهم الأول لليمن .

فأقدم من ذكرهم من المؤرخين هو المؤرخ محمد بن الطاهر البحر – و هو قريب منهم – في كتابه " تحفة الدهر " حيث ذكر ضمن حوليات سنة 1041هـ - 1631 أن الأمير محمود بيك و الذي ولي بيت الفقيه في محرم 1041 هـ - أغسطس 1631 ، قد غزا الزرانيق حيث قال البحر " و في شهر جمادى الأولى – الموافق نوفمبر 1631 – غزا الأمير محمود على الزرانيق و قتل منهم نحو عشرين نفر " [1] هكذا ورد الخبر فقط من دون ذكر الأسباب و المقدمات لذلك .

و هذه أول مرة يذكر فيها الزرانيق بمسماهم رغم أنهم ظهروا في الكتاب الآنف الذكر بمسميات متعددة و ذُكرت فيه مواطنهم التي عاشوا و مازالوا يعيشوا فيها حتى الآن .

ثم ذكرهم البحر مرة أخرى حين تزوج والي بيت الفقيه الأمير مصطفى ارنوت (الأرناؤطي) من امرأة في وادي رمع من الزرانيق و هو زواج سياسي لغرض استدراج الزرانيق و التقرب منهم ، فقال البحر في حوليات سنة 1042هـ - 1632 : " و في ربيع الأول تقرر الأمير في رمع و تزوج امرأة من الزرانيق " [2] .

و الأمير مصطفى الأرناؤطي تولى بيت الفقيه مرتين :-

1- المرة الأولى 1039 – محرم 1041 هـ - (1629 – 1631) .

2- المرة الثانية شوال 1041 – 1042 هـ (مارس 1632 – يوليو 1632)

و في عهده أعيد ترميم قلعة بيت الفقيه خلال فترة خمسة شهور من جمادى الأولى حتى شوال 1039 هـ (نوفمبر 1629 – مايو 1630) فقد " شرع في بناء قلعتها فبناها و شد أركانها و أحكم بنيانها و جعل فيها أربع قلاع للمدافع " [3] و ذلك للتصدي للقبائل و الاصباحية [4] و لعل قبول الزرانيق له يرجع إلى أنه " كان أميراً مقداماً سائساً هماماً له محبة بأهل الفضل .... فساس البلاد و قرر القواعد و ضبط العرب " [5] .

---

1 - البحر ، تحفة الدهر ، " خط " .
2 - المصدر السابق .
3 - المصدر السابق .
4 - الاصباحية أو الاصباهية هم قسم من الفرسان عند الترك ، البرق اليماني ، صـ 75 .
5 - المصدر السابق

3- الزرانيق في القرن الثاني عشر الهجري

الملاحظ بشكل عام في هذا القرن هو قلة بل وندرة المصادر التاريخية التهامية ، و المرجع في دراسة تاريخ تهامة في هذا القرن هو ما كتب من خارجها فقط .

و يلاحظ – أيضاً – أن تهامة وقعت تحت حكم الأئمة الزيدية ، و أُديرت مركزياً من صنعاء ، و كان لمدينة بيت الفقيه وضع خاص ، حيث حكمت حكماً مباشراً من الأئمة الزيدية والذين كانوا يختارون لإدارتها أقرب المقربين إليهم كعبيدهم أو أحد أفراد الأسرة الحاكمة ، و كل ذلك يشير إلى أهمية المدينة بموقعها و حجمها التجاري حيث عدّها كارستن نيبور – و الذي كان أحد مرافقي أول بعثة علمية أوربية دانمركية زارت شبه الجزيرة العربية و جعلت بيت الفقيه مركزاً لها في هذا القرن – مركزاً تجارياً عالمياً و قال عن سوق بيت الفقيه أنه " أكبر سوق لتجارة البن في اليمن كلها و ربما في العالم بأكمله ، حيث يفد إلى المدينة تجار للحصول على البن قادمين من الحجاز و مصر و سورية و القسطنطينية و المغرب (فاس و مراكش) و من بلاد فارس و الهند و أحياناً من أوربا " [1] ، فقد كانت ضريبة البن هي أهم مصدر من مصادر إيرادات الإمام – كما يقول نيبور – " إذ يقال أن الإمام يحصل على ربع البن كضريبة ، قبل أن يسمح بشحن الكمية المباعة في السفن [2] و قد ذكرت دائرة المعارف الإسلامية أنه " في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) كان دخل أئمة اليمن شهرياً من مخا و بيت الفقيه 1.500 جنيه انكليزي و هو مبلغ أخذ يزيد في شهور الشحن البحري الهندي ، و قد قدّر هاملتون Hamilton المبيعات السنوية من البن في بيت الفقيه باثنين و عشرين ألفاً من الأطنان " [3] كل ذلك يشير إلى أهمية و حجم بيت الفقيه في الخارطة السياسية و الاقتصادية لليمن و إدراك للدور الذي تلعبه هذه المدينة ، و هذا ما جعلها مطمح و مطمع كل غازي و ناهب .

ثم إن أهم ما يلاحظ في هذا القرن هو الغياب الكلي لذكر أي قبيلة تحيط بهذه المدينة فأين الزرانيق و الذين لم يرد ذكرهم في أي مصدرٍ من المصادر التاريخية في هذا القرن .

---

[1] - السعدي ، عباس فاضل " دكتور " . البن في اليمن ، مركز الدراسات و البحوث اليمني – صنعاء ، الطبعة الأولى 1412 هـ - 1992 ، صـ108-109 ، و يحكي التراث الشفوي في المدينة أنه كان يدخلها اثنى عشر ألف جمل محملة بالبن و سلع أخرى .

[2] - الصايدي ، المادة التاريخية في كتابات نيبور ، دراسات يمنية ، العدد 35 ، صـ87 .

[3] - هيدلي . مادة بيت الفقيه ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد 8 ، صـ500 – 501 .

4- الزرانيق في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري

في هذا القرن يبرز اسم الزرانيق كتكتل قبلي قوي و كلاعب سياسي أساسي في تهامة يحسب لهذا الاسم الحساب ، و في النصف الأول من هذا القرن كان الزرانيق موحدين و لهم شيخ واحد ، و أُعتبروا عقبة كأداء أمام الغزاة لتهامة و بدأت " قبائل الزرانيق تنتشر و تكثر فاشتهرت حتى دخل من بقي من المعازبة في ضمن الزرانيق " [1] و انضمت للزرانيق القبائل المجاورة لإدراكها أنها بمفردها لن تستطيع مواجهة الغزاة و الطامعين و الطامحين في حكم تهامة ، و كونت جبهة عريضة تحت مسمى الزرانيق ، فتصدت لقبائل يام و التي أكثرت السلب و النهب و القتل في تهامة و كانت بالكثرة حتى خافها القاصي و الداني و مازالت المرويات الشعبية تذكر هذه الجحافل بوحشيتها و همجيتها و فظاظتها و تذكر كتب التاريخ أول انتصار تاريخي للزرانيق على يام بعد أن كانت يام المنتصرة دائماً ومقصدها و غايتها نهب و سلب تهامة ، فيقول جحاف " و دخلت سنة ثلاث عشرة و مائتين و ألف و فيها خُلع فتح سعيد المجزبي في شهر شوال (مارس 1799) عن بيت الفقيه ابن العجيل و كانت يام قد خرجت و انتهبوا إلى بيت الفقيه و دخلوها و أحرقوا عشاشها و انتهبوا من أطرافها ، و كان فتح سعيد قد رتبها و انفتح الحرب بينهم و بينه فأنجلت قتلةً عن مائة و سبعين نفراً من يام بعد أن كانوا قد ضبطوا بعض المدينة فخرجوا من يوم ثاني و لعل ذلك كان آخر العام الأول 1212هـ - 1798 " [2] .

و يظهر دور الزرانيق في نفس هذا العام 1213هـ فيقول " و في هذا العام خرجت قبيلة يام و بلغوا إلى الدريهم [3] فاستقروا به و نهبوا البلاد جميعها ، و التفت الزرانيق عليهم فبغتوهم إلى الدريهم ووقعت بينهم قتلة عظيمة و عادوا البلاد فنزلوا بجماعاتٍ منهم ... " [4] .

و كانت تلك البداية لظهور الزرانيق السياسي و العسكري في القرن الثالث عشر الهجري بعد أن كانوا قد مالوا إلى الدعة و السكينة و الهدوء ، و بدأت موازين القوى في تهامة تتغير لصالح قوة جديدة تظهر فيها ألا و هي قوة الأشراف و بدأ أفول الدولة الزيدية الإمامية من تهامة تنقشع غيومه لصالح هؤلاء الأشراف ، و لعل أشهر حكام الأشراف الذين حكموا تهامة آنذاك هو الشريف حمود بن محمد بن أحمد الحسني التهامي (1170 –1233 هـ /

---

[1] - الحجري ، مجموع بلدان اليمن و قبائلها ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، صـ394 .

[2] - جحاف ، المصدر السابق ، حوليات سنة 1212 هـ .

[3] - الدريهمي تقع في شمال غرب بيت الفقيه و جنوب الحديدة و كانت تتبع بيت الفقيه و سكانها من الزرانيق و قد زارها المرتضى الزبيدي في 1166هـ - 1752 و طاب بها العلم ، أنظر" تاج العروس " مادة (درهم) .

[4] - جحاف ، المصدر السابق ، حوليات سنة 1213هـ .

1756 – 1818)[1] والذي عد من أبطال تهامة و رجالها الشجعان و لكنه أيضاً كان ممن تقلب في السياسة و لعب على أوتارها و تكسى بألوانها المتعددة ، ومن ذلك تقمصه ثوب الدعوة السلفية - والتي يسميها منتقدوها بالوهابية – فقد " دخلها في سنة 1217هـ " [2] و كان ممن لعب أدوارها مؤقتاً و كل ذلك من غير اقتناع لها و إيمان بها وإنما من أجل حكم تهامة و الاستقلال بها و درء لحكام آل سعود كما أثبت ذلك الدكتور سيد مصطفى سالم [3] .

و بدأ تطلع الشريف حمود لحكم تهامة الجنوبية من خلال إرسال ابن أخيه الشريف يحيى بن علي فارس بن محمد بن خيرات إلى بلاد الزرانيق للدعوة لعمه سراً في سنة 1217هـ - 1802 و هذا ما حذا بالمؤرخ لطف الله جحاف أن يذكر أن الأمير صالح – والي الحديده من قبل الإمام – أدرك خطر هذا الشخص و صاحبه السيد حسين الشخص المعروف بابن جحاف [4] و الأخير كان كاتب بااللحية و خوف الإمام منهما ومن " اضمارهما الشر فسار بمن معه إلى بيت الفقيه و بها فتح سعيد – واليها من قبل الإمام – فمنعه من دخولها فحط في التربة [5] و كتبوا إلى الإمام بذلك فأذن بدخولهم جميعاً بيت الفقيه [6] ثم عاد هذا المؤرخ و كشف صراحة أن ما جاء بالشريف يحيى بن علي إلى بيت الفقيه إلاّ " بضرب من المكر و الخداع و زرع للهجوم على تهامة بجبوب الحيل و الأطماع " [7] وهذا الخداع يقصد به إظهار الشريف يحيى بن علي " كراهية الدخول في سلك النجديين ، مائلاً إلى الالتجاء بساحات أمير المؤمنين " [8] .

فالشريف يحيى بن علي فارس استطاع بدهائه أن يقيم علاقات وطيدة و أن يكسب لعمه الشريف حمود جانب كبير من الزرانيق ، بل و قبائل تهامية كثيرة و كل ذلك بالسياسة و الدهاء ، فأرسل المشايخ عهودهم بالولاء للشريف حمود ، يقول البهكلي في حوليات 1217هـ " ووصل إليه – أي أن الشريف يحيى بن حيدر قائد جيش الشريف حمود – عهد علي حميدة شيخ القحرى من أعمال بيت الفقيه ابن عجيل ووصل إليه السيد عبدالباري محمد

---

[1] - ترجم له القاضي عبدالرحمن بن أحمد بن حسن البهكلي " نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود " ، و المؤرخ الحسن بن أحمد عاكش (1219-1290هـ / 1804 – 1873) " في الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني " تحقيق أ. د . اسماعيل بن محمد البشري ، دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض ، الطبعة الأولى،1424 هـ-2003 ،صـ 95 – 185 ، و جحاف في درر نحور الحور العين " خط " .

[2] - الشوكاني ، محمد بن علي ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، دار المعرفة بيروت – لبنان ، جـ1 ، صـ240 .

[3] - سالم ، سيد مصطفى " دكتور " ، مراحل العلاقات اليمنية – السعودية 1158 – 1353 هـ / 1754 – 1934 ، خلفية و حوارات تاريخية ، عربية للطباعة و النشر – القاهرة ، الطبعة الأولى 2003 ، صـ 66 – 188 .

[4] - بنو الشخص و جحاف كليهما بيتان معروفان في بيت الفقيه بالسيادة و الفضل .

[5] - التربة ضاحية من ضواحي بيت الفقيه في الشمال الغربي و بها ضريح الإمام احمد بن موسى العجيل و قبور آل عجيل .

[6] - جحاف ، درر نحور الحور ، حوليات سنة 1217 هـ ، البهكلي ، نفح العود ، صـ186- 187 .

[7] - المصدر السابق .

[8] - المصدر السابق .

الأهدل صاحب المراوعة من أعمال بيت الفقيه و كل من وصل إليه يعاهده على السمع و الطاعة و قتال من وراءه من الناس ... وأرسل إلى محمد جماعي شيخ العبوس وإلى أهل سهام و الرماة " [1] و كل هؤلاء من أعمال ولاية بيت الفقيه . و هكذا كان دور الشريف يحيى بن علي فارس دور محوري مهم فلم يأتي عام 1218هـ - 1803 إلاّ و كانت " يد الشريف حمود قد امتدت إلى بوادي بيت الفقيه " [2] و قصد البهكلي – و قد عاش و مات في بيت الفقيه – بذلك الزرانيق و الرماة و العبوس و القحرى و المجاملة و المعازبة ...ألخ ، فكان " الرفع من عامل بيت الفقيه إلى صنعاء – أي إلى الإمام المنصور – بخروج الرعايا البرية عن الطاعة و اختيارهم متابعة الشريف يحيى بن حيدر " [3] فهذا نص صريح على التحول لصالح الأشراف و خلع الولاء لدولة الأئمة الزيدية من " الرعايا البرية " و هم أصحاب البوادي و القبائل التي تسكن خارج مدينة بيت الفقيه كما يعرف ذلك أهالي هذه المدينة حتى الآن .

و يرجع تحول ولاء التهاميين إلى ممارسة ولاة الدولة الزيدية للظلم و الاضطهاد المنظم ضد سكان تهامة و تضعضع الدولة الزيدية و عدم قدرتها الدفاع عن تهامة من القوى الخارجية كقبائل يام وكذلك القوى الاستعمارية الكبرى كبريطانيا [4] و عدم تصديها للقوى المحلية اللاهثة لتفْيد تهامة كحاشد و بكيل [5] هذا إلى جانب تهامية الأشراف و اشتراكهم المذهبي مع التهاميين .

و يرى جحاف من ضمن أسباب تحول الولاء للتهاميين أنه " جاءت كتب من كثير من القبائل تسأل الدولة النهضة و الحفظ لأطراف بلادها فلم يرفع الوزير إلى كتبهم رأساً ... فدعاهم – أي الشريف حمود – إلى العهد فعاهدوه و ماجت في هذا العام أمور عالم كثير ممن على خبت تهامة من القبائل و اتقوا شراً من حمود فوهبوا [6] .

فبدأ الشريف حمود يسيطر على مدن تهامة واحدة تلو الأخرى حتى سقطت الحديدة في قبضته في 1221 هـ - 1806 [7] و لكن الشريف حمود كان يدرك تماماً كما أدرك غيره من المحتلين و الغازيين الناهبين لتهامة سابقاً و لاحقاً أن من يريد أن تخضع تهامة و تستكين له

[1] - البهكلي ، نفح العود ، صـ 184- 185 .
[2] - البهكلي ، نفح العود ، صـ 190 .
[3] - المصدر السابق .
[4] - العيسي ، جميلة سعد زيد " دكتورة " ، الصراع البريطاني الفرنسي حول البحر الأحمر (1213 -1286هـ/ 1798- 1869)، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى 1421 هـ - 2001 ، صـ 114 – 119 .
[5] - جحاف ، المصدر السابق ، حوليات سنة 1197 هـ .
[6] - المصدر السابق ، حوليات سنة 1219 هـ .
[7] - جحاف ، المصدر السابق ، حوليات سنة 1221 هـ ، البهكلي ، المصدر السابق ، صـ 252 .

فعليه ببيت الفقيه و زرانيقها و هذا ما أفصح عنه مؤرخه البهكلـي فقـال " و بقـي خـاطر الشريف متعلقاً ببيت الفقيه " [1] .

و في وقت سابق من هذا العام – أي 1221 هـ - كانت بيت الفقيه قد انضافت إلى الفقيه صالح بن يحيى إضافة إلى الحديدة [2] و قبيل سقوط الحديده بيد الشريف هرب صالح إلـى بيت الفقيه فحصنها و أرسل إلى الدولة الإمامية مستغيثاً أن " الغارة الغارة و البدار البدار فلم ترفع الدولة إلى إعانته رأساً [3] ، فأعلن تسننه بل و توهبه – أي أصـبح وهابيـاً – وولاءه تحول لآل سعود و أظهر أن " له تعلق بـ (سعود) و كان يعتقد أن لا يتم به عليه يد لحمود ... " [4] و لكن كل ذلك لم يغب عن السياسي المحنك الشريف حمود " و مما أحكمه الشريف من الرأي أن بعث ابن أخيه الشريف محمد بن علي فارس إلى اليمن و أصحبه جنداً من أهل الشام [5] و من غزاة أهل نجد و الدواسر و أخذ عليه أن لا يتعرض لصالح بسوء ، بل يظهر له إنما حكم الغوث و العون على أهل زبيد " [6] و لإدراك الشريف حمود نجاح ابن أخيـه الشريف محمد بن علي فارس في كسب الزرانيق للأشراف ، فقد أرسل إليهم برسـائل مـع الشريف محمد و هو ما ذكره البهكلي فقال " و أصحبه الشريف خطوطاً إلى مشائخ الـيمن ، يطلب منهم الدخول في الطاعة و ان يعاهدوا " محمد بن علي فارس " على السمع و الطاعـة و طمعهم في خطوطه بأنه سيوليهم على جهاتهم التي هم فيها و سينيلهم مراتـب مـا كـانوا نالوها ، و لما وصل الشريف محمد بن علي إلى جهة الزرانيق وافقه شيخ الزرانيـق و نبـذ عهد صالح و عاهد محمد بن علي و طلب منه المهلة في عدم التظاهر بالمناصرة حتى ينظر ما ينهي إليه الأمر لصالح " [7] و بفطنة صالح أدرك مرمى الـشريف حمـود فلجـأ إلـى العدو اللدود للشريف و هو الأمير عبدالوهاب أبو نقطة طالباً " منـع الـشريف حمـود مـن التعرض له " [8] معلناً أنه متمسك بالدعوة السلفية و مطبق لتعاليمها و ليس كالشريف حمـود فـ" سار صالح بن يحيى إلى قبة ابن العجيل في جماعة من الدواسر فهدمها ، و هدم سـائر القباب " [9] ثم إنه " غزى المناصرة [10] و قتل منهم نحو" أربعـين نفـراً مـستحجاً لهـم

[1] - البهكلي ، المصدر السابق .
[2] - المصدر السابق ، صـ 234 .
[3] - جحاف ، المصدر السابق ، حوليات سنة 1221 هـ .
[4] - البهكلي ، المصدر السابق ، صـ 252 هـ ، و سعود هو الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود .
[5] - اليمن أي تهامة الجنوبية و الشام تهامة الشمال .
[6] - البهكلي ، المصدر السابق ، صـ253 .
[7] - المصدر السابق .
[8] - جحاف ، المصدر السابق .
[9] - جحاف ، المصدر السابق .
[10] - المناصرة قبيلة تقع شمال بيت الفقيه و مركزهم المنصورية و التي كانت تتبع بيت الفقيه .

بمقابلتهم لحمود " [1] فسكت الزرانيق عن تلك الأفعال و قتل إخوانهم ، " ثم إنه أرسل إلـى شيخ الزرانيق بأن يخرج بأصحابه للجهاد بين يديه " [2] و هذا يدل على حـساسية الموقـف لدى الزرانيق فقد كانت تحيط بهم قبائل نجد و العجمان و الدواسر و قبائل تهامية من عـسير و تهامة الشام فـ " جمع صالح بن يحيى قبائل الزرانيق و قبائل الدواسر .... و تقدم بهم على زبيد فانتهبوها و ذهب من زبيد بمائتين و ألزمهم التوهيب " [3] .

و ظلت بيت الفقيه هي محور تفكير الشريف حمود فـ " بينما الشريف في الحديـده يعمـل الأفكار في بيت الفقيه و ما وراه من الديار " [4] برزت عقبة جديدة في تحقيق حلمه و هـي قدوم الأمير طامي بن شعيب الرفيدي [5] ليصلح بين الشريف و صالح و يكشف عن الخلـل بينهما و يرفع تقرير للأمير سعود ، ثم إن طامي " خـيم فـي تربـة ابـن عجيـل غربـي المدينة " [6] و ذلك ليرى ما فعله صالح بضريح ابن عجيل و يتأكد من صدق ولاءه للدعوة ، و ملأ المدينة و معاقلها برجال من عسير " و حكم على صالح باجراء إقامتهم و أمـر بهـدم الصومعة التي في جامع بيت الفقيه [7] من حيث أنها من أحسن المعاقل " [8] ثم قام طـامي " بحبس العسكر من أهالي مدينة بيت الفقيه بالدريهمي " [9] و كل ذلك أضعف صـالح بـن يحيى في المدينة و قوى شوكة الشريف حمود " فخلا له جو الملك من المعارضة و أقبل يفتل في الذروة و الغارب في استمالة أهل بيت الفقيه حتى انخرطوا فـي سـلكه " [10] فـدخلها الشريف حمود في شهر ربيع الأول 1222 هـ - مايو 1807 [11] .

---

[1] - جحاف ، المصدر السابق .

[2] - البهكلي ، المصدر السابق .

[3] - جحاف ، المصدر السابق ، و التوهيب أي إدخالهم في الدعوة السلفية " الوهابية " .

[4] - البهكلي ، المصدر السابق ، صـ 256 .

[5] - طامي بن شعيب الرفيدي ، أحد قادة الدولة السعودية الأولى و قد تولى إمارة عسير بعد وفاة قريبة عبدالوهاب أبو نقطة مـن 1244 هـ حتى أسره 1231 هـ ، ثم قاوم قوات محمد علي و العثمانيين ، فتم اصطياده بواسطة شريف أبو عريش الذي قدمـه هدية لمحمد علي باشا ، فأرسل إلى مصر حيث تم استعراض العقاب عبر تسييرهم عبر شوارع القاهرة ثم أرسل إلـى اسـتانبول حيث تم إعدامه و تعليق رأسه في قصر السلطان (قل هانه) – راجع محمد عبدالله آل زلفة " دكتـور " ، الأسـرى و المنفيـون السياسيون من الجزيرة العربية أثناء فترة الحكم العثماني ، جريدة الجزيرة ، العدد 10083 ، الأحد 2 / صفر / 1421 هـ - 7 / 5 / 2000 .

[6] - البهكلي ، المصدر السابق ، صـ260 .

[7] - منارة بيت الفقيه من أطول منائر تهامة و توجد في الجامع الكبير و يبلغ ارتفاعها 35 متراً و يرجع بناءها إلى القرن الثامن الهجري .

[8] - المصدر السابق .

[9] - المصدر السابق .

[10] - المصدر السابق .

[11] - جحاف ، المصدر السابق ، حوليات سنة 1222 هـ ، البهكلي ، المصدر السابق ، صـ 676 – 678 .

- **علاقة الشريف حمود بالزرانيق**

استطاع الشريف محمد بن علي فارس أن يكسب ثقة مشائخ الزرانيق – كما ذكر سابقاً - و أن يقيم معهم علاقات جيدة و جعلهم يميلون إلى عمه الشريف حمود ، فكان الزرانيق عوناً للشريف حمود في دخوله بيت الفقيه سنة 1222 هـ ، و على أساس تركهم و شأنهم .

و لكن العلاقة الجيدة لم تدوم بين الشريف و الزرانيق ، فسرعان ما انفجر الصراع بينهمـا ، و تكتمت المصادر التاريخية عن ذكر سببية هذا الصراع إلاّ أن المؤرخ البهكلي و هو قريب من الطرفين ذكر سبب و هو " لأنهم كانوا خرجوا عن الطاعة " [1] فسبب عودة الصراع هو ثورة الزرانيق مرة أخرى ، أما ما سبب تفجر ثورتهم مرة أخرى ؟

فهذا يعرف من عرف طبيعة القبيلة و نفسية أبناءها ومن عرف أيـضاً حـب الـسيطرة و التملك لدى الشريف حمود فقد " استقل بمملكة التهائم " [2] ثم قلب ظهر المجـن للـدعوة السلفية و لحكام آل سعود و أعلن عن " نواياه الحقيقية ... وهي الاستقلال بأمر تهامـة " [3] وكان لابد مما سبق من أسباب للقطيعة بينه و بين آل سعود [4] ، فقام الشريف حمود باحكام سيطرته على تهامة و " أخرج عنها النجود و قتل من بقي منهم في الحدود " [5] و صـادف استقلاله بتهامة و تقربه من الأئمة الزيدية ثورة الزرانيق ، فتوجس الشريف حمود منهم خيفة بل و اعتقد بوجود اتصالات بين الزرانيق و أمير عسير عبدالوهاب أبو نقطة و الـذي أمـده الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود بجيش ضخم " قيل مائة ألـف " [6] و هـذا السبب ذكره البهكلي فقال " و خشي– أي الشريف حمود – أن يكاتبوا عبدالوهاب ، و يتوسعوا لطائفة من جنده في بلادهم فتعظم بذلك المحنة على الشريف " [7] و أعد جيشاً من قبائل يـام و قبائل أخرى في ربيع الأول سنة 1224 هـ [8] - أبريل 1809 .

ولكن النعمي وصاحب حوليات يمانية يريان أن تلك الثورة كانت في1225هـ -1810[9] .

---

[1] - البهكلي ، المصدر السابق .

[2] - الكبسي ، محمد بن اسماعيل توفي 1308 هـ ، اللطائف السنية في اخبار الممالك اليمنية ، مطبعة السعادة – القاهرة ، الطبعة الأولى 1983 ، صـ 298 .

[3] - سيد مصطفى سالم ، مراحل العلاقات اليمنية – السعودية ، صـ 134 .

[4] - المرجع السابق ، صـ 141 – 144 .

[5] - الكبسي ، المصدر السابق ، صـ 298 .

[6] - الشوكاني ، البدر الطالع ، جـ1 ، صـ 241 .

[7] - البهكلي ، المصدر السابق ، صـ 278 .

[8] - البهكلي ، المصدر السابق ، صـ 278 ، جحاف ، المصدر السابق ، حوليات سنة 1224 هـ .

[9] - النعمي ، حوليات النعمي ، صـ46 ، مجهول ، حوليات يمانية من سنة 1224 هـ إلى سنة 1316 هـ ، حققه عبدالله محمد الحبشي ، منشورات وزارة الإعلام و الثقافة ، طبعة أولى سنة 1985م، صـ 4

و قد رأس الشريف حمود ولده الشريف أحمد قيادة هذا الجيش ، و لا يخفى اختيار الشريف حمود لذلك و كذا لاختياره قبائل يام و الذين ذاقوا من الزرانيق عدداً من الهزائم و كانوا يتوثبون للانتقام منهم .

وأدار الشريف حمود المعركة من مدينته التي بناها (الزهرة) [1] ، وكان يرأس قبائل الزرانيق شيخهم الهبة علي [2] و حصلت الحرب ، فالتحموا التحاماً شديداً و كانت الأوامر صارمة بالفتك بالزرانيق [3] فكانت الكثرة قد بدا أنها غلبت الشجاعة و عندما أحس بالهزيمة " شيخهم الهبة علي أحرق الجبخانة [4] على أولاده و من في القلعة و خرج و قتل ... و راحت جملة من يام و صارت العداوة من ذلك الحين " [5] .

و النتيجة أن المعركة " انجلت عن خمسمائة قتيل من الزرانيق ، و ثمانمائة من يام و قتل من الزرانيق رئيسها و عاد كل من الجيش إلى بلاده " [6] و يؤكد البهكلي و هو مؤرخ الشريف حمود و الغريب أنه عاش في بيت الفقيه عدم معرفته بعدد قتلى الطرفين ، و يتشفى في الزرانيق فقد " أمكنه الله – الشريف حمود – من أخذ الزرانيق " [7] وأنه " قتل منهم قدراً لا يحصى ، و أحرق بيوتهم ، و هدم معاقلهم ، حتى صاروا كأمثال الناس لما لقوه من شدة البأس [8] و مازالت صدى هذه المعركة مذكورة في التراث الشفهي الزرنوقي حتى الآن كما ذكر في الباب الأول .

و بعدما انتهت هذه المعركة بهزيمة الزرانيق " و فتك بهم " [9] الشريف حمود " ورأى غلبته عليهم أعلى ضروب الشجاعة و أعطر الأخبار في حنكة القيادة " [10] ، انقادت الزرانيق للشريف حمود " و لم تقم لهم قايمة في أيامه " [11] ، وبل و شكل الزرانيق في الفترة المتبقية من حكم الشريف ما بين (1224هـ - 1233هـ / 1809– 1818) إحدى القوى الرئيسية لجيش الشريف حمود ، فحسبما يذكر المؤرخ و الأديب البغدادي محمد بن حمد البسام التميمي

---

1 - البردوني ، اليمن الجمهوري ، صـ126 .
2 - النعمي ، المصدر السابق .
3 - مجهول ، حوليات يمانية ، صـ4 .
4 - الجبخانة مخزن مواد الحرب من بارود و قنابل و سلاح (تركية) .
5 - النعمي ، المصدر السابق .
6 - جحاف ، المصدر السابق .
7 - البهكلي ، المصدر السابق ، صـ 281 .
8 - المصدر السابق ، صـ 278 .
9 - مجهول ، المصدر السابق .
10 - البردوني ، المرجع السابق .
11 - مجهول ، حوليات النعمي ، صـ 4 .

توفي 1246هـ/1831 أن من أتباع الشريف حمود عرب تهامة " ومنهم الزرانيق خيالهم ألف و سقمانهم [1] خمسة آلاف " [2] .

- الزرانيق و عودة الحكم الأمامي .

قام محمد علي باشا بإرسال " حملة مصرية بقيادة خليل باشـا (ديـسمبر 1818) لـضم منطقة أبو عريش اليمنية و نجحت في الاستيلاء عليها و على جيزان و الحديده و زبيد و بيت الفقيه و اللحية ... إلا أن محمد علي لم ير الوقت ملائماً للتوسع فـي الـيمن " [3] فقامـت القوات المصرية بتسليم التهائم إلى الأئمة الزيدية في 1233هـ / 1819 بواسطة خليل باشـا و عاد الحكم الإمامي من جديد لتهامة فعادت الأوضاع كما كانت من ظلم و قهـر و اسـتعباد حتى 1248هـ / 1832 .

و خلال هذه الفترة ، عادت قبائل يام لتسلب تهامة و تقتل و تدمر و تحرق ، و لتأخذ بثأرها من الزرانيق ، فضمن حوليات سنة 1241 هـ/ 1825 يقول النعمـي " و لمـا كـان سـنة 1241هـ دخلت يام طرق بندر الحديده و حصلت فيهم قتلة عظيمة و كسروا و طرحوا على الزرانيق وفعلوا فيهم قتلة عظيمة وولوا مكـسورين ، كـسرهم الله " [4] ، و هكـذا غلـبهم الزرانيق مرة أخرى .

و قد ثار الزرانيق على عمال وولاة الأئمة ، ومن ذلك ثورتهم الشهيرة ضد السيد عبـدالله بن عبدالله دريب أحد عمال الأئمة الزيدية المشهورين ، و قـد ذكـر هـذه الثـورة النعمـي في حوليات 1243هـ - 1828 فقال : " و بعد ذلك أحمد بن لطـف البـاري – أحـد قـادة عبدالله دريب – رمى باثنين من الزرانيق في فم المدفاع في بيت الفقيه ، وحصل الفساد – أي الثورة – من الزرانيق يومئذ بسبب ذلك ، و جهز عليهم السيد عبـدالله دريـب و عـداهم . و الحال أن العداوة حصلت و المطر حصل و اكتسرت العساكر ووقعت فيهم قتلة عظيمـة ، و سبب ذلك فعلة أحمد بن لطف الباري وباء بالإثم حيث ومن هـي أفعالـه لا يرضـي الله و رسوله" [5] .

---

[1] - سقماني ، سكماني ، سكبان مركبة من (سك) و تعني الكلاب و (بان) بمعنى حافظ أو مراقب و تأتي بمعنى مساعد الصياد ، و كان السكمانية في عهد نشأة الدولة العثمانية هم الذين يحرسون كلاب السلطان و يحملون له البنادق و يساعدونه في الصيد . راجع مادة سكبان في دائرة المعارف الاسلامية .

[2] - التميمي النجدي ، الشيخ محمد بن حمد ، الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر ، تحقيق د / رمزية محمد الأطرقجي ، الدار العربية للموسوعات – بيروت ، الطبعة الأولى 2000 – 1421 هـ ، صـ32 .

[3] - البطريق ، عبدالحميد " دكتور " ، من تاريخ اليمن الحديث 1517 – 1840 ، معهد البحوث و الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية – القاهرة ، 1969 ، صـ50 .

[4] - النعمي ، المصدر السابق ، صـ 81 .

[5] - النعمي ، المصدر السابق ، صـ 90 .

ثم جاءت القوات المصرية العثمانية المتمردة على محمد علي باشا بقيادة تركجـة بيلمـز [1] سنة 1248هـ / 1832 إلى تهامة و كالعادة كان دور الإمام الزيدي سلبي فـالأرض ليـست أرضه بل إنه " قام و قعد و أرعد و أبرق ... ! " [2] ثم لم يفعل شيء ، أما قـوات تركجـة بيلمز فقد " ملكوا الحديدة ... و توجهوا نحو بيت الفقيه ابن عجيل فأخذوها و توجهـوا زبيـد و فيها العامل الأكبر السيد عبدالله دريب و أحمد لطف الباري طامش فنصبوا له الخازوق عند وصولهم و السيد عبدالله بقي بعده أياماً و قتلوه بالذبح كالكبش " [3] .

ثم قدمت حملة أحمد باشا يكن للقضاء على ثورة تركجة بيلمز [4] في أوائل 1835 " و كانت اللحية و في قبالتها جزيرة قمران أول الأماكن التي تم احتلالها و في أثناء تقـدم الأسـطول جنوباً بمحاذاة الساحل لاحتلال ميناء الحديده كانت القوات الرئيسية تحت قيادة إبـراهيم يكـن تتقدم في البر ، و وصلت بيت الفقيه التي تعتبر سوقاً من أسواق اليمن لتجارة البن ثم استولت على زبيد و تم وضع حاميات قوية في كل منها و عين لكل من الحديده و مخا و زبيد و بيت الفقيه و اللحية محافظاً و موظفين لإدارة شؤونها و جماركها " [5] و في 13 مـارس 1840 أجليت القوات المصرية و تسلم حكم تهامة الشريف الحسين بن علي حيدر [6] حتـى قـدوم القوات العثمانية في 1849 / 10 محرم 1256هـ .

[1] - البطريق ، المرجع السابق ، صـ64 – 73 .
[2] - مجهول ، حوليات يمانية ، صـ 49 .
[3] - المصدر السابق ، صـ 50 .
[4] - البطريق ، المرجع السابق ، صـ 75 .
[5] - المرجع السابق ، صـ 76 .
[6] - المرجع السابق ، صـ 103 .

الفصل الثاني

الاحتلال العثماني الثاني لتهامة

وبدايات مقاومة الزرانيق له في الفترة

من ١٢٦٥-١٢٨٩هـ / ١٨٤٩-١٨٧٢م

1- الاحتلال العثماني الثاني لتهامة .

2- نشوء المقاومة التهامية .

3- مذبحة الصنيف .

4- ظهور المقاومة الزرنوقية .

5- الزرانيق و بونابرت .

6- سياسة التهدئة .

7- الزرانيق يعزلون الوالي .

1- الاحتلال العثماني الثاني لتهامة .

لم تستقر تهامة في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، و قبيل قدوم العثمانيين ، كان الشريف الحسين بن علي بن حيدر يحكم المنطقة باسم السلطان العثماني " حيث أكدت الدولة سيادتها على إمارة أبو عريش و السواحل اليمنية بعد اتفاق زبيد الذي عقد في 3 رمضان 1258هـ الموافق 7 / 10 / 1842 بين الشريف الحسين بن علي بن حيدر و المبعوث العثماني أشرف بك ، و الذي بموجبه صدر المرسوم السلطاني في شهر صفر1259هـ/مارس 1843حيث أصبح الشريف تابعاً للدولة العثمانية رسمياً " (1) .

و لقب السلطان العثماني الشريف حسين بأمير الأمراء و بالباشا و لكنه الشريف حسين لم يفلح في التصدي للتمردات الداخلية كتمرد الشيخ علي حميدة شيخ قبيلة القحرى و للأخطار الخارجية كخطر الأمير عائض بن مرعي في عسير و الأئمة الزيدية في صنعاء و قبائل يام فالكل كان يلهث لانتزاع تهامة منه ، و أمام كل ذلك " يشير مؤرخ المنطقة عاكش إلى أن الشريف و تحت هذه المعاناة رأى أن المصلحة تقتضي أن يطالب الدولة العثمانية باعتباره أحد حكامها المساعدة و المعاونة في إدارة دفة البلاد " (2) ، بل و يرى اباظة أن " الحسين طلب من الباب العالي ارسال من يتسلم منه المنطقة اليمنية التي يحكمها ، باعتبارها أمانة في عنقه يعيد أمرها إلى الخليفة " (3) هذا إلى جانب " أن تجار تهامة و أعيانها و خاصة المقيمين منهم في الحديده طالبوا السلطان العثماني بالتدخل لإقرار الأمور في اليمن بعد أن كسدت متاجرهم و نهبت أموالهم أثناء المعارك التي دارت رحاها بين قوات الحسين التهامية والقوات الإمامية المهاجمة التي كانت تضم مجموعة من القبائل الطامعة في النهب والسلب والتخريب " (4)

ويورد محمد بن لطف الباري سبباً لقدوم العثمانيين إلى تهامة وهو استنجاد مفتي تهامة محمد بن عبدالرحمن بن سليمان بن يحيى بن عمر مقبول الأهدل بالدولة العثمانية السنية ضد قبائل يام الاسماعيلية و القبائل الزيدية فيقول " و سبب خروجهم دخول السيد العلامة أحمد بن عبدالرحمن بن سليمان صاحب زبيد ... و ذلك أنه لما وقعت قتلة زبيد المذكورة أولاً وانتهبت بيته دخل إلى مكة المشرفة حرسها الله من الأدناس و صحبه الحاج يوسف التركي فوصل إلى مكة جمع علمائها و قص عليهم قصته فدخلوا على الشريف محمد بن عون وبعث – الشريف

---

1 - البشري ، اسماعيل بن محمد " أ . د " ، الحملة العثمانية على إمارة (أبو عريش) و السواحل اليمنية ، (1265هـ -1849) ، دراسة وثائقية ، مكتبة العبيكان – الرياض ، الطبعة الأولى ، 1423هـ / 2002 ، صـ 11 .

2 - المرجع السابق ، صـ41 .

3 - أباظة ، فاروق عثمان " دكتور " ، الحكم العثماني في اليمن 1872 – 1918 ، دار العودة – بيروت ، الطبعة الثانية ، 1979 ، صـ44 .

4 - المرجع السابق ، صـ 44 – 45 .

– بكتاب إلى السلطان بأنه وصل إليه علماء مكة والسيد محمد بن عبدالرحمن بـن سـليمان الأهدل صاحب مدينة زبيد شاكياً بالشريف الحسين بن علي حيدر والمتوكل محمد بن يحيى و عرفه بالأمر جميعه " (1) .

و يرى المؤلف أن عنصر الصراع بين القوى الكبرى و خاصة بين بريطانيا و فرنـسا لا يجب استبعاده حيث قد لعب البريطانيون دوراً في إزاحة الشريف الحسين ، ومحاولة تقـرب الأئمة الزيدية من البريطانيين على حساب الشريف حسين في تهامة ، وهذا ما أفـصح عنـه الشريف حسين في رسالتين إلى الشريف محمد بن عون و والي جده صراحة حيث قال " إنـه بلغكم خبر كاد أن يبلغ حد التواتر أنه قد صار بين المتوكل صاحب صـنعاء و بـين طائفـة الإفرنج – أي الإنجليز – اتفاق على انتزاع الديار التي تحت أيدينا منّا " (2) ثم فـي رسـالته إلى والي جده شريف محمد رائف حيث قال " وذكرتم أنه أخبركم وكلاء الدولـة الإفرنجيـة المقيمون ببندر جده أن المتوكل صاحب صنعاء كاتب الإفرنج و خاض معهم في ضبط بنادر اليمن ويستمد منهم الأسباب الموصلة إلى نيل هذا المرام وهم يترقبون اغتنام الفرصة " (3) . وعلاقة التآمر بين البريطانيين و الأئمة الزيدية واضحة ، فقـد أرسـل إمـام صـنعاء فـي " 1840 (1255هـ) ابن أخيه إلى الكابتن هينس لاتمام معاهدة للأمـن و التجـارة " (4) واطلب المساعدة ثم " في 22 أبريل 1841 (1/ 3 / 1257هـ) وصلت بعثـة مـن إمـام صنعاء تحمل هدايا ثمينة وكان الهدف منها طلب مساعدة البريطانيين البحرية لتمكين الإمـام من انتزاع موانئ تهامة من أشراف أبي عريش " (5) ورغم العداء البريطاني للشريف حسين إلاّ أن ردهم على كل البعثات الإمامية الزيدية كان هو ان البريطانيين يؤمنون بـ " مبدأ عدم التدخل في الشؤون العربية " (6) فكان الوفد الإمامي الثالث ، و الذي قدم الكثير من التنازلات للبريطانيين فـ " في شهر يوليو 1841 (جمادى الأولى 1257هـ) أرسل الإمام وفداً آخـر وكان وفده هذا مفوضاً لقبول أي شروط يطلبها هينس و حتى زيلع على الشاطئ الـصومالي يمكن التنازل عنها كثمن للتعاون البريطاني ، و قد رفض هينس ذلك بسبب خطتنا في الحيـاد الكامل " (7) ، ثم طلب الإمام " ضابطاً بريطانياً ليشغل وظيفة مستشار في صنعاء ... ولكـن

[1] - الحيمي ، محمد بن لطف الباري ، أخبار أقطار اليمن " مخطوط " .

[2] - البشري ، إسماعيل بن محمد " أ . د " ، السياسة العثمانية تجاه إمارة (أبو عريش)و السواحل اليمنية ، 1259هـ -1264 هـ / 1843 – 1847 ، دراسة وثائقية ، مكتبة العبيكان – الرياض ، الطبعة الأولى ، 1423هـ - 2002 ، صـ 134 – 135 .

[3] - المرجع السابق .

[4] - جاكوب ، ملوك شبه الجزيرة العربية ، صـ56 .

[5] - بلاي فير ، تاريخ العربية السعيدة ، صـ 146 .

[6] - المصدر السابق ، و جاكوب ، صـ57 .

[7] - المصدر السابق .

الحكومة البريطانية رفضت " [1] ، كل تلك المحاولات الإمامية كان الهدف منها هـو جـر البريطانيين " بالتدخل المسلح الذي رفض " [2] من قبل البريطانيين .

و قد يكون ذلك من مبدأ الحياد و عدم التدخل في الـسياسيات و الـشؤون العربيـة إلاّ أن تدخلهم سيجر عليهم ويلات و حروب و تمردات تهامية و هذا ما يعرفونه و ما درسوه رغـم أن الشريف حسين مثل لهم كابوساً مزعجاً ، فقد كانت " تراود الشريف حسين فكرة غزو عدن و طرد البريطانيين ... " [3] و " تميز موقف حاكم تهامة الشريف حـسين بـن علـي إزاء البريطانيين في عدن بالعداء الصريح " [4] ، و كانت سياسة الشريف حـسين شـديدة ضـد الرعايا البريطانيين و فرض الضرائب الباهظة عليهم و زاد ذلك بمعاناة التهاميين أيضاً فكان يصل إلى مستعمرة عدن 1200 مهاجر تهامي شهرياً [5] .

و هكذا حرضت و شجعت بريطانيا الإمبراطوريـة العثمانيـة لاحـتلال تهامـة و فـي 17 جمادى الأولى 1256هـ الموافق 10 / 4 / 1849 دخلت القوات العثمانية الحديـده أمـا الشريف حسين ففضل الابتعاد عن الحياة السياسية رغم عرض السلطان العثمـاني عليـه أن يحكم اليمن كله إلاّ أنه رفض و آثر أن يعيش في مكة بقية حياته حتى وفاته في يوم الـسبت 7 محرم 1272هـ / 18 / 5 / 1855 [6] .

---

[1] - المصدر السابق .
[2] - المصدر السابق .
[3] - جميلة العيسى ، الصراع البريطاني الفرنسي ، صـ 121 .
[4] - المرجع السابق .
[5] - بلاي فير ، صـ 145 ، جاكوب ، صـ 54- 55 .
[6] - عاكش ، الحسن بن أحمد ، عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر " مخطوط لدى الباحث " .

2- نشوء المقاومة التهامية

يعد توفيق باشا القبرصي – قائد حملة احتلال تهامة – أول من تولى حكم تهامة ، و قـد وقفت القبائل التهامية مذهولة من الاحتلال العثماني و صمت الأشـراف و خـضوع الأئمـة الزيدية ، بل حتى قبائل يام و الأمير عائض بن مرعي أعلنوا الولاء للعثمانيين ، و لكن بعـد هزيمة الجيش العثماني في صنعاء و الانتفاضة الشعبية ضد المحتل رغـم ترحيـب الإمـام الزيدي بالمحتل و كذا منظر العثمانيين و هم يجرون أذيال الخيبة و العـار عبـر تهامـة ، وأصابت قائد الحملة توفيق باشا إصابات بليغة و هروب الشريف محمد بن عون إلى مكـة ، كل ذلك كان إيذاناً بكسر حاجز الذهول و الخوف و إعلاناً للمقاومة التهاميـة ضـد المحتـل العثماني ، فبدأت طلائع التمرد عند القبائل التهامية في أيام توفيق باشا حيث ذكـر الـضابط العثماني أحمد راشد " أن توفيق باشا قضى بعض الأيام في مداواة جروحه و هو متـصرف في الحديده وعندما شفي استصحب معه عدداً من الجنود و تحرك نحو القبائل فـي أطـراف الحديده " [1] و يلاحظ أن المقاومة التهامية ، اتبعت أساليب متعددة و منها تسميم مياه الآبـار حسبما ذكر لي الكثير من المعمرين [2] و اتبعوا أيضاً أسلوب الاغتيال السياسي بالسم و هذا ما ألمح إليه أحمد راشد عند حديثه عن وفاة توفيق باشا فقال " و يظهر أن المياه التي شـربها هو و جنده كانت مضرة و قد تكون ملوثة و لهذا السبب تعرض هو و أكثر من ثلثي جنوده – البالغين ثلاثة ألف – إلى مرض لم يشف منه و توفي بهذا المرض في 18ربيع الآخـر سـنة 1266هـ (2 / 3 / 1850) في الحديده كما توفي كثير من جنوده " [3] .

ومما سبق يتضح أن المقاومة التهامية كانت قد بدأت في التشكل و بطرق متعـددة و متخـذة وسائل متنوعة و لكن الذي عزز هذه المقاومة ، الأحداث التي حصلت بعد ذلـك و خاصـة (مذبحة الصنيف) .

---

[1] - راشد ، احمد ، تاريخ اليمن و صنعاء ، جـ1 ، صـ211 .
[2] - قاسم سطيح ، و علي جربوح و يحيى حاب .
[3] - المصدر السابق

3- مذبحة الصنيف

بعد إغتيال توفيق باشا القبرصي أول والي في تهامة على يد المقاومة التهاميـة ، عينـت الدولة العثمانية والياً جديداً هو مصطفى باشا [1] صبري [2] وكـان مـشهوداً لـه عنـد العثمانيين بأنه " مستقيم الأطوار و مقتدراً على الإدارة " [3] و كذلك " كان لـه الغايـة فـي التدبير و الاقتدار و منتهى الغيرة و لذلك وفق في أقرب وقت لإصلاح أحوال كثير من القبائل " [4] ، فجاء إلى تهامة في 5 ذي القعدة 1266 هـ - 11 / 9 / 1850 واستقر في الحديـده مركز الولاية ، وخرج هذا الباشا ليقمع ثورات القبائل التهامية في صفر وربيـع أول 1267 هـ متجهاً من الحديده في خط مستقيم شرقاً نحو المراوعة و باجل ثم جنوباً و هذا ما صـرح به عاكش حيث قال " و السبب في وصوله إلى قرية باجل أنه انفصل مـن الحديـده بأجنـاده لتصليح الجهات اليمنية [5] و انتهى سفره إلى زبيد " [6] والمقصود أنه خرج للقضاء علـى مقاومة قبائل العبسية و القحرى و المناصرة و المجاملة و الوعارية و الرماة و الزرانيق ، و لكن قساوته و ظلمه للأهالي و تغلغل حب الانتقام لمقتل توفيق باشا جعله في عيون المقاومين هدفاً لهم ، هذا إلى جانب خروج شخصية بارزة في تهامة من اللعبـة الـسياسية و إعلانهـا الثورة بل وتزعم الثوار و المقاومة و هي شخصية الشيخ ابكر شرف و الذي مازال اللـسان يلهج بذكره رغم البعد الزماني و له مكانة في قلوب التهاميين حتى الآن .

و الشيخ أبكر شرف تولى اعمال بيت الفقيه من قبل الإمام يحيى بن محمد [7] و لكنـه كـان يعمل لصالح الشريف الحسين بن علي حيدر ، و كان شيخاً مقداماً و تقول قبيلة المجاملـة أن الشيخ أبكر شرف كان من مشائخهم [8] .

و لكن المصادر العثمانية تذكر أنه كان شيخاً لقبيلة المناصرة [9] و يقول عـاكش أن سـبب ثورته هي " أسباب أوجبت ذلك " [10] ولعل السبب ما ذكر سابقاً من ظلم و قتـل و تـدمير أحدثه الباشا مصطفى صبري بدعوى القضاء على الثورات التهامية ، أما الحيمي فيـذكر أن

---

[1] - راشد ، المصدر السابق ، جـ 1 ، صـ 214 . ، يمن سالنامة سنة 1314 هـ ، مطبعة الولاية – صنعاء صـ372 .

[2] - عاكش ، الحسن بن أحمد (1219 – 1290هـ / 1804 – 1873) ، الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني ، حققه و درسه و علق عليه / أ . د . إسماعيل بن محمد البشري ، دارة الملك عبدالعزيز – الرياض ، الطبعة الأولى 1424 هـ - 2003 ، صـ 481 .

[3] - راشد ، المصدر السابق ،

[4] -سالنامة 1314هـ ، المصدر السابق .

[5] - الجهات اليمنية أي الجهات الجنوبية من الحديده و بخط مستقيم لباجل و جنوب ذلك حتى زبيد .

[6] - عاكش ، المصدر السابق ، صـ486 – 487 .

[7] - مجهول ، حوليات يمانية ، صـ158 .

[8] - لقاء مع الشيخ بخيت جابري و علي جربوح .

[9] - أحمد راشد ، المصدر السابق ، جـ1 ، صـ 214 .

[10] - عاكش ، المصدر السابق ، صـ 487 .

السبب أن الباشا عند وصوله الحديده و معه قوات وأموال " أرسل للشيخ أبكر شـرف شـيخ الصنيف ، فأبى عن الوصول إلى ذلك الباشا " [1] .

و سرد أحداث الثورة مختلفة بعض الشيء لدى كلاً من عاكش و الحيمي ، فقد ذكر عاكش ان مصطفى باشا بعد محاولة قضاءه على المقاومة التهامية " انتهى سفره إلى زبيد و بلغه خلـع أبكر شرف صاحب (الصنيف) [2] لطاعته لأسباب اوجبت ذلك فكرّ راجعـاً إلـى بلدتـه ، و هجم عليه على حين غرته و استولى على بيت الشيخ أبكر و استباح قلاعه ، و كان في تلك الوقعة إزهاق روحه هو و ولده و فوق مائة قتيل من قرية الصنيف " [3] .

أما الحيمي فيذكر أن الباشا " أمر من كان لديه من الأتراك في بندر الحديده بالقدوم على ذلك الشيخ و زعيمهم الباشا بيرم آغا ، فعزموا ، و قد كان اجتمع أهل العبسية [4] لديه فوقعـت المحاربة بين الفريقين و قتل من عالم الأتراك نحو مائتين رجل و من أصحاب الـشيخ أبكـر شرف نحو مائة رجل ، و استفاض الأتراك على مطرح الصنيف و قتل الشيخ أبكـر شـرف و ذهب مطرح الصنيف بما فيه " [5] .

أما في المصادر العثمانية فقد ذكر أن مصطفى باشا واجه " عصيان قبيلة المناصـرة التابعـة إلى بيت الفقيه الكائنة في سفح جبل ريمة مع شيخهم ابكر شرف ، فقد أجرى – أي الباشـا – الحركة ضدهم لأجل تأديب و تنكيل القبيلة المذكورة فتحصن الشيخ المذكور في حصن متـين في قرية الصنيف و عند وقوع القتال سقط عدد من القتلى و تم احتلال الحصن المذكور كمـا قتل الشيخ و كثيراً من أفراد القبائل " [6] .

و من النصوص السابقة يتضح أن الشيخ أبكر شرف كان له حصن منيع ومرتفع فـوق أحـد جبال تهامة و له موقع استراتيجي يطل منها على سهل فسيح به هيجة ، و قد زار الباحث هذه المنطقة و رأى أطلال الحصن .

و تبين أيضاً مما سبق حسن تمركز و تنظيم القوات القبلية المكونة من المناصرة و الزرانيـق و المجاملة و العبسية و الرماة و الوعارية و هذا يدل على وحدوية المقاومـة ضـد المحتـل العثماني ، و الملاحظ أن المنطقة التي كان من المفترض أن تمر فيها القوات العثمانيـة هـي منطقة وعرة و هي (هيجة) و التهاميون يعرفون معنى الهيجة أي منطقة وسط وادي يمـتلأ

---

1 - الحيمي ، اخبار أقطار اليمن " مخطوط " .
2 - الصنيف : قرية تقع شمال شرق بيت الفقيه و شرق المنصورية .
3 - عاكش ، المصدر السابق ، صـ 487 .
4 - العبسية : قبيلة تهامية من قبائل عك بن عدنان مركزها المراوعة و تمتد جنوباً حتى المنصورية .
5 - الحيمي ، المصدر السابق .
6 - أحمد راشد ، المصدر السابق .

بأشجار و شوكيات و يكاد الشخص فيها لا يرى الشمس و فيها تختبئ القبائل التهامية و تكمن و لا تجتازها الجيوش الغازية لبلادهم لذلك كانت خسائر الأتراك فادحة جداً خاصة بعد غـدر قبيلة العبسية بالقوات العثمانية و انضمامها إلى المقاومة التهامية ، فكان انتقام الأتراك فظيعـاً حيث أراد مصطفى باشا أن يثبت قوته و أن يرهب بقية القبائل و لا يستبعد أنه أراد أن ينـتقم لما فعلته المقاومة اليمنية ضد الأتراك في صنعاء ، فعمل أعمالاً " استباح في ذلك ما حرم الله تعالى و جرت أمور ينكرها العقل و الشرع " [1] و سكوت عاكش يدل على فداحة الانتقام ، فقد ذكر الحيمي أنه بعد مقتل الشيخ " ذهب مطرح الصنيف بما فيه و سبا الأتراك نساء ذلـك المحل و أسروهن و ذهبوا بهنّ إلى الحديده و صاروا يبيعوهنّ كبيع الإمـاء " [2] و يـذكر بلاي فير أيضاً أن قوة تركية " استطاعت أت تستولي على الصليف [3] بهجـوم عاصـف و ذلك في يناير 1851 (ربيع أول 1267هـ) ، و قد صاحبت الحصار أعمال غايـة فـي القسوة و أخذ مائة و عشرين من الشخصيات المرموقة من سكان المدينة و نفوهم إلى جزيرة كمران " [4] .

فكانت الإهانة لكل تهامة و قبائلها محفزاً على الثورات و عاملاً استغلتها المقاومـة فأثـارت المشائخ ، و جعلت الشيخ علي بن يحيى حميده و هو شيخ سياسـي محنـك و داهيـة مـن دهاة تهامة و لعب أدواراً خطيرة خلال تلك الفترة في المنطقة و هو مقرب مـن العثمـانيين و لكنه أقرب إلى الشيخ أبكر شرف ، فأراد الانتقام لما فعله مصطفى باشا صـبري و عـزز ذلك أن الباشا مصطفى صبري توجس خوفاً من الشيخ علي حميـده و أراد اعتقالـه يقـول الحيمي " و بعد رجوع الباشا بيرم آغا من الصنيف استقر في الحديده ثلاثة أيام ثم خرج هـو و الباشا – يقصد مصطفى باشا صبري – المولى من السلطان و الأتراك إلى مطـرح باجـل حتى وصل هنالك فأكرمه الشيخ علي حميده و أضافه ... و بقي الباشا هنالـك ثلاثـة أيـام و أدركه المرض هنالك و توفي في مطرح المراوعة و حمل إلى الحديده و دفن هنالـك " [5] و يؤرخ عاكش وفاته " و كانت وفاته يوم السبت شهر ربيع الأول لثلاثة و عشرين يوماً خلت منه (25 / 1 / 1851) ، و كان ابتداء مرضه بباجل و أوصل إلى قرية الخليفة و حمل إلى الحديده فما وصلها إلاّ و هو ميت " [6] ثم يتشفى في موته فيقول " فسبحان الله المتفـرد

---

[1] - عاكش ، المصدر السابق .
[2] - الحيمي ، المصدر السابق .
[3] - يقصد الصنيف .
[4] - بلاي فير ، المصدر السابق ، صـ 153 .
[5] - الحيمي ، المصدر السابق " خط " .
[6] - عاكش ، المصدر السابق ، صـ 487 – 488 ، سالنامة 1314 هـ ، صـ 312 .

بالبقاء ، القاهر عباده بالفناء ، و كان موته فرجة لأهل اليمن لأنه صدرت منه أفعـال غيـر معتاد صدورها ممن ولي القطر اليماني فعاجلته المنية قبل بلوغ الأمنية و كانت مدتـه – أي حكمه – نحو أربعة أشهر " [1] .

و يشير الضابط الانكليزي جاكوب إلى عملية الاغتيال بالسم فيقول " و السم الذي يوضع فـي القهوة اختراع معروف جيداً في شبه الجزيرة العربية لتخلص من العـدو و القـضاء علـى الخصم ، ففي عام 1850 [2] توفي صبري باشا الحاكم العثماني لليمن في ذلك الوقت و كان موته فجأة في باجل بينما كان ينزل ضيفاً على الشيخ علي حميده ، و قد قال العرب بـسخرية إن القهوة لم تناسبه ! " [3] .

ولا يغيب عن الذكر أن عملية اغتياله بالـسم يـوم الـسبت 23 ربيـع أول 1267 هـ ـ (25 /1 / 1851 م) [4] و مذبحة الصنيف في يوم الخمـيس 8 ربيـع أول 1267 هـ ـ (9 / 1 / 1851) و هي مدة زمنية يسيرة كان يمكن لهذا الباشا أن يدرك مدى خطورة مـا أقدم عليه و أن الخطر قادم لا شك فيه و لكنه لم يدر في خلده أن أقرب حلفاءه إليه هو الـذي سوف يغتاله .

[1] - المصدر السابق ، صـ 488 .
[2] - الصحيح 25 / 1 / 1851 .
[3] - جاكوب ، المرجع السابق ، صـ56 .
[4] - المصادر السابقة .

4- ظهور المقاومة الزرنوقية

أدى تواجد القوات العثمانية في أراضي تهامة كقوات غازية و محتلة إلى ظهور الزرانيق كقوة مضادة تحمل مع بقية قبائل تهامة لواء المقاومة ، فكانت ممن خرج توفيق باشا القبرصي أول والي لتهامة لقمعها [1] ، ثم جاء خليفته مصطفى باشا صبري و خرج إلى بلاد الزرانيق و " لتصليح الجهات اليمنية – أي جنوب الحديده – و انتهى سفره إلى زبيد " [2] و فعل ما فعل من مذبحة الصنيف غدراً ضد قبيلة المناصرة و هم إخوان الزرانيق في النسب و الدم والأرض و المعتقد و حلفاء لهم ، فكان ذلك مما أعطى مقاومتهم المشروعية خاصة بعد الفضائع التي ارتكبت بحق قبيلة المناصرة و لكن الشيخ علي حميده كان أسرع من الزرانيق في الانتقام من مصطفى باشا ، فمات مسموماً ، و ظلت روح المقاومة و الانتقام متوقدة في قلوب الزرانيق ، و من هذا المنطلق يتضح أن الزرانيق لم يعترفوا بسلطة الاحتلال بل شرعنوا مقاومتهم و جهادهم بما ارتكبه الأتراك من فضائع ضد أهالي تهامة و ضدهم ، فـ " رفض الزرانيق الخضوع للأتراك ، و لم يدفعوا لهم الإتاوات " [3] بل رفضوا وجودهم في تهامة ، و عرف العثمانيون قوة هؤلاء الزرانيق فتركوهم و شأنهم و كانت سياستهم مبنية على أن يحكم الزرانيق أنفسهم بأنفسهم من خلال مشائخهم و أعرافهم و ترك المساس بهم أو الاقتراب منهم ، بل أقتنع العثمانيون بعدم مطالبة الزرانيق بالإتاوات و الضرائب أو أي حقوق مادية ، و رغم كل ذلك إلاّ أن الزرانيق كانوا يتأهبون للثورة و الانتقام من مذبحة الصنيف ، فأتتهم الفرصة بتعيين الإمبراطورية العثمانية لوالٍ تركي أهوج هو بونابرت مصطفى باشا خلفاً للمغتال مصطفى باشا صبري .

---

1 - أحمد راشد ، المصدر السابق ، جـ1 ، صـ211 .
2 - عاكش ، المصدر السابق ، صـ 487 .
3 - انكارين ، مذكرات دبلوماسي ، صـ162 .

5- **الزرانيق و بونابرت**

وصل بونابرت مصطفى باشا و الملقب ببهاء الدين [1] إلى الحديده مركز ولاية اليمن في 8 رجب سنة 1268 هـ [2] الموافق 27 / 4 / 1852 ، و تصفه المصادر العثمانية بأنه " اهتم ببعض الإصلاحات الادارية و اقتصد بالصرف من خزينة الحكومة ... و كان له أوصاف حسنة قد اتصف بها من مكانة القلب و رزانة الرأي و اصابة التدبير و أمثال ذلك من صفات الكمال حتى عرف زمانه بزمان بونابارتي " [3] ، إلاّ أن المصادر اليمنية ترى عكس ذلك تماماً فقد " أطلق أكف المطامع ، و أحدث في المكوس – أي الضرائب – و غيرها شرّ البدائع ، و تعدى على السادة و العلماء ، و لم يلتفت إلى عذل عاذل من الحلماء فنفرت منه القلوب و تنمرت القبائل عليه " [4] .

والحقيقة أن قلة درايته بالمنطقة و عدم إصغائه لأراء الخبراء الأتراك أو أعوانه العرب العارفين بنفسية القبائل التهامية و ارتكازه على شخصيات و قيادات عسكرية تركية حمقاء و هي التي جعلته محل انتقاد المصادر العثمانية رغم الإطراء السابق و خاصة في مساسه و محاربته للزرانيق يقول الضابط العثماني أحمد راشد " مع أنه له شبه بأعمال بونابارت من ناحية سداد الرأي و التدبير إلاّ أنه لم يكن مطلعاً إلى أحوال المنطقة ، فانجرف مع إغفال الأهالي و بلا تدبير فضرب تلك القبيلة " [5] .

فأول أعماله ضد الزرانيق إرساله (عامل) إلى الجاح – النخل و هي معقل من معاقل الزرانيق فكان مصير هذا العامل " إزهاق روحه " [6] مع القوة العثمانية المصاحبة له على يد الزرانيق و القراشية .

ثم في نفس شهر رمضان 1268 هـ - يونيو 1852 أيضاً كانت الحادثة الثانية التي فجرت الثورة ، فقد كان قائمقام بيت الفقيه هو القائد العسكري (سرجسمه عبدالبرج آغا) [7] و كان ضابطاً تركياً أرعن ، و تتفق المصادر اليمنية و العثمانية أنه " كان فيه طيش " [8] .

و يورد عاكش أن ثورة الزرانيق كانت بسبب أعمال عبدالبرج و عنجيته و غطرسته فيقول " وذلك أنه طلب بعض مشائخ الزرانيق ، فضيق عليه في بعض المطالب ، فبذل بعضاً

---

[1] - عاكش ، المصدر السابق ، صـ505 .
[2] - أحمد راشد ، المصدر السابق ، صـ215 ، سالنامة 1314هـ ، صـ373 ، و فيها 4 رجب و في عاكش 9 رجب ، المصدر السابق .
[3] - المصدرين السابقين .
[4] - عاكش ، المصدر السابق .
[5] - احمد راشد ، المصدر السابق .
[6] - عاكش ، المصدر السابق ، صـ506 .
[7] - احمد راشد ، المصدر السابق ، و عاكش ، المصدر السابق .
[8] - المصادر السابقة .

و طلب في الباقي الانظار فلم يقبل منه ذلك الاعتذار ، فناله بطرف الاهانة من الصفع بالنعال ، فتكدر منه البال ، و ثارت منه الحفيظة ، و سار إلى قبائله الزرانيق ووصف لهم ما وقع فيه من الهوان ، فأجمع رأيهم على قتال الترك و عدم المسالمة في هذا الشأن فتفرقوا في الجهات يوم الحادي و العشرين من شهر رمضان (8 / 7 / 1852) و قتلوا من وجدوه منهم – أي الترك – في كل مكان ، حتى بلغ أن القتلى انتهى إلى عشرين إنسان ، فخرج عبدالبرج بأصحابه ثاني يوم من هذه الحادثة (22 رمضان الموافق 9 / 7 / 1852) و اتصل بقرية الجاح و عند وصوله قامت الحرب على ساق ، فكانت الدائرة عليه و انتهى بهم الفرار إلى بيت الفقيه بعد أن ذهب منهم جماعة بعضهم من تحت السيف و بعضهم بالظمأ " [1] .

و لكن الكابتن البريطاني بلاي فير يذكر أن الوالي بونابارت مصطفى باشا أرسل بقوة عسكرية مع ثلة من " جامعي الضرائب الأتراك في اليمن " مع معرفته أن الزرانيق يرفضون الخضوع للأتراك أو دفع أي التزامات مادية للترك كالضرائب و الإتاوات ، فما كان إلاّ " أن أقدم عرب الزرانيق [2] على اغتيال جماعة مكونة من خمسة عشر جندي من جامعي الضرائب " [3] .

تلقى الوالي هذه الأخبار المفجعة بصدمة عميقة أثرت على نفسيته و قيادته كما يتضح من سياق الأحداث التاريخية اللاحقة فقد طرق مسامع الباشا مصطفى هذا الخبر و هو في زبيد مستقر ، فخرج قاصداً بيت الفقيه للانتقام من هذه الاعتداءات و لتأديبهم و قد بلغه من جواسيسه في المنطقة أن قبائل الزرانيق تجمعت في (القصرة) [4] و هي الغابة الواقعة على بعد ثلاث ساعات في طريق الحسينية إحدى قرى بيت الفقيه ، و كان خبر استعداد الوالي للخروج قد بلغ الزرانيق عن طريق جواسيسهم أيضاً ، فسرت شائعات أن هذا الوالي خرج يضرب و يذبح الرعاة و أمثالهم الذين يظهرون أمامه فكانت تلك إحدى وسائل الحرب الإعلامية التي اتبعها الزرانيق و كسبوا حلفاءهم و أهالي تهامة إلى جانبهم .

أما الوالي نفسه فكان واقعاً تحت تأثير صدمة ضربات الزرانيق لقواته ، فخرج لا يلوي على شيءٍ من أمره و بقوة تقدر بثلاثمائة شخص ... كما يقول أحمد راشد ، و استصحب معه مدفعين و انفصل عن زبيد يوم السابع و العشرين من شهر رمضان (الموافق

[1] - عاكش ، المصدر السابق .
[2] - للأسف وقع المترجمان لكتاب بلاي فير في أخطاء كثيرة و منها الزرانيق و التي ترجمت إلى بجيرانية ، صـ153 .
[3] - بلاي فير ، المصدر السابق ، صـ 153 .
[4] - القصرة : ليست منطقة جغرافية محددة عند الزرانيق بل كل أرض زراعية ذات أشجار و أدغال تكون بالقرب من وادي و تكون واسعة محصنة فهي قصرة و لعل أشهر قُصر الزرانيق هي الواقعة في الجنوب من مدينة بيت الفقيه و في شمال الحسينية وهي المقصودة هنا .

14 / 7 / 1852) ووصل إلى حدود القبيلة صباحاً فدخل القصرة و هي الفخ و المكمن الذي قهر به الزرانيق كل القوى الغازية سابقاً و لاحقاً فلما توسط القصرة وقع في لهوات الأسـود و تداعت عليه القبائل من كل جهة و نشب القتال هناك وعصفت على الباشـا ريـاح المنايـا السود ، فدارت عليه و على عسكره الدوائر وفر الجنود في الغابـة هربـاً ، و أمـا مقـاتلي الزرانيق فكانوا يتجمعون شيئاً فشيئاً و كثر عددهم و هو تكتيكهم الحربي الدائم ، فلما وصـل الجنود الأتراك إلى نهاية الغابة صار وقت الزوال و بما أن الموسم كان في أواسـط تمـوز (يوليو) فقد أثر الحر و العطش على الجنود و أستولى عليهم التعب و الكسل و بما أن الحرب دامت من الصباح الباكر حتى وقت الظهر فقد تعطلت البنادق من كثرة الرمي وعندما علمـت القبائل المذكورة بهذه الحالة هجموا بشدة مرة واحدة على الجنود و سـيطروا علـى المـدافع و العلم وأحاطوا بهم من كل جانب ، و كان يوماً على الترك قمطريراً ، و بدأ الباشا المذكور يقاتل بالمسدس و قد هزمت القبائل من معه من العساكر فأنقذ نفسه من بين المهاجمين و نجـا من هذا الهرج و المرج و معه بعض الجنود من دائرته و غيرهم و قدرهم بلاي فير بعشرين رجلاً ، فأخذ طريق بيت الفقيه و قبل أن يصل إلى المحل المذكور بمسافة ساعة سقط فجـأة من ظهر حصانه على الرمال ، و لا يعلم إن كان هذا بسبب حزنه أو إصابته بمرض أو إنـه تصوب أي أصيب في المعركة بطلق ناري من الزرانيق و قيل إنه مات بالظمأ و هو العطش الشديد فهو في تهامة و في أشد أيامها حرارة و عند سقوطه على الرمال كان الزبد يخرج من فمه فطلب إليه أتباعه أن يشرب الماء و لكنه لم يشرب و قال إن أجلي قد جاء فصبوا المـاء على رأسه فتوفي في الحال من الإجهاد في اليوم التالي أي في 28 من شهر رمضان الموافق (15 / 7 / 1852) فأخذ نعشه إلى بيت الفقيه و دفن في القلعة " [1] .

و كانت النتائج وخيمة على الإمبراطورية العثمانية و بدايات فشل تجربة تطويع احتلال تهامة ، فقد " غنمت القبائل المدافع و الخيام و خزنة دراهم ، و جميع ما حـواه معـسكرهم " [2] و لكن الأدهى هي الخسائر البشرية في الجيش العثماني فالقتلى ضابط و جنوده ، فقد كانـت هذه المعركة مذبحة بحق لخيرة الضباط و الجنود العثمانيين في الـيمن ، و انتقـام لمذبحـة الصنيف ورداً لشرف تهامة ، ، و رغم أن المصادر العثمانية تذكر مقتل " أكثـر مـن 100 جندي و دفنوا كلهم في بقعة واحدة من هذه الأرض " [3] لكن الحقيقة و بعملية حسابية بسيطة

---

[1] - عاكش ، المصدر السابق ، صـ 506 – 507 ، أحمد راشد ، المصدر السابق ، جـ 1 ، صـ 215 – 216 ، بلاي فير ، المصدر السابق ، صـ 153- 154 ، سالنامة 1314 ، صـ 373 .

[2] - عاكش ، المصدر السابق .

[3] - أحمد راشد ، المصدر السابق .

يتضح أن القتلى العثمانيين أكثر من ذلك بكثير خاصة إذا أخذ في الاعتبار بأن الذين عادوا مع الباشا كانوا نفراً قليلاً من أتباعه لا يتجاوزن العشرون [1] فأين بقية الثلاثمائة إذا صدقنا أحمد راشد بك ؟

و كان من نتائج هذا النصر هو رفع الروح المعنوية لدى الزرانيـق و بقيـة قبائـل تهامـة و التغني بهذا الانتصار في التراث التهامي و على هذا نجد المؤرخ التهـامي عـاكش يـذكر هذا الانتصار بعزة و ملمحاً إلى ما فعله العثمانيين بأهالي تهامة و خاصة مذبحة الـصنيف ، فقال " فسبحان القادر على كل شيء ، العالِم بمآل كل حي ، و قد وقع الجزاء لهم بما فعلـوا مما خفي و بدا ، و لا يظلم ربك أحداً :

لو أنصفوا أُنصفوا لكن بغوا فبغى — عليهم الدهر بالآفات و المحن
فأصبحوا و لسان الحال ينشدهم — هذا بذاك و لا عتبى على الزمن " [2]

---

[1] - المصدر السابق ، بلاي فير ، المصدر السابق ، صـ 154 .
[2] - عاكش ، المصدر السابق ، صـ 507 .

6- سياسة التهدئة

بعد كل ما حدث من مقتل الوالي العثماني بونابارت مصطفى باشا و الضابط سر جـسمه عبد البرج آغا قبل ذلك و إبادة الحملة العثمانية المرسلة لإخضاع الزرانيق ، كل ذلك جعـل السلطان العثماني عبدالمجيد الأول يتريث في اختيار والي جديد ، و خلال هذه الفتـرة تـولى قائمقام بيت الفقيه الميرميران مطوش باشا ولاية اليمن بالوكالة مدة خمسة أشهر ، فـ " كـان الاضطراب سائداً في تهامة اليمن فقاسى المأمورون و العساكر أنواع الجور و الجفـاء " [1] وخلال تلك الفترة اشتدت المقاومة التهامية و صعّد الزرانيق هجماتهم ضد الأتراك ، فخـاف السلطان العثماني من ضياع تهامة و الإهانة التي ستلحق هذا الجيش العظيم كما كان يوصف ، فكان اختيار السلطان لقومندان الحجاز محمود باشا الكردي [2] في 29 صفر 1269 هـ ـ الموافق (11 / 12 / 1852) و " استصحب فوجاً من العساكر النظامية و عدد كثير مـن العساكر الموظفين الدائمين و كانت أوامر السلطان العثماني واضحة جلية و هي " تأديـب و تنكيل قبيلة الزرانيق بشدة " [3] و في السالنامة " و كان من جملة ما أُمر به إصـلاح قبيلـة الزرانيق و تربيتهم " [4] فالسلطان العثماني يريد الثأر و الانتقام لما أصاب جيشه مـن ذل و هوان و الإطاحة برأس السلطة في (ولاية يمن) و هو الوالي و على يد قبيلة ... ! .

و لكن محمود باشا الكردي لم يكد يصل إلى الحديده مركز الولاية حتى قلب ظهـر المجـن لكل التعاليم الشاهانية و الأوامر السلطانية ، بل إن الفوج العثماني الضخم الذي عمـل علـى إعداده والإشراف عليه السلطان بنفسه و الذي كان معداً لضرب الزرانيق و سحقهم بأحـدث الأسلحة [5] كل ذلك تركه محمود باشا جانباً و اتجه إلى فتح قناة حوار مع الزرانيق و اتبـع سياسة غريبة عن سياسة الأتراك القائمة على القوة و البطش و الاستبداد .

أما سياسة محمود باشا الكردي تجاه الزرانيق فهي قائمة على التفاهم و التواصل والانفتـاح و اللين مما أكسبه حب أهالي تهامة و الزرانيق و استطاع أن يدير الولاية بكل يسر و كل ذلك ينبئ بخبرته للعرب و عاداتهم و تقاليدهم أثناء توليه لقومندانية ولاية الحجاز و معرفته بطبيعة أبناء تهامة و كيف تدار القبائل العربية .

---

1 - أحمد راشد ، المصدر السابق ، جـ 1 ، صـ 216 ، سالنامة 1314هـ ، صـ 373 .
2 - المصدرين السابقين ، و عاكش ، المصدر السابق ، صـ 509 .
3 - احمد راشد ، المصدر السابق .
4 - السالنامة ، المصدر السابق .
5 - المصادر السابقة .

و مع ذلك فإن هذه السياسة فتحت عليه نار منتقديـه و خاصـة مـن القـادة العـسكريين و الضباط الذين كانوا يتعطشون للإنتقام من الزرانيق و دكهم انتقاماً لأعمالهم و إهانتهم لجيش الإمبراطورية العثمانية ، يقول أحمد راشد " كان يجب تأديب القبيلة المذكورة لكنه قام بتلاطيفها بعكس المطلوب " [1] و يقول في موضع آخر يقول " كيف يعين شخص والياً يتصف بـاللؤم و يتأثر بالأمور الشخصية و يروجها و يحط من هيبة الدولة فبدلاً من تأديب هذه الجماعة من العصاة فإنه أغمض عينه عنهم ، و من الجائز أن الفوج العثماني الذي يقوده و تحت إمرتـه كان لغرض التنكيل بالعشيرة المذكورة و لكنه لم ينفذ واجباته بدقة و أمـان " [2] رغـم أن الكاتب المذكور يصف محمود باشا بأنه " كان جسوراً و جريئاً ... تمكن من تأمين و أمـن و احتلال تهامة اليمن و توفق في حسن الإدارة فكانت سمعته بين القبائل جيدة " [3] و تقـول سالنامة 1314هـ منتقدة للباشا محمود " فلم يؤدب القبيلة المذكورة و يربيها و إنمـا لاطفهـم و بذلك سود صحيفة مأموريته و حيثيته بنقطة سوداء " [4] و تصفه بصفات جمه و منها أنه " كان من ذوي الحماسة و المكانة ... و ضبط تهامة اليمن و ربطها في أسرع وقت و حـسن الإدارة ، فكان له بذلك أتم الحسن بين القبائل " [5] .

و قد حاولت المصادر العثمانية تبرير و تفسير سياسة محمود باشا التسامحية برد ذلـك إلـى " الأمور الشخصية العدائية التي كانت بين محمود باشا و بين مصطفى باشا (مصطفى باشـا صبري) من القديم و على أثر وفاة هذا الأخير فقد امتن لوقوع الوفاة بهذه الطريقة و على يد الزرانيق ، فأشتفى محمود باشا بموت مصطفى باشا و انطفأت النار في قلبه " [6] .

و الرجل بحق اكتسب احترام الزرانيق و بـادلوه التـسامح ، فتـركهم و شـأنهم و لـم يطالبهم بشيء أو يطلب الخضوع و الخنوع ، بل اهتم بجوانب إصـلاحية إداريـة و رفـع الظلم عن كاهل المواطنين ، و أعاد تعمير القلعة و اهتم بالمساجد في مدينة بيت الفقيه و أعاد بناء الأضرحة و الأربطة الصوفية و شيد ضريح الإمام أحمد بـن موسـى العجيـل ورمـم بناء المنارة و وضع لها تاجاً و هلالاً و تكملتها بعد ما قام طامي بن شعيب الرفيدي – كمـا ذكر سابقاً – بتخفيض و تنقيص المنارة ، فجاء محمود باشا و كمل هذا النقص فـسميت الآن

---

[1] - احمد راشد ، المصدر السابق ، جـ1 ، صـ216 .
[2] - المصدر السابق ، جـ1 ، صـ 217 .
[3] - سالنامة 1314 هـ ، صـ373 .
[4] - المصدر السابق .
[5] - المصدر السابق .
[6] - احمد راشد ، المصدر السابق ، صـ216 ، سالنامة 1314 هـ ، صـ374 .

بـ (زائد محمود) و (تكملة محمود) و (هلال محمود) و مازال الفقهاء و السادة يذكرون هذا الباشا بالخير .

و قد حصلت على وريقات مخطوطة تؤرخ الترميم شعراً و قيل أن ناظمها هو العلامة المفتي رزق بن رزق العلوي [1] وقيل بل هي لتلميذه شيخ الإسلام محمد بن حسن فرج [2] و هي :

وكان إذ بنيت يعلو بهامتها	تاج حلاها بإجلال و توقير
و جاء طام فأغراها بسطوته	و كل شيء بتقدير و تدبير
و قيض الله محموداً فتوجها	و باء بالذكر محمود العناصير
و عام تاريخها جاء البسيط به	رغد هني [3] وافاك تحرير [4]
	1269 هـ

و استمرت سياسة المهادنة و المسالمة متبعة في عهده حتى عين والياً لولاية الحجاز .

---

[1] - السيد العلامة رزق بن رزق بن يحيى العلوي ، فقيه و مصلح اجتماعي ، ولد في مدينته بيت الفقيه و توفي بها في شهر رمضان 1291هـ / أكتوبر 1874، تولى الإفتاء والخطابة في بيت الفقيه حتى وفاته فخلفه تلميذه ابن فرج ، من آثاره " الفتاوى " و منظومات و تخميسات شعرية متفرقة .

[2] - محمد بن حسن فرج ، عالم موسوعي ، ولد في بيت الفقيه سنة 1240هـ / 1824 و توفي بها في ربيع الآخر 1306 هـ / ديسمبر 1888 تولى الإفتاء بعد وفاة شيخه ابن رزق العلوي حتى وفاته و ترك أكثر من 60 مصنفاً أشهرها الفتاوى الفقهية في أربع مجلدات ضخمة و الفتاوى الحديثية في مجلدين و مؤلفات أخرى .

[3] - ر + غ + د + هـ + ن + ي
200 + 1000 + 4 + 5 + 50 + 10 = 1269 هـ / 1853 .

[4] - وريقات مخطوطة لدى الباحث .

-7 **الزرانيق يعزلون الوالي**

بعد سياسة التهدئة التي مارسها الوالي محمود باشـا الكـردي جـاء خلفـه أحمـد باشـا السليماني [1] و قد وصل إلى الحديده مركز الولايـة فـي 3 محـرم 1273هـ ـ الموافـق 3 / 9 / 1856 و كانت سياسته معتمدة على العودة إلى إخضاع القبائل و جبايـة الأمـوال ، مما أدى إلى عودة الثورات و الحروب و بخاصة لدى قبائل الزرانيق ، و كما تقول المصادر العثمانية أن هذا الوالي " صرف جهود وفيرة و أعطى خسائر كثيرة ، و لكن لم يوفق بـذلك ... و تكبد خسائر كثيرة " [2] و لكنه لم يتمكن من إخضاع الزرانيق رغم أنه " احتل ريمـة و حفاش و ملحان و جبل رأس " [3] و عزل هذا الوالي و عين والي جديد هو يـاور علـي باشا الذي وصل الحديده في 10 رجب 1279 هـ (1 / 1 / 1863) و " أدار تهامة الـيمن ادارة حسنة معتدلة " [4] و هي سياسة لم ترق للقادة الأتراك فعـزل و أعيـد أحمـد باشـا السليماني ليحكم مرة ثانية اليمن ، فجاء فـي 18 شـعبان 1281 هـ ـ (15 / 1 / 1865) و كانت سياسته ثابتة قائمة على الإخضاع و زاد حنقه و غضبه على الزرانيق و قبائل تهامية أخرى كعبس و أسلم " فأنشغل أيضاً مدة ثمانية أشهر تقريباً في معارك مع القبائل المـذكورة و لرداءة الجو أعطى خسائر كثيرة " [5] و مع أنه استطاع أن " يدخل قبائل عبس و بني أسلم تحت إدارة الحكومة السنية " إلاّ أنه فشل في إدخال الزرانيق تحـت سـلطة الإمبراطوريـة العثمانية و هذا هو سبب عزله الثاني و الأخير ، حيث أرسل الباب العالي – رئاسة الـوزراء العثمانية – إلى أحمد باشا رسالة بإعفائه من منصبه بتاريخ 23 جمادى الأولـى 1284هـ ـ (22 / 9 / 1867) و هذا هو نص رسالة الوثيقة :-

(إلى متصرفية اليمن

- التاريخ 23 جمادى الأولى 284 [1هـ]

لقد وصل معروض سعادتكم المتضمن حسن تلقيكم لنبأ إعفائكم عن منصبكم بـسبب الجـرائم التي وقعت من عشيرة الزرانيق ، و ذلك بعد عودتكم من جبل حفاش و كذلك ما دونتموه فيه من كيفية التعامل معهم – أي الزرانيق – على الوجه الحسن و كيفية إسداء النصائح إلـيهم ، و أنكم باشرتم بتحصيل الضرائب التي كلفوا بدفعها ، و الحقيقة أن الجهد الذي بذلتموه بهـذا

[1] - احمد راشد ، المصدر السابق ، و سالنامة 1314هـ ، المصدر السابق .
[2] - المصادر السابقة .
[3] - المصادر السابقة .
[4] - المصادر السابقة .
[5] - - المصادر السابقة .

الخصوص و مساعيكم الحسنة مقدرة و المرجو من جنابكم بذل المزيد من الجهد لما يتطلبه مقتضيات العمل) [1] .

و مما سبق يتضح أن الزرانيق بمقاومتهم قد كانوا السبب في عزل هذا الوالي في المرة الأولى لفشله في إخمادهم أو احتواءهم ، و في المرة الثانية عزل بسبب الأعمال التي قام بها الزرانيق أيضاً ، يقول الدكتور سهيل صابان :-

" و على الرغم من إشارة الباب العالي في خطابه الصادر بتاريخ 23 جمادى الأولى 1284 هـ (22 / 9 / 1867) إلى الأعمال التي قام بها عشيرة الزرانيق في اليمن و الذي أدى إلى إقالة المتصرف إلاّ أنها لم تنفصل تلك الأعمال " [2] .

و الحقيقة أن هذه الأعمال معروفة تماماً و هي المقاومة الضارية و محاصرة القوات العثمانية في الحديده و حامياته في المدن كبيت الفقيه ، فالمقاومة الزرنوقية أثبتت خلال الفترة من 1265- 1289هـ أنها مقاومة شريفة و عنيدة و صلبة و هذا ما جعل المؤرخين يذكرون أنه خلال حكم السلاطنين العثمانيين :-

1- السلطان عبدالمجيد الأول (1254 – 1277هـ / 1839 – 1861) و في عهده احتلت تهامة في 1265هـ / 1849 [3] .
2- السلطان عبدالعزيز (1277 – 1292هـ / 1861 – 1876) و في عهده احتلت اليمن كاملاً في 1289 هـ / 1872 [4] .

كانت الحروب بين الزرانيق و العثمانيين شبة متواصلة ، لا تهدأ حتى تعود من جديد ، حتى قدوم حملة المشير الغازي أحمد مختار باشا .

---

[1] - الباب العالي . مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز (مكة المكرمة – المدينة المنورة) في الفترة من 1283 هـ إلى 1291 هـ ، ترجمة و تعليق الدكتور سهيل صابان ، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي – لندن ، الطبعة الأولى 1425هـ- 2004 ، رقم الأوراق 8 ، صـ101 .
[2] - صابان ، سهيل " دكتور " ، الجزيرة العربية بحوث و دراسات من وثائق الأرشيف العثماني والمصادر التركية ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض ، الطبعة الأولى ، 1426هـ / 2005، صـ201 .
[3] - الحيمي ، المصدر السابق ، (مخطوط) .
[4] - انكارين ، المرجع السابق .

الفصل الثالث

العلاقة بين العثمانيين و الزرانيق خلال الفترة الزمنية
(1289 – 1337 هـ / 1872 – 1918 م)

1- العثمانيون في صنعاء .

2- الغازي و الزرانيق .

3- أسباب الثورات اليمنية ضد العثمانيين .

4- ثورات الزرانيق الشهيرة ضد العثمانيين .

1- العثمانيون في صنعاء

قرر العثمانيون العودة إلى احتلال صنعاء ، خاصة " بعد فتح قناة السويس الذي سيمكن الأتراك من تكوين خطوط مواصلات بحرية " [1] و لإدراك الأتراك ازدياد " أهمية شبه الجزيرة العربية – بعد فتح قناة السويس – و لاسيما في التجارة " [2] ، و هذا إلى جانب وضعية العثمانيين في تهامة المتضعضة و المنهارة خاصة بعد ثورات القبائل التهامية و اشتداد ضربات المقاومة التهامية فـ " لم يكن الأتراك سعداء أبداً سواء في الحجاز أم في اليمن وكانت الثورة ضد حكم الباب العالي شرسة و مستمرة " [3] و أدت المقاومة التهامية إلى انكفاء القوات العثمانية انحسارها في الحديدة فقط فكان لـ " للعثمانيين متصرفين عديدين في الحديدة وحدها و كانوا لا يتجاوزونها إلا قليلاً و كثيراً ما كان أمراء عسير من آل عائض الذين نبغوا في تلك الحقبة يهاجمون المتصرفين المذكورين و يزعجوهم " [4] و شعرت الدولة العثمانية بضياع الأمر منها فاستغلت الوضع فـ " لا دولة في البلاد و لا ذب عن العباد " [5] و أيقن الإمام الزيدي المتوكل على الله المحسن بن أحمد أنه لن يستطيع وحده إيقاف الثورات ضده ، فـ " طلب النجدة من القوات العثمانية بعد أن كان قد عجز عن التغلب على القبائل المتمردة " [6] و رافق هذا الاستنجاد رسائل من أعيان صنعاء و من مدن زيدية أخرى " ودعي السلطان عبدالعزيز للتدخل في اليمن ، ووجدت الحكومة العثمانية مبرر كاف لتدخلها في اليمن ... و لم تلق المفارز العثمانية أي مقاومة تذكر " [7] ، فقضى قائد الحملة العثمانية المشير محمد رديف على تمرد الأمير محمد بن عائض و قتله " و وصل من المشير محمد بن رديف إعلانات إلى أهل اليمن بما حصل من العسيري و أن صاحب التخت – أي السلطان عبدالعزيز – قد تحنن على جبال اليمن و أراد إضافتها إلى ممالكه الواسعة ... فلما وصلت تلك المكاتبات وقعت الجوابات من أهل اليمن و من أهل صنعاء بالامتثال و الرغبة و الإقبال و حثوا على المبادرة ، و رغبوا في هذه الدولة – أي الدولة العثمانية – لما قد كان نالهم من المشاق وصادروا من القبائل العنت و التغلب على حقوقهم و قطع طرقاتهم و قد كانت

---

[1] - لوتسكي ، فلاديمير بوريسوفيتش ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة الدكتورة عفيفة البستاني ، دار التقدم – موسكو ، بدون تاريخ طبع ، صـ430 . ، محمد أنيس " دكتور " ، الدولة العثمانية و الشرق العربي 1514 – 1914 ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ، طبعة 1993 ، صـ226 .

[2] - جاكوب ، المرجع السابق ، صـ 76 . ، أباظه ، الحكم العثماني في اليمن ، صـ83 . ، جميلة العيسي ، المرجع السابق .

[3] - جاكوب ، المرجع السابق .

[4] - زكريا ، أحمد وصفي ، لمحة من تاريخ اليمن قبل الإسلام و بعده - 3 - ، مجلة المعرفة تصدرها وزارة الثقافة و الارشاد القومي السورية ، السنة الثانية العدد السابع ، شهر أيلول / سبتمبر عام 1963 ، صـ 104 .

[5] - الكبسي ، اللطائف السنية ، صـ314 .

[6] - لوتسكي ، المرجع السابق ، صـ 431 .

[7] - كتلوف . د . ل . ن " دكتور " ، نشأة حركة التحرر في المشرق العربي انتفاضة اليمن ضد الاحتلال التركي ، ترجمة سيف علي مقبل ، مجلة الثقافة الجديدة ، السنة السابعة ، العدد الأول ، يناير 1978 ، صـ 74 .

الأمور تفاقمت إلى حدٍ لا يوصف و أخذ القوي الضعيف " [1] ، أما قيادة الحملة فقد تغيـرت في عسير " فسرح رؤوف – الصحيح رديف – باشا من الخدمة و خلفه مختار باشا و الـذي وصل الحديدة و اتجه إلى الداخل لاستسلام صنعاء له فـي 1872 ، فقـد أنهكـت المدينـة و أصبحت منهارة تماماً نتيجة لضعف حكامها و للحروب و الصراعات المتوالية بين زعمائها فنشدت السلام و لكن من دون إراقة الدماء " [2] و وصلت القوات العثمانيـة إلـى مـشارف صنعاء بقيادة المشير أحمد مختار باشا الملقب بالغازي [3] و كان في استقباله الإمام الزيـدي المتوكل على الله " و مائة شخص من الأعيان و التجار في المنطقة ... ورحبوا به بأهازيج – زوامل – الوفاء و الإخلاص و المحبة و كان ذلك في يـوم 24 مـن شـهر أبريـل 1872 (16 صفر 1289 هـ) و في هذه المناسبة أعلن الباشا الذي ظهر مسروراً و سعيداً للغايـة من هذه الاحتفالات و التظاهرات الودية بمنح عفواً عن جميع الاسـاءات الماضـية مـن أي شخص ضد الدولة العثمانية " [4] و دخلت القوات العثمانية صنعاء " و أقاموا حاميات تركية في كل مكان ، و أعلنت اليمن كولاية تركية و حاكمها الباشا التركي " [5] ثم قام العثمانيون " بتقسيمها إلى أربع متصرفيات في كل من تعز و صنعاء و عسير و الحديدة و كان الـوالي (الحاكم) يقيم في صنعاء " [6] .

2- الغازي و الزرانيق

بعد استقرار المشير أحمد مختار باشا في صنعاء ، بدأت حركـات المقاومـة والتمـردات القبلية تظهر ، و إن كان " دخول صنعاء و سقوطها في يد الدولة العثمانية و التي هي مركـز غدارة اليمن كان لابد من أن يتبعها إدخال جميع التوابـع و اللواحـق تحـت إدارة الـسلطنة العثمانية العادلة ، فأرسلت قوات عسكرية إلى الجهات المقتضية لذلك " [7] ، فطلب المـشير بعد دخوله صنعاء بشهر (15 مايو 1872 – 8 / 3 / 1289هـ) إمدادات عسكرية فوريـة حسبما تحكي وثيقة من المندوب السامي البريطاني في عدن اللواء تريمهنر و التي تذكر أيضاً " أن الجيوش العثمانية في صنعاء ليست بالقوة الكافية لكي يسمح لها بالتوسع و الاستيلاء على

[1] - الحيمي ، المصدر السابق " خط " ، الكبسي ، المصدر السابق ، صـ 315 ، مجهول ، حوليات يمانية ، صـ316-322 .
[2] - Bury . Arabia infelix . P. 13 .
[3] - أحمد مختار باشا الملقب بالغازي (1253 – 1337 هـ / 1837 – 1919) ، قائد ورياضي تركي و يعد من كبـار القـادة العثمانيين ، تعلم باستانبول و تنقل في أعمال بالحجاز و اليمن و كريد و ألبانيا و مصر ، صدر أعظم 1913 ، لقب بالغازي لحسن بلائه في الحرب التركية الروسية ، و كان يجيد العربية إلا أنه صنف كتبه بالتركية و منها (رياض المختار) و (إصلاح التقويم) و له (تقارير) و قد نشرها الدكتور سهيل صابان بعنوان (تقارير أحمد مختار باشا العثمانية عن الجزيرة العربية) مجلة الدارة ، العدد الثاني ، السنة 29 (1424هـ - 2003) ، صـ 175 – 192 .
[4] - Records of Yemen . Vol 4 . Turkish advances in the Yemen 1872 . No. 2 . P . 9 .
[5] - لوتسكي ، المرجع السابق ، صـ431 .
[6] - جاكوب ، المرجع السابق ، صـ75 .
[7] - أحمد راشد ، المصدر السابق ، جـ2 ، صـ 129 .

مناطق يمنية أخرى " [1] ، فوصلت الإمدادات العسكرية المطلوبة و كـان الاتجـاه الـسائد للمشير هو إخضاع كل اليمن بأرضه و قبائله للدولة العثمانية ، و من ذلك تهامة و بـالأخص قبائل الزرانيق والتي كانت بمنأى عن الأحداث و لتمتعها باستقلالية و عدم مبالاتها بما يحدث على الساحة ، و يدل على ذلك حرية تحرك القوات العثمانية فـي تهامـة و اتجـاه الحملـة العسكرية لاحتلال تعز بكل يسر و هدوء في 10 سبتمبر 1872 (7 / 7 1289هـ) و " لـم تصادف أية مخالفة أو حركة مزعجة من قبل القبائل و أهالي القرى عنـد مـرور العـساكر العثمانية أثناء الطريق و لو بقدر الذرة " [2] .

و لكن الحال لم يدم ، فقد انفجرت الحرب فجأة بين الزرانيق و العثمانيين الذين أرسلوا حملـة ضخمة من أجل إخضاع الزرانيق " فقد خرجوا عن الطاعة ، لذا أصـدر المـشير – أحمـد مختار باشا والي اليمن – أمراً حول تأديب و تنكيل أهالي المنطقة المـذكورة و النظـر فـي الإصلاحات المقتضية و تحصيل الأموال الأميرية و إعلام متصرف لواء الحديدة حلمي باشـا أيضاً ، فتألفت قوة عسكرية من سريتين من الفوج الثالث التي كانت في الحديدة سـابقاً مـع سريتين التي هي في زبيد من العساكر العثمانية و سرية واحدة من عساكر الـدرك فأصـبح مجموع القوة خمس سرايا بإمرة أمين اللواء خليل أفندي " [3] .

و وقعت حروب شديدة استشهد فيها شيخ الطرف الشامي بكر جروب معـروف [4] فـي معركة قادها العقيد أحمد حلمي باشا متصرف الحديدة و معه أركان حربه من قـادة الجـيش العثماني و تكبدت القوات العثمانية خسائر فادحة ، و لكن المعمرين يؤكدون أن مقتل الـشيخ بكر جروب معروف كان نتيجة غدر من الأتراك و بأمان أعطي لهـذا الـشيخ لاسـتدراجه للتفاوض ثم تم قتله بعد أن قاوم و قتل اثنين من الأتراك [5] و لعل ما يصدق رواية هـؤلاء المعمرين قول أحمد راشد انه تم " قتل شيخ الطرف الشامي من قبيلة الزرانيق و قتل اثنان من الدرك – الشرطة – من قبل شرذمة من العصاة " [6] وبعد ذلك " أكمل الباشا – أحمد حلمـي – استطلاعه في القضاء المذكور و ضرب القبائل العامية و أجـرى التحـصيلات الأميريـة و أبقى السرايا الأربع من العساكر العثمانية في زبيد وعاد إلى مركز اللواء الحديدة و ذلـك في أوائل شباط 1873 (ذو الحجة 1289هـ) .

1 - Ibid .

2 - أحمد راشد ، المصدر السابق ، جـ2 ، صـ130 .

3 - المصدر السابق ، جـ2 ، صـ 154 .

4 - مقابلة مع علي جريوح ، و سالم يحيى مشهور ، و سعد حكيمة .

5 - المرجع السابق .

6 - أحمد راشد ، المصدر السابق ، جـ 2 ، صـ154 .

و بعد استشهاد الشيخ بكر جروب معروف شيخ الطرف الشامي و قتله غدراً ثارت الزرانيـق و انفجرت الحرب من جديد ، و هو ما أدى إلى عزل العقيد أحمد حلمي باشا مـن منـصبه كمتصرف للحديدة و " تعين العميد الركن علي بك وكالة بمنصب متـصرف الحديـدة "[1] وتعين العميد أحمد راشد بك[2] لقيادة المعارك ضد الزرانيق ، فوصل إلى زبيد و أخذ مـن " زبيد الأربع السرايا من الفوج الثالث للواء السابع و استصبحت[3] الفوج الـذي برفقتـه العاجز في يوم الخميس (5 نيسان / أبريل 1873 – 8 /2 / 1290هـ) مساءً و تحركـت إلى بيت الفقيه و وصلت في اليوم التالي صباح يوم الجمعة "[4] .

ثم يذكر الإجراءات التي اتخذها عند وصوله إلى بيت الفقيه فقال " و عنـد الوصـول إليهـا كتبت رسائل إلى القبائل و الشيوخ و العقلاء – أي العقال – بخصوص بقايا الضرائب التـي بذمتهم ، فالذين عليهم ديون سابقة ساروا يؤدونها ، و الذين تترتب عليهم ضرائب في الـسنة الحالية ، تأجلت إلى السنة القادمة بالتقاسيط و مدير الناحية عبدالله أفندي قدم مساعدات بهـذا الخصوص "[5] ثم يورد معارضة و رفض بعض الزرانيق للضرائب المفروضة عليهم فقال " و مع هذا فإن بعض من القبائل المذكورة لم يستجيبوا للدعوة مما اقتضى الأمر النظر فـي تأديبهم "[6] .

و يؤكد العميد أحمد راشد بك أن الزرانيق في الطرف الشامي و غليفقة انقادوا و دفعوا كل ما طلب منهم و ألمح سابقاً إلى أن ذلك هو نتيجة قتل الشيخ بكر جروب شيخ الطرف الشامي بعكس الطرف اليماني و سكان الجاح فيقول " و من أقسام الزرانيـق شـامي – أي الطـرف الشامي – و غليفقة يقدمون التكاليف المشروعة من القديم و القسمان الآخران الجاح و يمـاني – أي الطرف اليماني – لم يؤدوا ما عليهم من التكاليف لاسيما قبائل الجاح التي تمتلك بساتين النخيل بكثرة ، فكانت تمنع الموظفين عن تعداد النخيل بأنواع من الحيل و الدسائس ، فإذا مـا ضايقت الحكومة أصحاب تلك البساتين كان يخشى منهم أن يسلكوا سلوكاً شائناً كقطع الطرق و قتل الأنفس و البغي و العدوان ... فالجاحيون كانوا يعتمدون على هذه البساتين – النخيل – و يتخذونها حصناً لهم عند قيامهم بالعصيان يتفق معهم الحسينيون – سكان الحسينية – ليكونوا

---

[1] - المصدر السابق ، جـ2 ، صـ158 .
[2] - أحمد راشد بك ضابط تركي برتبة عميد ترك الخدمة في اليمن سنة 1290 هـ و كتب مذكراته عن الحرب في اليمن بعنوان (تاريخ اليمن و صنعاء) .
[3] - أي المؤلف .
[4] - المصدر السابق .
[5] - المصدر السابق .
[6] - المصدر السابق .

معيناً و ظهيراً لهم " [1] ثم يذكر ما اتخذه من إجراءات و خطط عسكرية من أجل القضاء على ثورة الزرانيق بعد أن أعطاهم مهلة ، ففي " ما يخص الأمور المتعلقة بجباية الضرائب انتهت و وضعت في نصابها " [2] ويبدأ يعد العدة " لأجل ضرب القبيلة المذكورة و التنكيل بها و اتخذت الترتيبات اللازمة لأجل التحركات العسكرية " [3] و لكن المشير أحمد مختار طلب أحمد راشد إلى صنعاء و أصدر المشير أمراً بـ " ابقاء آمر الفوج المقدم يونس أفندي مع فوجه في المحل المذكور " [4] و يقول أحمد راشد " و بلغت المقدم المومئ إليه عن الترتيبات المتخذة و التحركات العسكرية التي ستجرى ضد القبيلة المذكورة و بعد ذلك جاءني الرئيس توفيق أفندي الذي ينتمي إلى الفوج الثالث للواء الثاني لأخذ الخرائط الاستكشافية فيه عن المحلات التي ستجرى فيها التحركات العسكرية " [5] .

و يظهر من خلال الأحداث أن أحمد راشد قد سحب من ميدان المعركة و أُستدعي لصنعاء ثم أعيد كمعاون و ذلك بسبب تكبده هزائم في الجاح و وقوعه في فخ الزرانيق الثاني بعد القصرة ألا وهو غابات أشجار النخيل في الجاح و متاهاته التي لا تنتهي و بها الكثبان الرملية و فيها أشد درجات الحرارة و أردأ هواء في تهامة ، و في أثناء ذلك عين اللواء موسى كاظم باشا قائداً للقوات العثمانية بالحديدة [6] و قد جعل مدينة بيت الفقيه مقره و حكمها حكماً عسكرياً مباشراً حتى سنة 1291 هـ - 1874 كما تحكي إحدى الوثائق لدى المؤلف و التي تذكره كقائمقام للمدينة و لعله جمع بين المنصبين [7] .

أما المقدم يونس أفندي فالمصدر العثماني الوحيد يذكر أنه " تحرك و بإمرته الفوج الثاني من اللواء الرابع نحو قبائل الجاح و لما أدركت القبيلة المذكورة عدم قدرتها على المقاومة أمام العساكر العثمانية فلم تجد وسيلة للتخلص غير الاستسلام ، فلهذا قبض على شيخهم الذي كان يشوقهم – لعله يسوقهم – على العصيان و عند العودة إلى بيت الفقيه سلمناه إلى المدير لأجل تأديبه و بعد ذلك عينت الحكومة موظفاً لإحصاء النخيل " [8] و قد ذكر انكارين انه " و في عهد السلطان عبدالعزيز جرت بينهم و بين الأتراك معارك كبيرة ، ثم خضع الزرانيق و أجبروا على دفع ضريبة للحكومة العثمانية تقدر باثنين بالمائة (2 %) من مجمل البضاعة

[1] - المصدر السابق .
[2] - المصدر السابق .
[3] - المصدر السابق ، جـ 2 ، صـ 159 .
[4] - المصدر السابق .
[5] - المصدر السابق .
[6] - المصدر السابق ، جـ2 ، صـ159 .
[7] - وثيقة مخطوطة لدى الباحث .
[8] - راشد ، المصدر السابق .

المستوردة ، و ثلاثة قروش على كل جمل يصل إلى منطقتهم أو يخرج منها "[1] و بعد هذه الاتفاقيات بين الزرانيق و العثمانيين سحبت القوات العثمانية من منطقة الزرانيق " و بما أن التحركات العسكرية انتهت في جبهة بيت الفقيه و لم تبق حاجة إلى بقاء الفوج الثالث للواء الرابع في المحل المذكور ، فنقلت إلى الحديدة ، و قد ورد أمر المشير بسفر الفوج بمعية العاجز – أي أحمد راشد بك – إلى اسطنبول في 18 ربيع الأول 1290 هـ (15/ 5 / 1873) "[2] .

3- أسباب الثورات اليمنية ضد العثمانيين

بعد دخول القوات العثمانية صنعاء في 1289هـ (1872) و ضم اليمن كولاية عثمانية تركية ، قامت الثورات ضد هذا الاحتلال و لأسباب أوجبت الثورة ضدهم ، و لعل أهمها هو ظلم الولاة و استبدادهم و قسوتهم و تعاليهم و عجرفتهم على الشعب اليمني العظيم و ممارسة كل أنواع التعذيب و الجبروت و الفساد ، و إهمال الدولة العثمانية لليمن " بحكم ازدياد الاضطراب في عاصمة السلطنة و خروج أمم البلقان إذ ذاك عليها و اضطرارها إلى مواقعتهم و إخماد ثوراتهم و زاد هذا الإهمال بعد نشوب الحرب الروسية سنة 1294هـ (1877) و انكسار جيوش الدولة فيها و انصرافها عقبها إلى رتق فتوقها ، و دخل عهد السلطان عبدالحميد الطافح بسوء السياسة و الإدارة و التجسس ، و اليمن النكد الحظ أكثر ما كان يجيئه من الولاة و الموظفين ، الطالحون و المأفونون و بعضهم من المغضوب عليهم و المطلوب إقصاؤهم ، فكان دأبهم الجور و العسف و ابتزاز الأموال للرجوع بأكبر غنيمة إلى بلادهم "[3] و قد أدت هذه السياسات إلى انتشار الفساد و التي عبر عنها " الكاتب الأوربي هاريس Harris الذي قام بزيارة اليمن في أثناء الثورة في سنة 1892 بقوله : " إن تفكير الموظف التركي ينصب على كيفية الاثراء خلال شهر أو اثنين ، و على أسلوب العمل في إدارته الذي يحقق له هذه الغاية قبل اعتزاله كما كان منطقه " ماذا ستكون نتيجة سياستي ... أنا لا يهمني هذا ، لا يهمني على الإطلاق " فالموظفون الترك لم يكن معظمهم يؤمنون بأنهم يقومون بعمل وطني لصالح دولتهم ، بل كانوا يشعرون أن اليمن منفى لهم و إبعاد "[4] ، و يتبع الولاة أساليب متعددة لابتزاز الدولة و الشعب اليمني و من أساليب " ظلم الأتراك و استبدادهم ... إرضاء شهواتهم و استحلالهم الحرمات و تركهم ما أمر الله به من الفروض

---

1 - انكارين ، المرجع السابق ، صـ162 .
2 - راشد ، المصدر السابق ، جـ 2 ، صـ166 – 167 .
3 - أحمد وصفي زكريا ، المرجع السابق .
4 - أباظه ، الحكم العثماني في اليمن ،صـ132 .

و الواجبات و انغماسهم في الشرور و المعاصي و ارتكابهم البغي و شرب المسكرات و قـد كان يخرج المتصرف أو الوالي أو الحاكم العثماني من محل وظيفته إلى الأرياف و الجبـال ليجمع الأعشار و يجبي الضرائب فيأخذ لنفسه جميع ما يمكن تحصيله من الأهـالي الفقـراء و يعود إلى محل وظيفته دون أن يعطيهم سنداً أو وصلاً و يقـول لحكومتـه بـأن الأهلـين عاصون عليه لا يرغبون دفع الضرائب له ، فتسير الحكومة الجيوش عليهم فتنهبهم و تخرب بيوتهم و تسوق طروشهم و تكتب إلى الباب العالي في الاستانة بأن أهل اليمن عصوا الحكومة ... و لذلك كانت اليمن في حرب دائم مع الترك " [1] و يذكر العظم أيضاً من أساليب الولاة للابتزاز و التي كانت سبباً لثورات اليمنيين أن الولاة كانوا " يوهمون الناس بـأنهم يريـدون إرسالهم – أي نفيهم - إلى الاستانة بناء على أوامر السلطان و معلوم بأن جميع الذين يرسلون إلى الاستانة كانوا لا يعودون منها بل يذهبون طعاماً للسمك في البوسفور ، لذلك كان بعـض اليمانيين يفتدون أنفسهم بالمال ومن لا مال عنده كان يساق صاغراً إلى المنافي و الـسجون و قد نفي على هذه الصورة خلق كثير " [2] .

و إذا كان هذا حال الولاة فإن حال السلاطين كان هو المتابعة و ارسال الجيوش لدك ثورات اليمنيين بيد أن السلطان عبدالحميد الثاني (1876 – 1909) و الذي تميز حكمه بالاسـتبداد و تكميم الأفواه و سحق معارضيه بكل الوسائل و الجاسوسية و الفساد و الانتهازية الـسياسية و استخدام الدين لسياسته تلك ، و الذي ساق إلى اليمن مئات الآلاف مـن التـرك و غيـرهم و كانت أغلب الثورات اليمنية و أشهرها ضد ولاته في اليمن ، وكانت " سياسة عبدالحميـد المركزية التي سار عليها في حكم الولايات العربية و غيرها كلفته الكثير من المتاعب الداخلية و الخارجية و أثارت عليه نقمة قسم كبير من العرب و تجلت هذه النقمة في الثورات العديـدة التي ظهرت بين القبائل العربية و هي وإن كانت ذات طابع محلي محدود إلا أنها جاءت كرد فعل لتشديد قبضته على بلادهم مما فجر سخطهم على حكمه المستبد و على مظـالم الحكـام و الموظفين الترك ، الذين عاثوا فساداً في البلاد و استنزفوا أموال الأهالي و أساءوا معاملتهم وتاريخ اليمن يعكس لنا صورة حية لثورات العرب ضـد الأتـراك العثمـانيين وسياسـتهم المركزية المتطرفة في عهد عبدالحميد " [3] .

---

[1] - العظم ، نزيه مؤيد ، رحلة في بلاد العربية السعيدة ، مؤسسة فادي برس – لندن ، الطبعة الثانية 1405هـ / 1985 ، صـ154 .

[2] - المرجع السابق ، صـ155 .

[3] - أباظه ، المرجع السابق ، صـ116 .

ثم إن عبدالحميد " كان يتدخل بنفسه في كل أمور الدولة لعدم ثقته بأعوانـه "[1] و أعوانـه المقربون هم حثالة الفساد فـ " نظراً لان معظم المراكز الرئيسية في الاستانة أثناء الاسـتبداد الحميدي انتقلت إلى أيدي المرتشين و الجشعين ، فقد تحولت بعض الدوائر و الوزارات إلـى أسواق سوداء تباع و تشترى فيها الوظائف و الرتب و الأوسمة و الامتيازات و من الطبيعـي أن هذا الفساد لم يبق مقتصراً على العاصمة وحدها بل سرى إلى الولايـات أيـضاً كمـا أن تضخم نفقات القصر و العاصمة كان يؤدي إلى الإضرار بالولايات "[2] فعهـد عبدالحميـد عهد " عرف بكثير من المظاهر الخاصة به و اعتمد حكمه على الجاسوسية والإرهاب و كانت هذه الطريقة في الحكم نتيجة عدم إيمان عبدالحميد بالحياة الدستورية فركز السلطة كلها في يده ... و عطل الدستور و ألغى البرلمان في بداية حياته و هو الذي جاء للحكم لتنفيذ الدسـتور ، و قد أدت هذه السياسة إلى تدهور الإدارة و الاقتصاد و ضياع الممتلكات و قيـام الثـورات و سيادة الحكم الفردي "[3] و ما زالت الدراسات الحديثة تؤكد أن سبب الثورات المـستمرة و الدائمة في اليمن آنذاك لم يكن إلا بسبب الاستبداد الحميدي حتى إن الدراسات التركية تذكر أن آثار تلك الثورات مازالت حاضرة حتى الآن في الوعي العام التركي " فعلى الرغم من أن الانتفاضات اليمنية التي اندلعت في عهد عبدالحميد (1889) قد تم إخمادها بعملية عـسكرية ناجحة أسفرت عن الاستيلاء على صنعاء تحت قيادة والي الحجاز أحمد فيـضي باشـا إلا أن تلك الانتفاضات لم تلبث أن عادت للاشتعال مرة أخرى عام 1895 و استطاع والـي الـيمن حسين حلمي بعد جهود عامين أن ينجح في تهدئة الثورة لكنها اندلعت مرة أخرى عام 1902 ... ثم تحولت الثورات إلى صراع مرير استمر أعواماً طويلة حتـى نهايـة الإمبراطوريـة بعد أن أودى بحياة الآلاف من الجنود العثمانيين و ترك جروحاً غائرة فـي ضـمير الـرأي العام "[4] .

و كانت هناك مناشدات للدولة العثمانية و السلطان عبدالحميد بنشر العلم ورفع الظلم و منهـا الوثيقة التي أرسلها العالم عبدالرحمن بن احمد الياس المدني و المرسلة إلى الصدر الأعظـم و كان أول الأوجه التي طالب بإصلاحها في جزيرة العرب " هو نشر العلوم و المعارف " ثم رأى أن " ما يتعلق بأحوال اليمن خصوصاً و هي أن أسباب الفـتن الحاصـلة فـي الـيمن

---

[1] - المرجع السابق ، صـ 117 .
[2] - المرجع السابق ، صـ 117 .
[3] - سيد مصطفى سالم ، تكوين اليمن الحديث ، صـ 43 .
[4] - أوغلي ، أكمل الدين أحسان " إشراف و تقديم " الدولة العثمانية تاريخ و حضارة ، نقله إلى العربية صالح سعداوي ، منظمة المؤتمر الإسلامي – مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية باستانبول ، الطبعة الأولى ، 1999 ، صـ 126 .

ثلاثة أمور :- الأمر الأول هو استبداد المأمورين و ارتكابهم لما لا يرضي الله و رسوله من المنكرات و المعاصي و عدم إقامة الشريعة و تعدي المأمورين على أعراضهم .
الثاني هو ظلم المأمورين لهم في تضعيف الحاصلات و أخذها منهم زيادة عما قرره الـشرع و النظام عليهم و تعدي المأمورين على من لم يوافقهم على ذلك ، الوجه الثالث هو عدم سماع التشكي منهم في حق المستبدين الذين يظلمونهم فإنهم كلما تشكو إلى المابين الهمايوني لا يصلُ أهل الأغراض شكايتهم إلى أمير المؤمنين و إن بلغوه الشكاية يبلغوه بعكس ما حـرره أهـل الشكاية و هذه الأمور الثلاثة هي الموجبة للفتن الحاصلة في اليمن "[1] ثم يذكر أمور شكلية و لها عند الناس وقع شديد و أثر عميق فهؤلاء " المأمورين و الضباط و العساكر لا يـصلون و لا يؤذنون و يشربون الخمر و يرتكبون المنكرات "[2] .
و يكتب الشهيد عبد الغني العريسي[3] أن الجوع هو سبب الثورة المباشر ناقلاً ذلـك عـن العلامة عبيد الله نائب آيدين و الذي بعثته الحكومة العثمانية لتقييم الوضع في اليمن و معرفـة أسباب الثورات ، فصرح لجريدة (البروغرة) أنه " ليس سبب الثورة و الاضـطراب فـي اليمن اختلاف العنصر بل الأمر أمر حياة و معاش فإن الجوع أدقع اليمانيين بحيث أصبحوا لا شيء لهم و لا أمل فيهم بالحياة الطيبة ... فالواسطة الوحيدة لإخماد ثورة اليمن ليست الجيش بل أداة الحضارة و المدنية "[4] و هو ماجعل الشهيد العريسي يرجع في مقال آخر يكتب أن اليمنيين " لم يثوروا على الحكومة الحاضرة إلا بسبب الأفراد إذا أبعدوا عن هذا القطر كـان السبيل لسكينته و أعظم الأسباب للثائرة أمران و هما الجهل و العمال ، فاليمانيون في أعظـم ظلمات الجهل و ليس من علم أو معرفة كانت نظارة المعارف تسعى وراءهما ، فهنا الخطـر العظيم لأن اليمانيين شعب يتقد ذكاء و يندفع للعمل اندفاعاً و يضطرم عواطف فحيثما وجهت وجهته اندفع بكليته ، فإن خيراً فخيراً و إن شراً فشراً .
و الجرح العظيم الذي حول محبة اليمانيين عن الدولة عمالها الفاسـدون الأولـون ، فـأقلهم خشونة كان طاغية غشوماً ، يستنزف دماءهم ، و يحتجن أموالهم ، و يسجن أبنـاءهم "[5]

---

[1] - الأرشيف العثماني ، تصنيف إرادة داخلية (I.DH) ، أمد الباحث بصورة منها الدكتور/ محمود علي عامر في 92 / 1993 أثناء إعارته لجامعة صنعاء .
[2] - المصدر السابق .
[3] - الشهيد عبدالغني بن محمد العريسي ، ولد في بيروت 1890 ، كاتب و صحفي ، أصدر صحيفة المفيد و صحف أخرى كـ لسان العرب و فتى العرب و صدى المفيد ، بطل من أبطال العرب و أحد شهداءها و قد قتله الترك في 1916 مع خيرة الشباب العربي و عمره 26 سنة .
[4] - العريسي ، القطر اليماني ، جريدة المفيد ، السنة الأولى ، العدد 218 بتاريخ 21 تشرين أول (أكتوبر)1909 الموافق 7 / 10 / 1327هـ .
[5] - العريسي ، الشهيد عبدالغني ، اليمن بلاد اليمن و السعادة ، جريدة المفيد ، السنة الثانية ، العدد 565 بتاريخ 11 كانون الثاني (يناير) 1910 – 30 / 12 / 1327 هـ .

حتى أن اليمن بلاد العلم مات فيها العلم و يرى أن " الوسيلة الوحيدة لإخماد الثائرة في هذا القطر نشر العلم في كل ناحية فيه ، و إبعاد الحميديين من بين أهله ... فإن علمتهم الحكومة فلن تدفعهم للانفعالات السيئة و إن عاملتهم بالحسنى و العدالة ، فقد انتشرت بينهم السكينة العامة و الرغد الأخضر " [1] ، فقد عشعش الجهل و انتعش الاستبداد و " تغير مقام العلم و أهله بقدوم الأتراك صنعاء و الاستيلاء على أرض اليمن مع ظهور المنكرات و الفواحش و القوانين المخالفة للشريعة من دون نكير و لا اجتماع كلمة للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر " [2] .

فقد " كان الأتراك يتصفون بالقسوة و سوء الأخلاق و يذكر الوعاظ الكبار ممن عاشوا تلك الفترة أن اللواط قد تفشى بين الأتراك إلى حد أنه كان من الضروري فرض المراقبة و الحراسة على الصبيان بنفس القدر الذي كانت تفرض على البنات " [3] و هو ما سمعه المؤلف نفسه من المعمرين و يتنكتون برسم – أي ضريبة المحصنة – و هي أن المرأة إذا خرجت من بيتها و نظر إليها شخص يدفع ضريبة [4] أما الضرائب فقد كانت على كل شيء تتصوره " و كل شيء يحدثوا قانوناً و كل سنة يرفعوا تلك الأشياء يسيراً يسيراً حتى أن عرض الحال – أي الشكاية – أول الأمر بربع الثمن فلما كان هذا التاريخ قد هو بربع قرش حجر و على هذا فقس في أضعاف ما طبعوه و حتى فعلوا على المرأة إذا تزوجت البكر بشيء معروف نحو قرش حجر و الثيب دون و على الجدر – أي الجدار – إذا عمر شيء يسير حتى إذا قد كبير ... الخ " [5] .

فهذه هي الأسباب التي أدت إلى الثورات اليمنية المتكررة ضد القوات العثمانية حتى تم طردها من أرض اليمن .

---

[1] - المصدر السابق .

[2] - زبارة ، محمد بن محمد بن يحيى ، أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة ، المطبعة السلفية – القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1376هـ ، جـ 1 ، صـ239 .

[3] - انجرامز ، هارولد ، الأئمة و الحكام و الثورات ، مجلة اليمن ، العدد 19، مايو 2004 – ربيع الأول 1425هـ ، صـ245.

[4] - لقاء مع قاسم سطيح و قاسم مقبل .

[5] - مجهول ، حوليات يمانية ، صـ 331- 334 ، و د . محمود علي عامر ، اليمن من خلال لائحتي محمد خليل أفندي ، مجلة الإكليل ، العدد الأول – السنة السابعة – ربيع الأول 1409 هـ - 1989 ، صـ92 .

4- ثورات الزرانيق الشهيرة ضد العثمانيين

بعد فترة هدوء و استقرار نسبي بين قبائل الزرانيق و الدولة العثمانية نتيجة للاتفاق المسبق بينهم و الذي التزم به الطرفين منذ 1289هـ - 1872 نتيجة لتـولي ولاة تميـزوا بالحنكـة السياسية و اللين و الانضباط ، فتركوا الزرانيق و شأنهم و رضوا بتنفيذ و تطبيق الاتفاقية من قبل الزرانيق إلا أن الأمر لم يستمر طويلاً ، فقد خرق الولاة الاتفـاق و لـم يرضـوا مـن الزرانيق إلا الخضوع المطلق للدولة العثمانية مما أدى إلى تفجر الوضع و تجدد الصراع بين الزرانيق من جهة و الدولة العثمانية من جهة أخرى ، فـصارت الحـرب بينهمـا سـجالاً ، و اشتهرت هذه الحرب و ذاع صيتها ، فالزرانيق " و هي من أشد القبائـل التهاميـة بأسـاً و أعظمها صولة و لها ثورات عديدة على الأتراك في أول هذا القرن الرابـع عـشر "[1] و استمرت و لم تهدأ و بدءاً من سنة 1304هـ / 1887 " كانت المعـارك بـين الزرانيـق و الأتراك شبه يومية "[2] و استمر هذا الحال حتى تم الانسحاب العثماني فـي 1337هـ / 1918 .

و خلال هذه الفترة الزمنية من 1304 هـ (1887) حتى الانسحاب العثماني في 1337هـ / 1918 لم يهدأ الزرانيق إلا قليلاً ثم يعودون للثورة من جديد تبعاً لسياسة المد و الجزر التي يتبعها الولاة العثمانيون معهم ، فبعض الولاة تقرب إليهم و مال إلى تجنب الاصطدام بهـم و البعض الأخر رأى مهاجمتهم و محاولة إخضاعهم فقط .

و قد فضل المؤلف تتبع الولاة العثمانيين خلال تلك الفترة الزمنية تتبعـاً زمنيـاً ، و موقـف هؤلاء الولاة من الزرانيق و ثورات الزرانيق ضدهم أو ركونهم إلى الهدوء و السكينة .

---

[1] - زبارة ، المرجع السابق ، جـ1 ، صـ35 .
[2] - البردوني ، المرجع السابق .

1- الوالي أحمد فيضي باشا (الولاية الأولى 1302 – 1304هـ)

تولى اليمن لأول مرة في 1302هـ (1884- 1885) ، و هو أحد قادة الجيش العثماني في اليمن و الذين قدموا لاحتلال صنعاء فـي 1289هـ ـ (1872) [1] ، و عـرف الـيمن و ترقى في الرتب العسكرية حتى أصبح مشيراً [2] و تميز في حكمه لـليمن فـي الـثلاث الولايات التي تولاها بالشدة و الحزم و الجبروت ، و استمر حكمه في الولاية الأولى لـليمن " سنتين دوخ جميع البلاد ... و كان ظالماً غشوماً " [3] فقد " ظلم أهل اليمن ظلمـاً جـائراً و حبس من كبار اليمن من السادات و المشائخ و كان ظالماً جائراً فجوراً " [4] و من سـوء إدارته أنه " بالغ في الإساءة إلى رؤساء العشائر " [5] ، و هذا أدى إلى اندلاع الثورات فـي اليمن ، فأهملت الأرض و كانت النتيجة انتشار المجاعات و غلاء الأسعار ، و في تهامة كان عام 1304هـ عام شديد فقد " وقعت فيه شدة و غلاء عظيم و ارتفعت الأسعار و عدم الطعام " [6] ، و رفض المشير أحمد فيضي باشا الاتفاق بين الزرانيق و أسلافه من الولاة و كانـت له مواقف عدائية من الزرانيق منذ قدومه مع الحملة لاحتلال صـنعاء ، فاسـتفز الزرانيـق بأعماله ثم قام بحل مجلس قضاء بيت الفقيه المنتخب ورفض قراراتـه و عـين الكولونيـل مصطفى أفندي متمايز [7] فحوّل القضاء إلى منطقة عسكرية فثارت الزرانيق 1303- 1304 هـ (1887) فـ" كانت المعارك بين الزرانيق و الأتراك شـبه يوميـة " [8] و أدت هـذه الأحداث و أمثالها في اليمن إلى أن يـ " رفع عدد من أمراء العساكر العثمـانيين شـكاياتهم للباب العالي موضحين ما أصابهم من الأهالي اليمنيين نتيجة لفساد الأمور في البلاد بعـد أن عمها القحط و الجدب ، و قد أرجعوا كل ذلك إلى سوء تدبير الوالي العثماني و فساد سياسـته و شدة جرأته و تبجحه في اقتحام بيوت الأهالي و مصادرة ما فيها من حبوب أو ثروات دون مراعاة لأية حرمات ، و قد استدعى السلطان العثماني إلى العاصمة الـوالي أحمـد فيـضي ووبخه غاية التوبيخ ... ثم عينه قومنداناً في مكة " [9] ثم عين السلطان أحد وزراءه و هـو أحمد عزيز باشا فأشتهر بالحزم و الثبات و رفع الظلم عن المواطنين و منع تحصيل الطعـام

[1] - راشد ، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، صـ125 و ما بعدها .
[2] - يمن سالنامة 1314هـ ، صـ379 .
[3] - مجهول ، حوليات يمانية ، صـ338 .
[4] - الكبسي ، المصدر السابق (من تلحيقات حفيد المؤلف) ، صـ331 .
[5] - أباظه ، المرجع السابق ، صـ 122 .
[6] - الوشلي ، ذيل نشر الثناء الحسن ، حوليات 1304 هـ " مخطوط " .
[7] - يمن سالنامة سي ، عربي 1304هـ - رومي 1302 ، مطبعة الولاية – صنعاء ، صـ183 .
[8] - البردوني ، المرجع السابق ، صـ 141
[9] - الواسعي ، المرجع السابق ، صـ265 ، و أباظه ، المرجع السابق ، صـ 122 .

من الأهالي و منع المأمورين من التعدي و الارتشاء ، فشق ذلك على العسكريين و المأمورين فرفعوا إلى السلطان مطالبين بعزله فعزل [1] .

2- الوالي عثمان باشا (الأعرج) " 1305 – 1306 هـ "

تولى حكم اليمن بعد أحمد عزيز باشا ، المشير عثمان باشا و يعرف بالأعرج في 1305 هـ (1886 – 1887) [2] و كان هذا الشخص ميالاً إلى الفساد و الارتشاء و جمع الثروة من هذا الشعب و بكل الوسائل و تخزينها لنفسه و ساعده على ذلك المأمورين و الذين انغمسوا معه و حسنوا له الوسائل و الغايات من أجل استحلاب الشعب اليمني الواقع بين القحط و غلاء المعيشة ، فقرب المرتشين و المفسدين من الأتراك و اتبعوا معاً " طرقاً ملتوية و أساليب معوجة يكمن فيها المكر و الدهاء لتحقيق أغراضهم في الارتشاء و الاستحواذ على أكبر قدر من الثروة في هذا السبيل " [3] و أبعد هذا الوالي بعض الأتراك الخيرين ، و بذلك يكون هذا الوالي قد " أساء إلى رؤوس أهل اليمن ، و رؤوس العساكر ، و حط كلكله – أي غلظته الشديدة – على المشائخ " [4] ، و فرح الوالي لما رأى المأمورين يساعدوه فيما يريد " فأذعن لهم لكون داء الرشوة كامناً في صدره قبل مجيئه " [5] و أعدوا وسيلة جديدة لابتزاز اليمنيين و هي أن الوالي عثمان باشا " كتب إلى جميع مشائخ اليمن من تعز و عسير و الحديدة و سائر الأقضية التابعة لليمن ، ثم إن المأمورين أشاعوا أن الوالي يريد بعد إحضارهم إلى صنعاء إرسالهم إلى الباب العالي ، فلما وصل هذا الخبر إلى مسامع المشائخ و الرؤساء خلع الخوف قلوبهم و صاروا يتوسطون بالقائم مقامات و المتصرفين و غيرهم من المأمورين أن يعطوا الوالي مقداراً من الدراهم و يكف عنهم هذا الطلب و يعتذر لهم عند السلطان ثم بهذه المكيدة جمعوا للوالي ألوفاً كثيرة من الريالات " [6] .

أما الزرانيق ، فقد مروا بفترة هدوء و استقرار بعد قدوم الوالي السابق أحمد عزيز باشا ، و لكن هذا الاستقرار ما لبث أن عاد إلى ثورة عارمة في عهد هذا الوالي عثمان باشا ، و الزرانيق يروون قصص بطولاتهم في تصديهم للقوات العثمانية في عهد الوالي عثمان الأعرج ، و الذي بعث إلى مشائخ الزرانيق كما بعث إلى مشائخ اليمن بالحيلة السابقة ، فكان

[1] - الكبسي ، المصدر السابق ، صـ329 ، سالنامة 1314 هـ ، صـ380 ، الواسعي ، المرجع السابق ، صـ266- 267 .
[2] - يمن سالنامة سي 1314 هـ ، صـ379 .
[3] - أباظه ، المرجع السابق ، صـ124 .
[4] - العرشي ، بلوغ المرام ، صـ78 .
[5] - الواسعي ، المرجع السابق .
[6] - الواسعي ، المرجع السابق ، صـ 266 .

جوابهم قاسياً على رسوله و على قائمقام بيت الفقيه صالح بك [1] آنذاك مصرحين أنهم لا يعترفون بالسلطة العثمانية فكيف يذهبون إلى صنعاء و هم لا يعرفون أين تقع و لا يعرفون إلا بلادهم و عند ذلك طلب منهم الرسول و القائمقام أموال للوالي فسبوهم سباً مقذعاً و قام مشائخ الزرانيق بتحميل رسول الوالي و القائمقام رسائل شفوية مفادها التهديد و الوعيد بدفن الوالي و الأتراك في وهاد و أدغال و صحراء تهامة و تطاول المشائخ و حملوا رسول الوالي و القائمقام أحذيتهم المصنوعة بشكل بدائي من الجلود المدبوغة و تعرف عندهم باسم أمشاطي قائلين للمذكورين " مال أمتركي إلا أمشاطي " فذهبت مثلاً لديهم [2] .

وعند وصول رد الزرانيق للوالي عثمان باشا اشتاط غضباً و حنقاً ، و جهز حملة تركية ضخمة بقيادة محمد أمين آغا [3] و هو قائد عسكري شهير ، انطلقت من منطقة الشيخ سعيد حيث " كانت هناك مراكز تركية قوية " [4] رغم أن " الحديدة تأتي كالمركز العسكري الثاني " [5] إلا أنه " كانت لا توجد كفاية من الجنود للتحرك إلى الأماكن المطلوبة ، فمثلاً كان هناك طابوران [6] فقط في بيت الفقيه المركز الإداري لمنطقة الزرانيق الثائرة " [7] وهذا يدل على العشوائية و عدم وضع الخطط العسكرية و الإستراتيجية ، و اتجهت الحملة تسحب معها أفراد الحاميات بمحاذاة الساحل حتى زبيد و كان ذلك في سنة 1306هـ [8] (سبتمبر 1888 - سبتمبر 1889) فمر القائد محمد أمين " بزبيد قاصداً الزرانيق و سار حتى بلغ البدوه [9] فأرسل في طلب شيخ الطرف اليماني بالحسينية الشيخ يحيى هبه فاشق " [10] و أرسل إليه أن الحملة ما جاءت إلا لتصل إلى الحديدة و لا تريد بلاد الزرانيق و أنه يريد من الشيخ يحيى أن يصحبه فقط [11] و لا يريد شراً و لا حرباً فـ " صحبه –

---

1 - يمن سالنامة 1305 هـ رومي 1304 هـ ، مطبعة الولاية – صنعاء ، ص76 .
2 - لقاء مع العاقل أحمد محمد جمال ، و الحاج يحيى عبدالله العمري ، و علي جربوح ، و قاسم مقبل .
3 - محمد أمين بك آغا تولى مناصب عسكرية و مدنية و منها الوكيل العام للضبطية و تولى قضاء زبيد و اللحية و ريمة و حجة و عمران و بيت الفقيه ... الخ من المناطق الساخنة و له لائحة باسم محمد أمين باشا و كتاب عن اليمن .
4 - ناجي ، سلطان ، التاريخ العسكري لليمن 1839 – 1967 ، دراسة سياسية ، دار العودة – بيروت ، الطبعة الثانية ، 1988 ، ص 57 .
5 - المرجع السابق ، ص56 .
6 - الطابور : فرقة عسكرية من المشاة و في النظام العسكري العثماني يشكل الطابور ربع ألاي أي سرية عدد أفرادها من 800-1000 .
7 - المرجع السابق .
8 - وثيقة خطية تؤرخ هذه الحملة لدى الباحث .
9 - البدوه : قرية جنوب الحسينية في وادي رمع .
10 - شبيلي ، محمد عمر ، الروض الأنيق فيما جرى بين الأتراك و الامام و الزرانيق ، " مخطوط " .
11 - لقاء مع علي جربوح ، و الحاج يحيى عبدالله العمري .

الشيخ يحيى هبه فاشق – حتى قرية الكداديف " [1] و في الكداديف ذات الموقع الاستراتيجي المرتفع و الحصين اعتقد محمد أمين أنه قد وصل في وسط بلاد الزرانيق و أنه يستطيع الآن فرض الأمر الواقع و سيطرته فـ " غدر به القائد التركي محمد أمين فاعتقله لديه لمدة أسبوع فعلمت الزرانيق فهاجت و اجتمعت و قررت الهجوم على الأتراك في قرية الكداديف و توجهوا إليها بعد أن تواعدوا فيما بينهم فوثبوا على الأتراك و هجموا على محمد أمين قائد الترك و لم يزالوا يحملون بشدة على الأتراك حتى بلغوا إلى الشيخ – يحيى هبه فاشق – في معتقله وأخرجوه منه بالقوة " [2] أما نتيجة المعركة فهي لصالح القوة المهاجمة فخسائرهم البشرية أقل و قد وصلوا إلى مبتغاهم و هو إخراج الشيخ يحيى هبه فاشق و هذه النتائج هي نتائج تقديرية زرنوقية المصدر فقد " بلغ القتلى في هذه المعركة سبعمائة قتيل من الأتراك و من الزرانيق عشرين شهيداً ما عدا الجرحى من الطرفين " [3] .

- **يوم الحسينية**

و هو يوم من أيام الزرانيق المشهورة ، فبعد الهزيمة المهينة للقائد العثماني محمد أمين آغا ، طلب النجدة من المعسكر العثماني في زبيد و حصّن موقعه في الكداديف " فوصلت إليه جيوش جرارة و تحرك بجيشه العظيم من مقر قيادته في قرية الكداديف و قصد قرية الحسينية مقر الشيخ يحيى هبه فاشق ولم يزل متقدماً صامداً حتى بلغ سوقها ، فهبت الزرانيق من كل صوب وحدب واشتبكوا مع جيشه في الحسينية واشتدت بينهم الحرب وحمي الوطيس وهزمت الأتراك ولم تتراجع إلا إلى معسكرها بالكداديف ، وقتل من الأتراك في هذه المعركة ما يوازي ألف قتيل و من الزرانيق ثمانية و عشرين شهيداً عدا الجرحى من كلا الطرفين " [4] فيما يقدر آخرون القتلى بألف و مائتين تركي حتى قيل أن السباع و الوحوش و الطيور شبعت من جثث الترك [5] و يروي الزرانيق بطولات أجدادهم في هذه المعركة باعتبارها الأكبر من حيث قتلى الترك في مطلع القرن الرابع عشر الهجري .

---

[1] - شبيلي ، المصدر السابق . و الكداديف : قرية في جنوب بيت الفقيه و شمال شرق الحسينية بين خط طول 23َ و 43° و دائرة عرض 25َ و 14° ، و تطل على وادي رمع و الحسينية و هي ذات موقع استراتيجي متحكم في جميع الجهات و بها آثار قديمة .

[2] - شبيلي ، المصدر السابق .

[3] - المصدر السابق .

[4] - المصدر السابق .

[5] - لقاء مع من سبق ذكرهم .

- **التوجه إلى بيت الفقيه**

و أدرك محمد أمين آغا عدم قدرته على حسم الأمر و هو في غياهيب بـلاد الزرانيـق ، و كانت الدولة العثمانية قد سارعت بإرسال نجدات متتالية بناء على طلب القائد محمد أمـين من المعسكر العثماني بزبيد و من غيرها من المعسكرات القريبة ، و جعل أمر توجهـه إلـى بيت الفقيه في منتهى السرية و الكتمان ، و كانت بيت الفقيه – عاصمة الزرانيق – في وضع حرج للغاية ، حيث أصبحت الحامية العسكرية العثمانية المتحصنة بالقلعـة هـدفاً للمقاومـة المحلية و المقاومة الزرنوقية ، و هرب منها القائمقام صالح بـك ، فـصدرت الأوامـر بتولي اليوز باشى محمد أمين آغا قائمقاماً لها [1] ، و كان مجلس القضاء المنتخب قـد حـل سابقاً و رفض إعادة انتخابه ، و في هذه الظروف " توجه – محمد أمين آغا – صوب بيـت الفقيه على حين غفلة من الزرانيق في منتصف الليل و لما وصل إلـى الغـوانم [2] شـمال الحسينية وجد ثلة من زرانيق الطرف الشامي ، كانوا آتين لنجدة الشيخ يحيى هبـه فاشـق ، فاشتبكوا معهم ، و سمعت القرى المجاورة من زرانيق الطرفين الشامي و اليماني ، فاشـتدت الحرب ، و الأتراك ماضون في طريقهم إلى مدينة بيت الفقيه و القتل و الجرح مستمر فيهم ، و أسفرت المعركة عن ثلاثمائة قتيل تركي و قد استشهد رجال من الزرانيق و أسر مائتين من الأتراك و كثير من الجرحى من الطرفين زرانيق الطرفين الشامي و اليماني و الأتراك " [3] . ووصل إلى بيت الفقيه وقد فقد خيرة رجاله و أدرك أنه محاصر من كل الجهات ، فـالزرانيق تحيط ببيت الفقيه كما يحيط الماء بالجزر ، و قد انقطعت الإمدادات و التموين ، و من ثم فقـد قرر اللجوء إلى المناصب الذين يحتلون الصدارة الروحية لدى الزرانيق و يرضى الزرانيـق بتدخلهم لمنصبهم الروحي و خاصة أن القائمقام محمد أمين أحسن الاختيار للمنصب فقد اختار الهجرة المشرعي و هو أحد أحفاد الشيخ محمد بن موسى بن علي العجيل أخو الإمام أحمد بن موسى العجيل (608-690 هـ) .

- **اتفاقية زرنوقية تركية ثانية سنة 1306 هـ (سبتمبر 1888 – 1889)**

رعى الهجرة المنصب المشرعي اتفاقية و صلحاً ثانياً بين مشائخ الزرانيق من جهـة و بـين القائمقام محمد أمين ممثلاً للدولة العثمانية من جهة أخرى و قبل الجميع بنـصوص الاتفاقيـة سنة1306هـ ، و التي تنص على ما يلي :-

1- أن يكون حكم الزرانيق بأيديهم و أيدي مشائخهم و لا دخل للدولة العثمانية بهم .

---

[1] - وثيقة خطية لدى الباحث .
[2] - الغوانم : قرية في جنوب بيت الفقيه شمال الحسينية تقع بين خط طول 20َ و 23° و دائرة عرض 29َ و 14° .
[3] - شبيلي ، المصدر السابق .

2- لا رهائن على الزرانيق و لا عشور و لا إتاوات و لا أي التزام مادي عليهم .

3- أن يطلق الزرانيق كل الأسرى الأتراك لديهم [1] .

و هكذا تحقق للزرانيق ما أصبوا إليه و جاهدوا من أجله و دفعوا أرواحهم ولكن لم تستمر الاتفاقية طويلاً .

3- الوالي عثمان نوري باشا (1306 – 1307 هـ)

وصل الفريق عثمان نوري باشا والياً على اليمن في شهر ذي الحجة سنة 1306هـ (أغسطس 1998) [2] و يلقبه اليمنيون بالفقيه [3] و بعثمان الخيري [4] و قد أحبه اليمنيون حباً عظيماً و أجمعوا " أنه لم يأت والٍ في اليمن مثله " [5] فـ " كانت فيه خصال خير ، و هي عدم الطمع ، و القرب من الناس ، و تسهيل الحجاب ، فإنه ... كان يدخل إليه الصغير و الكبير ، و يخرج الأسواق على حمار بخادم واحد ... و يتصدق بالشيء اليسير ، فإنه كان يقسم الريال نحو مائتي قسم و يعطي كل مسكين قسم و تارة يزيد ، و كان يحث جميع المأمورين على الصلاة ... و في أيامه لم يحصل عليه كدر و لا احتاج إلى إرسال العساكر بل علق أيدي [6] المشائخ و جعلهم كلا شيء ، و كان يطوف بالليل في صنعاء ... و بالجملة إنه كالبدوي ، و لم نَر مثله من الولاة في قربه من الناس و عدم التكبر مع صلاح الأمور ، فهو في الحقيقة أعجوبة لم نر مثلها ... إنه صوفي و إنه كان يحضر جماعة في ليلة الاثنين و الجمعة و يتلون أوراد الصوفية " [7] و كان " يأمر الناس و جميع الأتراك بالصلاة و المحافظة على الجماعات حتى وقعوا كلهم مصلين " [8] فـ " هدأت الحروب في اليمن و لم يقع شيء يكرهه " [9] و صارت " الأمور ... ساكنة و الأمطار واسعة و الحبوب كثيرة " [10] و نتيجة لما سلف " كثرت في زمنه الخيرات و البركات و انقطعت الفتن و المحاربات و منع المأمورين من الظلم و الارتشاء " [11] و تصفه المصادر العثمانية بأنه " كان بمحل من علو المقدار و التقوى و التواضع محباً للعلماء و الفضلاء ، حانياً للفقراء

---

1 - شبيلي ، المصدر السابق . ، و اللقاءات مع المعمرين و الرواة السابقين .
2 - الجرافي ، صفي الإسلام أحمد بن محمد (1280-1316 هـ) ، حوليات العلامة الجرافي ، تحقيق ودراسة الدكتور حسين بن عبدالله العمري ، دار الفكر المعاصر – بيروت ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة الأولى ، 1412هـ - 1992 ، صـ 25 .
3 - العرشي ، المصدر السابق ، صـ78 .
4 - مجهول ، حوليات يمانية ، صـ365- 374 .
5 - الواسعي ، المرجع السابق ، صـ268 .
6 - أي رفع أيديهم عن أي عمل من الأعمال .
7 - الجرافي ، المصدر السابق ، صـ106 – 107 .
8 - مجهول ، المصدر السابق ، صـ366 .
9 - العرشي ، المصدر السابق .
10 - الجرافي ، المصدر السابق ، صـ25 .
11 - الواسعي ، المرجع السابق ، صـ268 .

و الضعفاء " [1] ، و لم يستمر الوضع كثيراً فقد بدأت المؤامرات تحاك ضده من قبل الأتراك المرتشين و المفسدين ، و بالأخص " المأمورون الذين قد غذوا بالظلم و الارتشاء و جاء هذا الوالي عدواً لهم ، فأرسلوا بمضبطه إلى الباب العالي أن هذا الوالي بقاءه في اليمن يحصل بسببه اختلال عمومي و أنه لا يصلح لليمن " [2] .

فكان عزله في ذي القعدة سنة 1307هـ (أغسطس 1889) [3] و نقل قومنداناً إلى الحجاز في مكة و أستمر حتى توفي بها في 17 ذي الحجة 1310 هـ (1 / 7 / 1893) [4] .

أما الزرانيق ، ففي عهده كانوا قد نعموا بالأمن و الاستقرار و الهدوء ، فقد التزمت الزرانيق بالاتفاق و أطلقوا كل الأسرى العثمانيين لديهم و جاء هذا الوالي و استمر في التزامه بالاتفاق . واتجه السلطان عبدالحميد الثاني إلى استخدام الدين من خلال دعوة العلماء و المناصب و السادة إلى بلاطه السلطاني في الاستانة (اسطنبول) و انتقى مجموعة من ذوي الميل إلى الأتراك و النفوذ الروحي و منهم السيد جيلان بن المساوى بن محمد الأهدل و الذي منح نيشان مجيدي و جارية تزوجها فيما بعد و مجموعة هدايا مختلفة [5] و كذلك السيد محمد بن عبدالله الأهدل من سادات بيت الفقيه و رفع مرتبه من الدولة العثمانية و نقيب الأشراف في اليمن السيد الأمين بن عبدالقادر البحر و الذي رفع مخصصة إلى 150 قرش [6] ، و كل هؤلاء من بيت الفقيه و قد استقبلهم السلطان عبدالحميد الثاني في قصره و استمع إلى وجهات نظرهم حول الثورات التهامية و بالأخص الزرنوقية و كيفية حلها و إيجاد الوسائل من أجل عدم إراقة الدماء و قد ألقى السيد الأمين بن عبدالقادر البحر [7] قصيدة رائعة أعجبت السلطان ، ثم أمر السلطان بصرف مخصصات مالية لهم و إعادتهم إلى بلادهم [8] و هكذا طرقت مسامع عبدالحميد الثاني ما يحدث من ثورات ضد التواجد العثماني ، فأراد استجلاب قلوب التهاميين و تهدئة نفوسهم و حل مشاكلهم .

---

[1] - يمن سالنامة سي 1314هـ ، صـ380 .

[2] - الواسعي ، المرجع السابق .

[3] - الجرافي ، المصدر السابق ، صـ28 .

[4] - المصدر السابق ، صـ106 .

[5] - وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف إرادة داخلية (I.DH) برقم 81527 ، و توجد صورة منها في المركز الوطني للوثائق بصنعاء في المجموعة الثالثة ، ملف رقم 66 و مسلسل برقم 23 ، و وثيقة أخرى في الأرشيف العثماني تصنيف إرادة داخلية (I.DH) برقم 81912 . حصل الباحث عليها . و راجع الوشلي ، الذيل حوليات سنة 1306هـ . (أنظر ملحق رقم 7) .

[6] - وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف إرادة داخلية (I.DH) برقم 89322 ، وقد حصل الباحث على وثائق و منها هذه من آل البحر ، ومنها صورة في المركز الوطني للوثائق (انظر ملحق رقم 8) .

[7] - الأمين بن عبدالقادر البحر (1264 – 1336 هـ) عالم و مصلح اجتماعي ولد و توفي في بيت الفقيه ، له (الفيض المديد في معرفة المشائخ و الأسانيد) و غيرها من الكتب .

[8] - لقاء مع السيد محمد بن الفضل بن الأمين بن عبدالقادر البحر و السيد أحمد قاسم البحر .

4- الوالي إسماعيل حقي باشا (1307-1308 هـ)

عين الفريق إسماعيل حقي باشا مرة ثانية " والياً لولاية اليمن و قومنداناً للمعسكر الهمايوني "[1] فوصل الحديدة في ذي القعدة 1307 هـ[2] (يونيو 1890) ، و تميز عهده بالاضطرابات و الثورات رغم أنه " كان يجري الأمور على مقتضاها و منع المأمورين من الارتشاء "[3] و لكن المرض كان قد نخر في جسده فهده إلى جانب جزع ملأ قلبه و خاصة بعد اشتداد المقاومة اليمنية و عجزه و مرضه .

فحسب المصادر العثمانية نفسها التي قيمت حكمه بقولها " قد ظهرت أمارات الاختلال في أكثر جهات الولاية "[4] و ثارت القبائل التهامية ، و منها الزرانيق و التي أثارت حفيظتها تصرفات قائمقام بيت الفقيه مصطفى أفندي[5] و الذي تولى قائمقامية قضاء بيت الفقيه سنة 1307 هـ (أغسطس 1889 – أغسطس 1890) و كان مجلس قضاء بيت الفقيه المنتخب ما زال منحلاً[6] و رأى مصطفى أفندي أن الوقت قد حان بعد عزل عثمان نوري من أجل نقض الاتفاق السابق ، فحاول الاحتكاك بالزرانيق من خلال التضييق على أفرادها ثم تطاول فسب أحد عقالها[7] مما أدى إلى تأجيج الثورة في ذي الحجة 1307 هـ أي بعد ارتحال الوالي السابق عثمان نوري باشا بشهر واحد ، فكانت هذه الثورة في أوائل شهر ذي الحجة سنة 1307هـ (يوليو 1890) فقد " دخل الناس في عيد الأضحى ... و وصل تجار أخبروا بِربشَة – أي ثورة – في تهامة ، و وقع معهم – أي التجار – فيها – أي الثورة – نهب و قتل وأفعال في بعض التجار و المسافرين و قيل أنهم الزرانيق "[8] .

فعمت الثورة وسط تهامة اليمن و حوصرت الحامية التركية محاصرة شديدة في بيت الفقيه ووصلت حتى الحديدة و المراوعة و هوجمت زبيد على يد المقاومة التهامية و الزرنوقية في 28 صفر 1308 هـ (12 /10 / 1890) و محاولة السر عسكر المحافظة عليها[9] .

---

[1] - يمن سالنامة سي 1314 ، صـ380 .
[2] - الجرافي ، المصدر السابق ، صـ29 .
[3] - الواسعي ، المرجع السابق ، صـ273 .
[4] - يمن سالنامة سي 1314 هـ ، صـ380 .
[5] - يمن سالنامة سي ، عربي 1307هـ ، رومي 1305 هـ ، مطبعة الولاية – صنعاء ، صـ105 .
[6] - المصدر السابق .
[7] - لقاء مع العاقل أحمد محمد جمال ، و الفتيني أشرم ، و قاسم مقبل .
[8] - مجهول ، حوليات يمانية ، صـ395 .
[9] - وثيقة عثمانية رقم 108 / 45 تصنيف أوراق يلديز متنوع (Y.M tv) نقلاً عن كتاب من الوثائق العثمانية في تاريخ الجزيرة العربية ، أعداد الدكتور عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم ، مركز زايد للتراث و التاريخ– العين ، الطبعة الأولى ، 1420هـ/2000 ، صـ45.

و كان القائد العام للجيش السابع المتواجد في اليمن قد أرسل إلى السر عـسكر – أي القيـادة العامة – في الاستانة يعلمهم بتمرد وسط تهامة و امتداد الثورة حتى أطراف الحديدة و زبيـد في 26محرم 1308هـ[1] (10 /9 / 1890) ثم أرسل من الحديدة استنجاداً آخـر بـشأن تمرد القبائل في تهامة و اشتداد ضربات المقاومة التهامية للمعسكر العثماني فـي زبيـد فـي 4 / 3 / 1308هـ (17 أغسطس 1890) [2] .

أمام هذا الوضع الخطير و لتسكين الزرانيق و القبائل التهامية المؤازرة لها ، ُأستدعي الوكيل العام للضابطية اليوزباشى محمد أمين آغا ليعين قائمقام قضاء بيت الفقيه [3] و كانت الأوامر أن يهدأ الأمور و يحاول مداراة و محاباة الزرانيق و يخبرهم بأن الدولة العثمانيـة ملتزمـة باتفاقية 1306هـ بين الزرانيق و بينها و كذلك استطاع بحكم إدارته السابقة لزبيد [4] أن يهدأ الوضع و يعود الجميع إلى الهدوء و الاستقرار و تطبيق الاتفاق المسبق .

و من الطريف أن صحيفة " صنعاء " و هي الصحيفة الرسمية الوحيدة التي تعبر عن سـلطة الاحتلال العثماني في اليمن ، لم تجد أي خبر في اليمن أو تهامة عن الزرانيق و بيت الفقيـه إلا خبر وفاة امرأة و بقرتها ، يقول الخبر بعنوان الصاعقة " من الحوادث المحليـة أن وقـت نزول الأمطار يوم الأحد المصادف الثالـث و عـشرين شـهر أيلـول الماضـي (8 / 2 / 1308هـ) لبلدة بيت الفقيه قد ماتت امرأة من الصاعقة و أتلفت بقرة وقت أخـذت المـرأة أيضاً " [5] .

5- الوالي حسن أديب باشا (1308 – 1309هـ)

تولى بعد إسماعيل حقي باشا الفريق حسن أديب باشا " والياً و قومنداناً للمعـسكر الـسابع الهمايوني " [6] فوصل إلى الحديدة في " يوم الجمعة حادي عشر شهر ذي الحجـة الحـرام 1308 هـ (17يوليو 1891) ... و بمعيته أحمد رشدي باشـا – أميـر لـواء الحديـدة – و طابورين من العساكر " [7] و قد ذكرت سالنامة 1314هـ أن " مقام السر عـسكرية – أي القيادة العسكرية – رتبت لليمن ألفان من أفراد الاحتياط و طـابوران منتظمـان مـن كربـد

---

1 - وثيقة عثمانية رقم 108 / 45 تصنيف أوراق يلديز متنوع (Y. M tv) ، المصدر السابق .
2 - المصدر السابق .
3 - يمن سالنامة سي 1308هـ، مطبعة الولاية – صنعاء ، صـ129 .
4 - يمن سالنامة سي 1304 هـ ، صـ180 .
5 - صحيفة صنعاء ، العدد 425 ، السنة الثانية عشر ، 16 ربيع الأول 1308هـ (29 / 10 / 1890) .
6 - يمن سالنامة سي 1314هـ ، صـ381 .
7 - الجرافي ، المصدر السابق ، صـ38 .

و بطارية من المدافع " [1] و لما كانت الثورة قد امتدت إلى أغلب صقاع اليمن و رأت الدولة العثمانية أن اليمن قد انتفضت و أدرك السلطان عبدالحميد ضياع اليمن " فعين صاحب الدولة حضرة الحاج أحمد فيضي باشا الذي لدولته للوقوف التام على جميع أحوال الولايـة اليمنيـة و الذي سلم العام و الخاص أنواع مزاياه و كمال صفات معاليه ... و هو الوالي الأسبق فـي ولايتنا و الوالي ذو المعالي و قومندان العموم بها حالاً مأموراً بمأمورية قومندانيـة العمـوم الجليلة في ولاية اليمن " [2] فوصل الحديدة و انضم مع الوالي حسن أديـب باشـا و أحمـد رشدي باشا و دخلوا صنعاء " في يوم السبت سابع شهر ربيع الأول 1309 هـ (10 أكتوبر 1891) " [3] .

و يتضح من خلال الأحداث اللاحقة أن الوالي حسن أديب باشا كان لا يملك من أمر الولايـة إلا اسمها فكل الأمر و مآله بيد أحمد فيضي باشا ، و رغم محاولة حسن أديب باشا فتح قنوات للحوار مع اليمنيين و لعل ذلك مرده إلى الانتماء القومي للوالي العربي [4] إلا أن محاولاتـه اصطدمت بالقادة العثمانيين و على رأسهم أحمد فيضي باشا و الذين تـآمروا علـى عزلـه ، فعزل هذا الوالي حسن أديب باشا في يوم الاثنين سادس من شهر جماد أول 1309هـ (7 ديسمبر 1891) [5] .

أما الزرانيق ، فحالها حال بقية المقاومة اليمنية ، فقد ثارت ضد الوجود العثماني ، لعـدم التزام القادة الأتراك بالاتفاق المسبق بينهما ، فاندلعت الثورة و حوصرت الحامية العثمانية في القلعة في بيت الفقيه ثم فرت مع القائمقام [6] في أواخر عام 1308هـ (1891) ثـم اتجـه الزرانيق بعد ذلك إلى السلك [7] فقطعوه ، و الحقيقة أن قطع الاتصال البرقي و المواصـلات بين الحديدة و تعز كان وسيلة من الوسائل التـي اتبعهـا الزرانيـق كتكتيـك حربـي دائـم ضد العثمانيين و لا تكاد ثورة لهم إلا و قطعوا السلك و قد أصبحت طريقة يحتذى بهـا فـي المقاومة اليمنية ضد العثمانيين ، ففي ثورة 1309هـ يذكر صـاحب(حوليـات يمانيـة) أن "

---

[1] - يمن سالنامة 1314هـ ، المصدر السابق ، و الوشلي ، الذيل " مخطوط " .
[2] - المصدر السابق ، صـ383 ، الجرافي ، المصدر السابق ، صـ63 ، مجهول ، حوليات يمانية 428 .
[3] - المصادر السابقة .
[4] - الجرافي ، المصدر السابق ، صـ77 .
[5] - الجرافي ، المصدر السابق ، يمن سالنامة سي 1314هـ صـ382 .
[6] - لقاء مع من سبق ذكرهم .
[7] - هو خط الاتصال البرقي ربط به الأتراك اتصالاتهم بين صنعاء و الحديدة ثم بقية المراكز ومنها بيت الفقيه و وجد لأول مرة في تاريخ البلاد سنة 1290هـ - 1873 و قد تسنى للأتراك سهولة التواصل بمراكز حامياتهم من ناحية و بالتالي مع الباب العالي (استانبول) بطريق الحجاز و بلاد الشام ، و كانت المصادر التركية تتحدث أن الاتفاق بين انجلترا و الدولة العثمانية على مد خطوط تلغراف في اليمن من الحديدة إلى صنعاء ومنها إلى تعز فالحديدة ومنها إلى زبيد وإلى بيت الفقيه راجع :- الجرافي ، المصدر السابق ، صـ28 " تعليق المحقق " ، و الوشلي ، الذيل " مخطوط " ، د . محمود علي عامر ، اليمن من خلال لائحتي محمد خليل أفندي ، صـ99 .

السلك ... قد قطع جميعه من بوعان إلى عصر و قلعت أخشابه و كسرت البور و كـان لـم يكن في ليلة واحدة لأنهم كانوا يقطعون فيما مضى قطع سليمة و إلا يأخذوا منه من الجـر – أي السلك – قدر ذراعين ثلاثة و هذه المرة لم وقد إلا في أيام فساد – ثورة – الزرانيق فـي تهامة في أيام سابقة فاحتاجوا الدولة للمخرج يوم الـسبت 3 شـهر محـرم 1309هـ ـ (8 أغسطس 1891) "[1] وهكذا ثار الزرانيق و أصبحت بلادهـم خاليـة مـن العـسكر العثمانية و أصبحت بيت الفقيه في عام 1309 هـ (أغسطس 1891) بـدون قائمقـام ، و عومات طبقة تهامية تسكن المدن الساحلية معاملة سيئة و هذه الطبقة هي بعـض التجـار و المواطنين المرتبطين بالأتراك في مدينة بيت الفقيه من قبل هؤلاء القبائل الزرنوقية[2] و قد ذكر ذلك المعمرين من سكان المدينة و كذلك ذكرها الرحالة الإنجليزي هاريس Harris يقـول أباظه نقلاً عنه :- " و يبدوا أن ظهور القوات العثمانية المنظمة كان يؤدي إلى كبت الـشعور العدائي والتمرد في مدن الساحل التي كانت بلا شك موالية للثورة و إن كانت تسكنها طبقة من التجار و المواطنين استطاعوا عن طريق صلاتهم الحسنة بالعثمانيين أن يكونوا في مأمن من عدوانهم ، و قد حصلت طبقة التجارة في الحديدة و مدن الساحل على مركز ممتاز لدى رجال الحكومة العثمانية في الولاية و تمكنوا من شراء حق جباية الضرائب في مناطق معينـة مـن الحكومة كما تمتعوا بامتياز إعفاء بضائعهم من الضرائب لهذا فإن أفراد هذه الطبقة شكلوا فئة سلبية بعيدة عن الصراع و المقاومة الشعبية ضد العثمانيين حفاظاً مـنهم علـى مـصالحهم الخاصة "[3] و بعد قطع الزرانيق لخطوط المواصلات بين الحديدة و تعز و تخريب خطوط البرق (التلغراف) ، قامت المديرية العامة للتلغراف بإرسال استنجاد للباب العالي بما فعلـه الزرانيق " الأشقياء " من تخريب خطوط البرق[4] مطالبة باتخـاذ الإجـراءات الـصارمة لردعهم ، أما قطع الطرق و الاضطرابات الأمنية ، فقد أرسل الوالي حسن أديب باشـا إلـى وزارة الداخلية العثمانية برسالة برقية " بفساد اليمن و أنه مـستعفي إلا تـصاله – أي إلا أن تصله – قوة و خزنة – أي أسلحة – معهم " و بالأخص الاضطرابات الأمنية فـي الحديـدة و صنعاء و تعز[5] .

---

[1] - مجهول ، حوليات يمانية ، صـ346 .

[2] - لقاء مع الحاج يحيى حسن زبري ، و الحاج صغير جلاد ، و الحاج قاسم سطيح .

[3] - أباظه ، المرجع السابق ، صـ136 .

[4] - وثيقة عثمانية رقم 42 / 251 تصنيف أوراق يلـديز الخاصـة (Ya. Hus) بتـاريخ 10 أغـسطس 1307هـ ـ رومـي (1309هـ) ، من الوثائق العثمانية ، المصدر السابق ، صـ49 .

[5] - وثيقة عثمانية رقم86 / 251 تصنيف أوراق يلديز الخاصة (Ya. Hus) بتاريخ 28 أغسطس 1307هـ رومي(1309هـ) ، المصدر السابق ، و مجهول ، حوليات يمانية ، صـ478 .

ثم أرسل ببرقية في نفس اليـوم 28 أغـسطس 1307 رومـي (محـرم 1309 هـ ـ) أن الاضطرابات تزداد بين الحديدة و تعز [1] و هو يشير إلى ثورة الزرانيق ، و انتهت أمـور الزرانيق إلى الاستقلال ببلادهم و تخبط الدولة العثمانية و الولاية العثمانية في اليمن بين جبال و هضاب و صحراء اليمن .

6- الوالي أحمد فيضي باشا (المرة الثانية 1309 – 1316هـ)

تولى الولاية اليمنية أحمد فيضي باشا للمرة الثانية حسب أوامر السلطان عبدالحميد الثاني " في يوم الاثنين سادس شهر جماد أول 1309هـ (7 ديسمبر 1891) أوصل السلك مـن استانبول محل السلطنة وفيه الأمر للوالي حسن أديب باشا برجوعه إلى السلطنة وعزله عـن ولاية اليمن ، وإضافة الولاية إلى القومندان أحمد فيضي باشا مع إعطائه رتبة المشيرية " [2] و كانت الأوامر صريحة من " حضرة مولانا خليفة الرسول الأكرم الأفخم ملك ملوك الـدنيا ولي نعمتنا بلا امتنان الخاقان عالي المقدار سلطاننا فخر السلاطين السلطان (عبدالحميـد) خان الثاني على سرير شوكته و جلالته ما دامت الدنيا فإنه في خلال ذلك أنعم على حـضرة المشار إليه – أي أحمد فيضي - ... بالولاية و بذل قصارى جهده و صرف اشتغاله وهمـه في الضرب و الحرب و استثبات الأمن و الراحة " [3] فكـان الأمـر مـا أراده الـسلطان عبدالحميد و ظل خلال فترة ولايته الطويلة و التي استمرت ستة سنوات و ستة أشـهر فـي حروب شاملة و لم تهدأ الأمور إلا لتعود للثورة . فأحمد فيضي " أقسى والي عرفه اليمنيـون بل حتى الأتراك العاملين في اليمن " [4] فقد " عاث – في اليمن – و ظلم و أخذ أموال الناس بالباطل و فعل أموراً شديدة " [5] و لما عزل في محرم 1316هـ ـ (مـايو 1898) غـادر و معه " جميع أثقاله التي جمعها في هذه السنين من أموال عباد الله تعـالى ... و مـا كـان المؤمل أن يذهب بغير إذن لما كان قد صنع من إخراب اليمن و الإضرار بأهله ، فإنه ما من بيت في اليمن إلا و قد دخله الخوف منه و من أعوانه " [6] .

فقد كانت الثورة في أوجها عند نزول أحمد فيضي باشا و معه قوات قدّرها كتلوف بـ " سبعة آلاف جندي " [7] في حين تقدر المخابرات البريطانية القـوات التركيـة ككـل فـي الـيمن

[1] - وثيقة عثمانية رقم 51 / 251 تصنيف أوراق يلديز الخاصة (Ya. Hus)، المصدر السابق .
[2] - الجرافي ، المصدر السابق ، صـ76 .
[3] - يمن سالنامة 1314هـ ، صـ391 .
[4] - الجرافي ، المصدر السابق ، صـ162 ، 172 .
[5] - الجرافي ، المصدر السابق .
[6] - الجرافي ، المصدر السابق ، صـ 173 .
[7] - كتلوف ، المرجع السابق ، صـ81 .

بـ " 40.000 جندي تركي في اليمن " [1] و هذه القوات إلى جانب ما جاء مـن " الأسـلحة التركية الحديثة و تدرب الجنود الأتراك على أحدث وسائل الحرب " [2] هي التـي عـززت الوجود العثماني في اليمن و جعلت المقاومة و كأنها انتهت .

و كان رديف كل ما سبق ، الأسلوب الذي اتبعه المشير أحمد فيضي باشا و الـذي غطـاه بمباركة الدولة العثمانية و على رأسها عبدالحميد الثـاني ، حيـث اتبـع أسـلوب الترغيـب و الترهيب و أسلوب فرق تسد ، و من الأساليب هذه أسلوب " إفساد صفوف الثوار ، حيـث رشا فيضي باشا شيوخ القبائل ووعدهم بالعفو العام و قضى بوحشية على من لم يخضع لـه و عند قمع الانتفاضة دمّر الأتراك حوالي 300 قرية و أهلكوا سكانها " [3] وعمـد أحمـد فيضي إلى " إعلان الأحكام العرفية – في اليمن – التي كانت تعني تعطيل جميـع القـوانين في الولاية . كما أعلن الوالي العثماني منح جائزة لكل من يحمل إليه رأس أحد مـن الثـوار اليمنيين ، و أباح لقواته الإغارة على القرى اليمنية و نهبها إذا ما تمردت و أعلنت الثورة من جديد " [4] و أذا كان هذا حال المشير أحمد فيضي باشا مع الثورات اليمنية عامة ، فحاله مع الزرانيق خاصة و الذين يبادلونه الشعور بالكراهية و الثأر ، و يتوجس كل طـرف اللحظـة المناسبة للانقضاض على الأخر ، و لإدراكه الراسخ بفشل نجاعـة الحلـول الجزئيـة مـع الزرانيق ، فـ " لم تخبؤ المقاومة المستميتة للحملات التأديبية في الأراضي المتبقية من الجبل و من منطقة بيت الفقيه (تهامة) " [5] ، فالزرانيق ثاروا و " لـم تفـد بعـض النجاحـات العسكرية الجزئية للقطاعات التأديبية العسكرية التركية في وقف استشراء الانتفاضـة " [6] ، و هنا رأى عدم الجدوى من الحملات التأديبية ، فنزل بنفسه في " يوم السبت ثالث عشر مـن شوال 1310 هـ (29 ابريل 1893)عزم المشير أحمد فيضي باشا للدّورية إلى تهامة " [7] و نزل إلى تهامة و معه " بنادق كثيرة و مؤنة بارود و رصاص " [8] إلى جانب عددٍ مـن المدافع الكبار تتجاوز بين ثمانية إلى عشرة مدافع من أكبر المدافع [9] و الغرض من إنزالها غير معروف إلا أن ثورة الزرانيق في تهامة أقلقته و أخافته و ليس لدى المؤلف أي وثـائق أو معلومات حول تلك العدة و تلك الزيارة المفاجئة لتهامة إلا استنتاج واحد وهو القضاء على

---

[1] - (22035) 353/ 371 . F . o نقلاً عن الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية لنجدة فتحي صفوة ، جـ1 ، صـ 133 .
[2] - أباظه ، المرجع السابق ، صـ 138 .
[3] - لوتسكي ، المرجع السابق ، صـ431 .
[4] - أباظه ، المرجع السابق نقلاً عن هاريس Harris ، صـ140 ، و هذا ما حدث به الباحث المعمرون و الرواة .
[5] - كتلوف ، المرجع السابق ، صـ81 .
[6] - المرجع السابق .
[7] - الجرافي ، المصدر السابق ، صـ 103 ، و مجهول ، حوليات يمانية ، صـ586 .
[8] - مجهول ، حوليات يمانية ، صـ587 .
[9] - مجهول ، المصدر السابق ، صـ587 – 598 .

ثورات تهامة و على رأسها الزرانيق ، فقد " امتدت الانتفاضة إلى أنحاء عـدة مـن تهامـة خصوصاً وادي ذمار – أي وادي رمع – و به مدينة الحسينية [1] حيث أبدى السكان مقاومة باسلة تجاه القوات التركية " [2] .

فمما سبق يتضح أن الوالي أحمد فيضي باشا نزل إلى تهامة بغرض إخماد ثورة الزرانيـق أو لمحاورتهم و الوصول إلى تسوية ما ، و كانت مدينة بيت الفقيه قد خرجت عـن سـيطرة القوات العثمانية و هرب القائمقام و معه الحامية المكونة من طابورين و المـوظفين التـرك إلى الحديدة ، و عندما نزل الوالي إلى تهامة " فعل الوالي ما شاء الله و مر على بيت الفقيـه و زبيد [3] و دخل في موكب ضخم إلى مدينة بيت الفقيه و أستعرض قواته و أسلحته أمـام المواطنين و ألقى كلمة أعلن فيها العفو العام و دعا إلى الهدوء و السكينة [4] و مكـث فـي تهامة شهرين تغيب في أثناءها عن توديع الحجاج اليمنيين في صنعاء و بعد سقوط بيت الفقيه في يد العثمانيين ، أعادت السلطات العثمانية قبضتها الحديدية على المدينة و أعادت القائمقـام الفار إلى الحكم من جديد و معه الموظفين الترك و فرضت حظر التجوال و بقيـة القـوانين العرفية ، في حين اشتدت المقاومة في المدينة و نصبت الكمائن للقوات العثمانية في الطرقات و في حارات و أزقة المدينة ، و عند إعادة القائمقام الفار رجع إلى ممارسة أسلوبه القديم في الارتشاء و الفساد ، و سكن القادة العسكريون و الموظفون الترك في المدينة في حي خـاص بهم إلى جانب حي الأشراف و القضاة البهاكله ، فكان الحي التركي أرقى الأحياء ارستقراطية و ضم مجمعاً حكومياً كاملاً شمل دوائر الحكم المحلي و مقر القائمقامية و السجن [5] ومقـر البريد و البرق (التلغراف) [6] و أسفله مخبزاً للقوات التركية و مقراً للمخابرات العـسكرية و سجناً سرياً ، و مقراً لقيادة الضبطية و ما تحتها من الجندرمـه و الـسواري و الهجانـة و التوابع [7]

1 - الحسينية : إحدى أهم معاقل الزرانيق في الطرف اليمن على وادي رمع .
2 - كتاوف ، المرجع السابق ، صـ82 .
3 - مجهول ، حوليات يمانية ، صـ586 .
4 - لقاء مع الحاج يحيى حسن قاسم زبري ، و الحاج صغير جلاد ، و يحيى عبدالله العمري .
5 - السجن بني في عهد الأشراف ثم رمم ووسع في عهد الأتراك و يدعى بالسجن الشريف و ظل يعمل حتى سنة 2000 .
6 - ضم مبني البرق و البريد ، في الطابق الأعلى التلغراف و البريد و في الدور الأرضي مخبز للقوات التركية و سـجن سـري مورست فيه أعنف أعمال التعذيب و لا يخرج منه الشخص إلا أعمى أو مصاب بعاهة دائمة و يحكى أبناء المدينة المعمرين عنـه فضائع و فضائح . و ضم المبنى أيضاً مقر للمخابرات السرية و حولت إلى مدرسة خاصة في سنة 2006 .
7 - الضبطية و هم آمروا الجندرمه و السواري و التوابع و هم أعلى رتبة عسكرية وقد تم اختيارهم جميعاً من أبناء تهامة في عهد الوالي إسـماعيل حقـي باشا سنة 1295 هـ (1878) و كانت مهمتهم تتركز في حل الانتفاضات و قمع التمردات و حمل الأوامر الإدارية من الموظفين الترك إلـى الأهـالي و تسهيل مشاكل جمع الضرائب الصعبة و جمع المعلومات للمخابرات و المباحث العامة و المحافظة على أمن الأسواق و نقل الرسائل و مرافقـة المـسافرين الرسميين كحراس خاصين و حراسة الحملات الحكومية و البريد الحكومي ، و في تهامة كانت هذه القوة أيضاً من قوميات متعـددة ، فهنـاك الـسوداني و الدارفوري و لها فرع في باجل و بيت الفقيه و يركبون الجمال المسرجة (الهجانة) لأن هذا يناسب سهل تهامة بشمسها المحرقة و بعضهم يركـب البغـال التي معظمها حبشية أو صومالية (سواري) و ايضاً هناك فرق (التوابع) و (بيادة) " راجع معلومـات مفـصلة عـنهم فيمـا يلـي :- العزيـر ، التشكيلات المركزية العثمانية ، صـ263 – 270 - Bury . Arabia infelix . p. p . 167 – 171 . .

و مقراً للسركال [1] و آخر للجمرك [2] و ضم الحي التركي مكتب الرشدية وعنبر ومكتـب المالية و مسجداً وحديقة ومقبرة و منازل القادة العسكريين و الموظفين الترك و التي تميزت بنمط معماري عربي تهامي تركي و بتناسق رائع و تنظيم للمساكن ، و لكن ما ميـز هـذا الحي هو الكازينو Casino [3] و هو ما جعل المواطنين يسمون الحي التركي بالقازينه [4] .

و أمام عودة مظاهر الفساد و الارتشاء و الظلم و مظاهر البذخ ، كان لابد للمقاومة أن تستمر و اتبعت أسلوب نسف المساكن العثمانية و الاغتيالات و الكمائن و شد إزرها عـودة ثـورة الزرانيق بقوة و قطعهم الطريق و السلك [5] بل و مهاجمة الدوريات البحرية العثمانيـة فـي البحر الأحمر [6] و هذه العمليات أزعجت القيادة العسكرية العثمانية ، فأرسل الـوالي أحمـد فيضي باشا إلى القومندانية في الحديدة و متصرف الحديدة أدهم باشا [7] بالنزول الميداني إلى بيت الفقيه ، فنزل المتصرف أدهم باشا و رأى القائمقـام و المـوظفين الأتـراك منغمـسين في الفساد و الارتشاء ، فعزلهم و حولهم إلى التحقيق و نزلت صحيفة صنعاء بالخبر التـالي فتقول : " وقع الإشعار على لسان البرق من طرف ذي العزة أدهم أفندي متصرف الحديـدة ، المتجول دوراً و تفتيشاً في القضاء – بيت الفقيه – أنه كف أيدي كل من قائمقام قضاء بيـت الفقيه عن مصافات لواء الحديدة و مدير مالية عن الأشغال مبنياً على ما تبين من سوء حالهم ، و صار ذو الرؤية نجيب أفندي قائمقام قضاء الزيدية سابقاً مأموراً بتحقيق هذا الحال و عين بوكالة القائممقامية رفعتلو صالح بك قائمقام باجل سابقاً ، و الذي يناسب بمديرية المـال فهـو على وشك التعيين و سوف نكتب نتيجة هذه القضية " [8] .

---

[1] - السركال أو السركي و هو مكان دفتر توقيع الموظفين عند دخولهم إلى مكان عملهم أو خروجهم منـه راجـع : - القاضـي إسماعيل الأكوع ، كلمات تركية مستعملة في اليمن ، تعقيب العالم التركي فكري طونا ، مجلة الإكليل ، السنة الثالثة – العدد الأول – خريف 1406 هـ - 1985 ، صـ53 .

[2] - الجمرك و جمعها جمارك و هو المكان الذي يتحدد فيه ما يلزم أخذه على التاجر من مال (المكوس) مقابـل مـا اسـتورد أو يصدر من بضاعة ، الأكوع ، المرجع السابق .

[3] - يذكر بيري Bury الكازينو في اليمن فيقول : " و هناك شوارع بها أماكن تزعم أنها مقاهي وهي ملتصقة بالبازار العربي – أي السوق – و غالباً ما يأتيها الأتراك و هي معروفة عندالعرب بوجه عام باسم الكازينو و في هذه المقاهي يستطيع الشخص الذي تعود على ارتيادها أن يحصل على شراب أقوى من القهوة – يقصد الخمور – بالرغم من تحريم الشريعة الإسلامية لها " و هذا ما يذكره الأهالي حتى الآن ، فالكازينو لم يكن إلا حانات لبيع الخمور و الاستمتاع بالرقص و الغناء و الموسيقى – راجع اللقاءات السابقة مع المعمرين و أيضاً

- Bury . Ibid . P . 80 .

[4] - القازينة هو الاسم الحالي للحي التركي و اشتق مسماه من الكازينو كما يقول الأستاذ محمد فرج بوطة و هو عالم لغوي موسوعي في المدينة ، و يرجح الباحث أن الاسم اشتق من الاسم العربي لقاء الزينة أي مكان تجمع الناس للأعياد و الأفراح حيث ما زال أطفال المدينة كلهم يذهبون في الأعياد إلى القازينة لشراء اللعب و اللعب و انتهى الكازينو بما ضمه من حانات و بارات و أماكن للفساد الأخلاقي بنهاية الترك .

[5] - وثيقة عثمانية من الأرشيف العثماني ، صورة منها في المركز الوطني للوثائق بصنعاء في المجموعة الثانية رقم الملف 16 و مسلسلها رقم 6 و سوف تذكر لاحقاً .

[6] - المصدر السابق .

[7] - صحيفة صنعاء ، العدد 557 السنة الخامسة عشرة بتاريخ 15 جماد أول 1311 هـ (24 / 11 / 1893) .

[8] - المصدر السابق .

و هكذا عزل القائمقام و مدير المالية و كونت لجنة تحقيق برئاسة نجيب أفندي و عين بالوكالة في قائمقامية بيت الفقيه صاحب الرفعة صالح بك و الذي كان قد ولي سابقاً بيت الفقيه في 1305هـ [1] و تم تعيين مدير للمالية ، و في نفس صحيفة صنعاء و نفس العدد تصدر الأوامر السلطانية بإعادة بناء الخطوط التلغرافية حيث " أفاد مفاد تذكرة وردت إلى مطبعتنا من جانب مدير تلغراف اليمن الأول و البوسطة – البريد – أنها اقتضت الارادة السنية السلطانية كون دعايم الخطوط التلغرافية في الخطة اليمنية حديداً و أخذت الأعمدة و صنعت في أوربا بمعرفة نظارة – أي وزارة – مكتب البوسطة العالية ... و شرع ركز و نصب تلك الأعمدة من بيت الفقيه إلى زبيد بمعرفة حسن آغا الجاوش الأول و سيبدل أيضاً كل ما كان من الدعايم الأخشابية الباقية بعد وصول البواقي من الأعمدة الحديدية إلى شيخ سعيد " [2] .

فقد دمر الزرانيق الأعمدة الخشبية و كل خطوط الاتصال و قطعوا الطرق و أصدر السلطان عبدالحميد أوامره لاستبدال الأعمدة الخشبية بأعمدة حديدية اعتقاداً منه أنه سيحد من قطعها و لكن كل ذلك لم يجدي نفعاً ، ووجد أدهم باشا نفسه في بيت الفقيه محاصراً أمام الزرانيق الذين أحاطوا بالمدينة و هرب أدهم باشا بنفسه من بيت الفقيه بعد لبس الشيدر [3] و عند وصوله إلى الحديدة أعلم الوالي أحمد فيضي باشا أن بيت الفقيه ثائرون و يجب من إعداد القوات الكافية لقمعهم و تأديبهم و تربيتهم [4] .

و رأى المشير أحمد فيضي باشا أن الفرصة مواتية لضرب الزرانيق و التنصل من الاتفاق السابق بين الدولة العثمانية و الزرانيق و هذا أيضاً ما أراده متصرف الحديدة أدهم باشا و الذي عرض عليه المشائخ و هو في بيت الفقيه العودة إلى الاتفاق السابق فرفض [5] فأعد أحمد فيضي المؤن و الأسلحة و أرسلها إلى الحديدة وولى أدهم باشا متصرف الحديدة ليقود المعارك ضد الزرانيق و طلب إخضاعهم و تربيتهم ، فاتجه أدهم باشا بقواته إلى بلاد الزرانيق من الحديدة و أخضع القبائل المجاورة للزرانيق و أجبرهم على تجنيد رجال هذه القبائل في قواته ضد الزرانيق فـ " وصل القائد الأدهم إلى قرية المحوا [6] من بلد الوعارية بجانب الطرف الشامي من الزرانيق في الجهة القبلية الشرقية ، فطلب الزرانيق ، فمنعوا من

---

1 - يمن سالنامة سي 1305هـ ،ص 76 .

2 - صحيفة صنعاء ، المصدر السابق .

3 - لقاء مع الحاج عبدالله يحيى العمري ، و الشيدر أو الشادور هو حجاب المرأة التهامية و يتكون من قطعتين و خنه و يغطي جميع جسم المرأة فلا يظهر منه شيء .

4 - اللقاءات السابقة .

5 - المصادر الشفوية السابقة .

6 - المحوا : قرية في شمال شرق بيت الفقيه تقع بين خط طول 26̅ و 43° و دائرة عرض 39̅ و 14° و بها قلعة تركية و هي ذات موقع مرتفع استراتيجي مطل على بلاد الزرانيق .

إجابته ، لأن الأنباء زفت إليهم بأنه يريد اعتقالهم كما فعل محمد أمين مع الشيخ يحيى هبه فاشق ، و لما منعوا جمع كل القبائل المجاورة للزرانيق و هي :-

1- قبيلة الوعارية 2- قبيلة المناصرة 3- قبيلة الرامية

4- قبيلة العبسية 5- قبيلة القحرى

و تقدم لحرب الزرانيق ، و قصد قرية الجنبعية [1] شرق الطرف الشامي ، و هدفه القبض على رئيس الزرانيق آنذاك عبدالله حسن معروف [2] وزعيمها الوحيد الذي لا يصدرون إلا عن رأيه ، فالتقاه عبدالله حسن معروف بجمع عظيم من الزرانيق من الطرفين و التقى الجيشان ، و استمر القتال من صلاة الصبح حتى غروب الشمس ، و انهزم الأدهم و من معه من القبائل و الجيوش و فرت كل قبيلة إلى بلادها خوفاً و جزعاً مما لاقوه من فتك الزرانيق – فيما بعد – وعاد الأدهم مكسوراً تصحبه الخيبة و بلغ عدد القتلى من الأتراك الغازية ألف و خمسمائة قتيل ، و الزرانيق سبعين شهيداً ، ما عدا الجرحى و عددهم مائة و خمسين جريحاً " [3] .

ما زال الزرانيق يذكرون هذه المعركة و يسمونها بـ " يوم الجنبعية " ، و بعد هذه الهزيمة النكراء أرسل أدهم باشا إلى المناصب و هو يعرف تأثيرهم على الزرانيق و لعل ذلك ما تعلمه من تجربة محمد أمين آغا أو أوعز إليه بعض عملائه من التهاميين و العرب بطلب المناصب ففعل و هو في المحوى ، فقد " بقي الأدهم في المحوى يطالب بعبدالله حسن معروف و مشائخها – أي الزرانيق – فسعت المناصب فيما بين العثمانيين و الزرانيق على أن ترسل الزرانيق مندوباً عنهم ، فتشاور الزرانيق فيما بينهم ، فاتفقوا على أن يرسلوا أحدهم و هو علي عياش المشيخي نائباً عنهم و كان رجلاً تاجراً يحب الخير ، فاتفق مع الأدهم على وصول الزرانيق إلى الأدهم في بيت الفقيه بعد أن يدخلها .

أما عبدالله حسن معروف ، فأقنع المشيخي الأدهم بعدم وصوله ، فرضي الأدهم بذلك ، وطلب القائد الأدهم من المشيخي العهد الأكيد بأن يضمن له عدم تعرض الزرانيق له حتى يصل إلى بيت الفقيه و يدخلها بدون قتال ، فتعهد له بذلك ، و وفى الزرانيق بعهد المشيخي ، و دخل الأدهم بيت الفقيه بدون قتل و لا جراح ، و لما استقر في بيت الفقيه وصل إليه المشائخ و هم الجروب حسن معروف شيخ الطرف الشامي و منصر حسن فاشق شيخ الطرف اليماني

---

[1] - الجنبعية أحد أهم معاقل الزرانيق في الطرف الشامي .

[2] - عبدالله حسن معروف شخصية اسطورية و بطل زرنوقي ، تميز بخلال و صفات قلما توجد في شخص سواه و تحكى عنه قصص المروءة و البطولة و الرجولة .

[3] - شبيلي ، المصدر السابق " مخطوط " .

بموجب الشرط الذي تم بين الأدهم و المشيخي ، و عند وصولهما تنازع شيخ الطرف الشامي الجروب حسن مع الأدهم ، فأمر بحبس المشائخ ، فاعتبرت الزرانيق هذا الحبس غـدراً مـن الأدهم " [1] و اعتقد أدهم باشا أنه يستطيع الانتقام من الزرانيق و ما فعلوه فيه ، و أراد أن يرسلهم إلى جزيرة رودس [2] أو الاستانة و ينهي أمرهم ، و عندما أدرك الشيخ الجروب حسن مرماه ، رفع صوته معيراً إياه بأنه خرج في المرة الأولى من بيت الفقيـه " كالحرمـة و المكلف أما في هذه المرة فلن تخرج و لن ترى أبناءك أو حرمتك " [3] و قد أراد أدهـم باشا أن يهجم على الشيخ الجروب حسن فصده الشيخ منصر حسن فاشق و قيل أنه ضـرب الأدهم باشا ضربة أقعدته و جعلت الرغو يخرج من فاه [4] و عنـدما علـم عبـدالله حـسن معروف و مقادمة الزرانيق ما حدث في الاجتماع و نية الأدهم و كـان لهـم جواسيـسهم ، أرسلوا إلى كل زرنوقي أن يأتي حول بيت الفقيه في وقت معلوم لديهم [5] .

و لمواجهة الموقف فقد " سرت – بين الزرانيق – الرسل فيما بينهم ، و مـا كـادت تـشرق الشمس حتى أحدقوا ببيت الفقيه و حاصروا الأتراك فيها و على رأسهم الزعيم عبدالله حـسن معروف و الذي لم يذعن للدخول إلى الأدهم ، و قطعوا المدد عن الأتراك و منعـوا الـداخل و الخارج و قطّعوا – بتشديد الطاء – أسلاك السلك السرية للمخابرات و ما فُك الحـصار إلا بإطلاق المشائخ " [6] .

و كانت أخبار ثورات الزرانيق و حروبهم مع الدولة العثمانية قد انتشرت و شاعت في تهامة و اليمن ، و تحركت القيادات الوسطية القريبة من الأتراك و من القبائـل التهاميـة و مـنهم المجلس البلدي للحديدة برئاسة السيد أحمد بن يحيى شراعي و الذي كان مقرب من الـسلطات العثمانية و محبوب من قبل الزرانيق فـ " توسط في النزاع و تم الـصلح علـى أن تكـون الشروط التي جرت بين القائد محمد أمين سارية المفعول فيما بين الزرانيق و الأدهم " [7] .

---

[1] - شبيلي ، المصدر السابق " خط " .

[2] - رودس Rhodes إحدى جزر الأرخبيل اليوناني ، تقع بالقرب من الساحل الغربي الجنوبي من تركيا الآسيوية و قد دخلت في ممتلكات الدولة العثمانية و كانت مركزاً بحرياً هاماً و إليها كان ينفى قادة المقاومة و المعارضة العرب و منهم اليمنيون سواء فـي سجنها أو بها تحت الاقامة الجبرية و الرقابة المشددة – الجرافي ، المصدر السابق ، صـ100 (تعليق المحقق) .

[3] - لقاء مع علي عبدالله جربوح و أحمد الجروب معروف .

[4] - لقاء مع سعد علي حكيمة و قاسم سطيح .

[5] - اللقاءات السابقة .

[6] - شبيلي ، المصدر السابق .

[7] - المصدر السابق .

و من ثم نشر خبر تعيين صالح بك قائمقاماً لقضاء بيت الفقيه [1] و لأول مرة يـتم اختيـار مجلس إدارة قضاء بيت الفقيه ، حيث تم اختيار صالح بك كرئيس لهذا المجلـس و عـضوية طبيعية حكومية وهم :-

1- نائب القائمقام السيد محمد سليم أفندي .

2- مدير المالية أفندي .

3- كاتب التحريرات أفندي .

أما الأعضاء المنتخبون من قبل أهالي مدينة بيت الفقيه فهم :-

1- عبدالله عمر صالح أفندي .

2- السيد علي حلبي أفندي . [2]

و هذه المكاسب للزرانيق و للمقاومة و لأهالي مدينة بيت الفقيه لم ترضي القيـادة العـسكرية العثمانية .

- القيادة العثمانية ترفض

لكن الاتفاق بين أدهم باشا والزرانيق رفضتها القيـادة العـسكرية العثمانيـة فـي الـيمن (المشيرية) و قد اتفق الوالي أحمد فيضي باشا مع وكيله المشير عبدالله على إرسال حملـة عسكرية ضخمة بقيادة أركان حرب القائم مقام سعدي بك و معه طابور كما تم إرسال قـوات تركية متعددة من الحديدة و من جبل ريمة تقدر بطابورين و كل ذلك من أجل تأديب و ضبط الشقاة الزرانيق و لتأمين الطريق بين الحديدة و تعز و لفرض هيبة الدولة العثمانيـة و أخـذ الرهائن من عقال و مشائخ الزرانيق .

و قد حصل المؤلف على وثيقة هامة من الأرشيف العثماني و هي ضمن ملفات المخابرات في الباب العالي و تتبع الصدر الأعظم – قلم شيفرة ، و هي برقية من ولاية اليمن و سرية للغاية مرفوعة من الوكيل المشير عبدالله [3] و يذكر في هذه الوثيقة " أن قبيلة الزرانيق الموجـودة داخل قضاء بيت الفقيه تقوم منذ فترة بعيدة بالتعدي على الطريق الرئيسية بين الحديدة و تعـز

[1] - صحيفة صنعاء ، العدد 575 في 19 ذي القعدة 1311 هـ (24 / 5 / 1894) .

[2] -يمن سالنامة سي، عربي 1311هـ ، رومي 1309 هـ ، مطبعة الولاية – صنعاء ، صـ161 .

[3] - المشير عبدالله باشا هو الذي سيصبح فيما بعد والياً على اليمن و يشتهر بالفساد و بحروبه مع الزرانيق ، و قد كان في سـنة 1311هـ (يوليو 1893) وكيلاً للمشير أحمد فيضي باشا ثم قائداً عسكريا للقوات التركية في اليمن ، راجع الجرافي ، المـصدر السابق ، صـ172 .

و تتعرض للأموال التجارية و تنهبها حتى أنها تقوم بنهب الأموال الأميرية [1] ، و قد حدثت مواجهات بين الجنود العثمانيين و أفراد القبيلة و قُتل و جرح الكثير من الضباط و الجنود " [2] ثم يذكر هجوم الزرانيق على الحامية العسكرية في بيت الفقيه و طردها مـع القائمقـام و الموظفين الترك " و أخيراً قام رجال القبيلة بالهجوم على مركز قضاء بيـت الفقيـه " [3] و يدعو إلى حلول عاجلة و منها إرسال قوات ضخمة مع أخذ رهائن من المـشائخ و العقـال ، فيقول " و لذلك أصبح من الضروري إرسال قوات كافية لحماية الطريق و منـع التعـديات عليها و أصبح ضروري إجبار القبيلة بأخذ رهائن منهم للتأثير على قسم من العقال – المشائخ – في المنطقة " [4] فهذه مقترحاته و هي " بالضرورة تدابير حكيمة و وسائل ممكنة للحد من الزرانيق و تسكين شقاوتهم " [5] ، ثم يقول " و من الأسبوع الماضي يقطع خط التلغراف بين الحديدة و تعز و تنهب الأموال التجارية " [6] ثم يذكر محاصرة الزرانيق لبيت الفقيه بعـد أن أخذ أدهم باشا متصرف الحديدة مشائخ الزرانيق رهائن و أراد نفيهم إلـى جزيـرة رودس أو الاستانة فقال ما يلي " و محاصرة الزرانيق لبيت الفقيه بالمسلحين من جميع الجهات " [7] و يحرض الدولة العثمانية على مهاجمة الزرانيق و تأديبهم فقال " وهذه الأعمال تؤثر على هيبة الدولة العلية و تشجع القبائل الأخرى على القيام بنفس الأعمال السالفة " [8] ثم يذكر ما قررته القيادة العسكرية بقيادة المشير أحمد فيضي باشا والي اليمن و رئيس القيادة العسكرية بـاليمن ووكيله المشير عبدالله باشا و القادة العسكريين في اليمن فيقول : " و قد تقرر أن يتم إرسـال أركان الحربين القائم مقام [9] سعدي بك و رفاقه القادة إلى بيت الفقيه بصحبة طـابور و تـم

---

[1] - الأموال الأميرية و يقصد بها كل أملاك و ضرائب الحكومة أو ما يخص الحكومة ، و يقصد بالأملاك الأميرية أو ما تـسمى عند الزرانيق بالميرية و هي الأملاك التي سيطرت الدولة التركية عليها و هذه الأملاك هي أملاك الأشخاص و الأمراء و الأعيان و العلماء الذين رفضوا إعلان تبعيتهم للدولة العثمانية ، و هي أراضي للزرانيق سيطرت عليها الدولة العثمانية و تقع فـي شـمال شرق الحسينية و في شرق بيت الفقيه و قد بسطت الدولة الإمامية الزيدية عليها اليد و لم تعدها إلى الزرانيق و بعد قيـام الثـورة 1962 لم تعد لهم أيضاً و هذه من مظالم الاستبداد . و رد الاعتبار للزرانيق بعودة هذه الأراضي إليهم و التي تعد مـن أخـصب الأراضي لأنها بالقرب من وادي رمع ، راجع بشأن المصطلح : -

1- تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار للدكتور خليل إينالجيك ، ترجمة د . محمد . م . الأرناؤوط . دار المدار الإسلامي – بيروت ، الطبعة الأولى ، 2002 ، صـ340 .
2- د . محمود علي عامر ، المرجع السابق ، صـ99 .

[2] - الوثيقة في الأرشيف العثماني باستانبول و توجد صورة منها في المركز الوطني للوثائق بصنعاء و رقمها في المجموعة الثانية رقم الملف 16 و مسلسلها رقم 6 ، و قد تكرم الدكتور فؤاد عبدالوهاب الشامي بترجمة مضمونها للباحث فجزاه الله خيراً . (أنظر ملحق رقم9) .

[3] - الوثيقة السابقة .

[4] - الوثيقة السابقة .

[5] - الوثيقة السابقة .

[6] - الوثيقة السابقة .

[7] - الوثيقة السابقة .

[8] - الوثيقة السابقة .

[9] - الوثيقة السابقة .

إرسال قوات من الحديدة و من جبل ريمة تقدر بطابورين و ذلك لحمايـة المنطقـة و ضـبط الأشقياء "[1] و يطلب في أخر الرسالة " و هذا يحتاج إلى أموال كثيرة يمكن أن يتم توفيرها بطرق مختلفة "[2] و مؤرخة هذه الوثيقة 28 حزيران 1309 رومي ووصلت في يـوم 30 حزيران 1309 رومي (1893) الموافق محرم 1311 هـ .

- الزرانيق و سعدي بك

يرسم الزرانيق للقائمقام سعدي بك صورة جميلة في المرة الأولى و هم يعتقـدون أنـه جـاء بجيوش جرارة من السلطنة العثمانية من أجل إصلاح الأوضاع التهامية و يـصبغون ألوانـاً متعددة في رسمه ووسمه بالخيرية و الإصلاح و أنه أحسسهم بالمواطنة و عين عليهم مرجعاً و حكماً منهم و هو عبدالله حسن معروف و مهمته حل أي إشـكال بـين الدولـة العثمانيـة و الزرانيق و كذلك التزم سعدي بك بإعادة الاتفاق الأول الذي كان بين الزرانيق و محمد أمين بك [3] تقول مصادرهم المكتوبة " و لما بدل أدهم باشا القائد سعدي بك جاء مـن الاسـتانة بجيش عظيم ، و كان ذو سياسة و حنكة و طبع سليم و لما وصل إلى الحديدة ، فطلب مشايخ الزرانيق "[4] و قد طلبهم بواسطة المنصب السيد أحمد بن يحيى شراعي رئيس بلدية الحديدة و لم يأتوا إلا بورقة أمان أعطيت لهم [5] فدخلوا الحديدة مع السيد أحمد شراعي " فـأكرمهم وأمرهم بالبقاء على ما هم عليه حسب الاتفاق مع القائـد محمـد أمـين بواسـطة الهجـرة (المشرعي) و هذا هو مطلبهم و سبب ثوراتهم الدائمة ، و بعد ذلك توجه إلى بيـت الفقيـه " و دخل بيت الفقيه مصحوباً بالسلامة ، علماً أن غيره كان لا يدخلها إلا بعد قتـال و أسـر و جراح كما سبق "[6] ثم يذكرون أنه حكم ست سنوات في عدل و رخاء ... ! .

فقد " مكث في بيت الفقيه نحو ست سنين و لم ينازعه أحد ، يكرم الناس و يجلهم ، و النـاس في أمن و سلام و رخاء ، و أشتهر بالعدالة و حسن التدبير ، ثم جعل عنه وكيلاً وكان عبدالله

---

[1] قائم مقام : رتبة عسكرية و يقابلها العقيد في الاصطلاح العربي الحديث ، كما أنها كانت تطلق في العهد العثماني على العامل و معناها قائم مقام الأمير ، و يقصد في الوثيقة الرتبة العسكرية ، راجع : إسماعيل الاكوع ، المرجع السابق ، صـ54 .
أما سعدي بك فهو قد تولى منصب قائمقام لعدة أقضية واحد القادة العسكريين في اليمن و الذين لعبوا دوراً في تثبيت الحكم العثماني في اليمن ، و سوف يرجع إلى بيت الفقيه كقائد عسكري .

[2] - الوثيقة السابقة .

[3] - لقاء مع علي جربوح ، و فتيني أشرم ، و يحيى عبدالله العمري .

[4] - شبيلي ، المصدر السابق .

[5] - لقاء مع من سبق ذكرهم آنفاً .

[6] - المصدر السابق .

حسن معروف على قبيلة الزرانيق ، يتولى شئونها ، فأحسن و عدل ، و الأتراك كـسكان لا كدولة " [1] .

و لكن الوقائع التاريخية تقدم ثورة جديدة تمت في محرم سنة 1315 هـ (يونيو 1897) في آخر عهد الوالي أحمد فيضي باشا ، فقد هجم الزرانيق على الحديدة و حاصـروها و قطعـوا الطريق بين الحديدة و تعز و كذا بين الحديدة و صنعاء ، و هذه الثورة كانت عامة في تهامة بسبب الجوع و المجاعة و الأمراض و سوء المأمورين و الموظفين العثمانيين و قـد ازدادت بالجفاف و الأمراض القاتلة في تلك الفترة ، فقد " اشتدت الأمور على جميع الجمهور من قلة المطر و تقطع الأسباب و عدِم المسافرين بسبب قطع الطرقات من تهامة مع الحراف و الشدة بقيوا بدو تهامة يقطعوا الطرق و ينهبوا الحمايل – أي الأحمـال – الخارجـة مـن الحديـدة و نهبوا الصافي حق التجار و بضاعة خارجة أخرى ، أما الأرزاق حق العـساكر فنهبوهـا مرات عديدة مع إنها طعام حاصل دقيق و رز و ذخيرة و انقطع الخارج من الحديدة و النازل إليها مدة شهرين " [2] .

و يتحدث مؤرخ تهامي و هو الوشلي عن معاصرته لسنة 1315هـ فيقـول " و فـي عـام خمسة عشر بعد ثلاثمائة وقع بجهة اليمن – أي الجنوب من الحديدة – قحط عظيم وشدة عامة في الجبال و التهائم ، فعم ذلك جميع البلاد ، و ما نجى منه الأكثر من الحاضر و البـاد ... و اشتد القحط و أكلت الميتات ووقع الموت الذريع في الناس و الـدواب و ارتفعـت أسـعار الطعام و العجور " [3] .

7- الوالي حسين حلمي باشا (1316-1318 هـ)

و تم في أوائل عام 1316هـ (مايو1897) عزل أحمد فيـضي باشـا ، و أدرك الـسلطان عبدالحميد الثاني أن لا مناص من تهدئة الأوضاع فاختار شخصية عربية شامية لتولي ولايـة اليمن و هو حسين حلمي باشا والياً على اليمن و عين المشير عبدالله باشا [4] على العساكر – أي القيادة العسكرية – في صفر 1316 هـ (يوليو 1897) [5] و هدف السلطان عبدالحميـد لإيجاد الوقيعة بين القيادتين المدنية و العسكرية و يظلان تحت سلطانه ، اشتهر حسين حلمـي بأنه " الصدر المحنك المشهور بعدله و حكمته ، فتح المدارس الصناعية و الإعدايـة و دور

---

1 - المصدر السابق .

2 - مجهول ، حوليات يمانية ، صـ644 .

3 - الوشلي ، الذيل " مخطوط " ، و العجور لفظة يستخدمها التهاميون للإشارة إلى علف الدواب .

4 -العرشي ، المصدر السابق ، صـ78 .

5 - الجرافي ، المصدر السابق ،صـ172 ، و مجهول ، حوليات يمانية ، صـ652 ، ويذكر أن " ودرجته أكبر من حسين حلمي "

المعلمين ... و قضى على الظلم و الرشوة و شرع بإصلاح أمور اليمن إصلاحاً حسناً " [1] و الغى عملية التتريك " و أمر أن من حصلت منه معصية عظيمة من المـأمورين أن يعـزل مما هو فيه و غيرهم يجري فيه الحد و الأدب ... و هو غير محتجب بل يدخل إليه من أراد أن يكلمه بما عرض عكس ما مضى و كتب إلى جميع البلدان بنشر العدل في الرعية و إقامة الشريعة المحمدية " [2] .

و قد توصل المؤلف إلى وثيقة عثمانية من ملفات المخابرات العثمانية محفوظة في الأرشـيف العثماني و أرسلها أحد ضباط المخابرات الخفيين من بيت الفقيه إلى الوالي حسين حلمي باشا تذكر أنه " بناء على التحريرات الصادرة بالشرف من ملجأ الولاية الجليلـة إلـى الملحقـات بتاريخ 24 صفر سنة 316 [1 هـ ـ - 13 يوليـو 1898] تمـوز سـنة 316 أن كافـت المأمورين الملكية و العسكرية ممنوعون في أخذ الرشوات و الهدايا و غيـر ذلـك المخالفـة للعدالت السّنية " [3] .

ثم يذكر أنه " بموجب منطوق شرف التحريرات المار ذكرها بالتوصية الشديدة بإجراء التنبيه الأكيد على كافت المأمورين و المشائخ و عقال الحارات بالاجتناب عن الأحوال السالفة الذكر و إعطاء المعلومات إلى الولاية بالإفادة بوقته و لدى المراجعة بالتنبيهات اللازمة على رأفـت مشهوري قضاء بيت الفقيه من المشائخ و عقال الحارات في كل أسبوع فمـنهم مـن امتثـل و منهم من لا يمتثل " [4] ثم يذكر الكاتب لهذه الرسالة السرية أن الموظفين الأتراك مـدنيين و عسكريين متآمرين و متفقين على أخذ الرشوة و الظلم و أن المحاكم الحقانية بالقضاء تغض الطرف و لا أحد يرسل إلى الولاية لتجنب الثورة و " تكاثر الفساد من أشقياء القبائل – يقصد ثورات الزرانيق – و نفس القصبة – أي المدينة – و صار هلاك جمات فقراء لـم يجـدون لجوابكم حكام تقتضي نجات أحوالهم و استرداد منهوباتهم " [5] ثم إن هذا الشخص يبلغ بأول مأمورية له فيقول : " فأول ما نبلغ مقام سعادت وزارتكم مولانا ، نائب قـضاء بيـت الفقيـه عبدالرحمن مزجاجي [6] بعد وفاة مدته الطبيعيـة للأحكـام الـشرعية اكتـسب الأغـراض و الفسانية لعموم الأهالي و إلغاء أفكاره لمصالح نفسه الذاتية بإخراج القاتلين من حبس خانت القضاء ، و صار يتداخل في جميع الكبائر المخالفة للشرع الشريف و القانون المنيف و مـن

1 - أحمد زكريا ، المرجع السابق ، و مجهول ، حوليات يمانية ، صـ661 ، و الواسعي ، المرجع السابق ، صـ291 .
2 - الجرافي ، المصدر السابق ، صـ169 ، و مجهول ، حوليات يمانية ، صـ649 .
3 - وثيقة عثمانية ، تصنيف مجلس شورى الدولة (S.D) برقم 1 / 2267 (أنظر ملحق رقم 10) .
4 - الوثيقة السابقة .
5 - الوثيقة السابقة .
6 - عبدالرحمن مزجاجي ، موظف تهامي ، خدم الدولة التركية في تهامة و تولى لفترة طويلة منصب نائب قضاء بيت الفقيه .

شدت جسارته لم يقدر أحد الرعايا يتشكى بحقه ، حيث و هـو رجـل جـسور و الرشـوات و الأكلات على يد كاتب المحكمة الشرعية السيد محمد يوسف . و لا بد أن يصار على دفاتره يظهر اختلاس ، و من خصوص النائب المذكور قد قضت مدته و زيادة و هو يقبض معـاش باتمام ... الخ "[1] ثم يذيل بقوله " مخبر صادق سراً خفية (مخابرات) "[2] و قـد كتـب الوالي في الأسفل بضرورة سرعة التحقيق مع وكيل قضاء بيت الفقيـه و غيـره و سـرعة موافاته و ذلك بيد متصرفية الحديدة وأرخ بجانب توقيعه 26 / شباط 1317 هـ [3] .

و مع كل الأعمال الجليلة و الاستقرار التي قادها الوالي حسين حلمي إلا أن المـشير عبـدالله باشا و المفسدين تآمروا عليه و زينوا لعبدالحميد أن الوالي حسين حلمي يريد الاستقلال باليمن وكذلك أهمل السلطان مطالب الوالي و أعرض عنها [4] وعزله في 1318هـ (مايو 1900) .

8- الوالي المشير عبدالله باشا (1318-1320هـ)

تولى هذا الوالي في 1318هـ (1900) و قد عرفه اليمنيون جيداً فهو الذي تولى القيادة العسكرية سابقاً في بلادهم و كانت كلمته هي السائدة و أوامره هي السائرة و هو الـذي نفـى أربعمائة رجل إلى ليبيا بصفة عسكر لكن الوالي حسين حلمي باشا رفض فكتب المشير إلـى الباب العالي فعاد الجواب بإرسال السجناء كعسكر أيضاً فرفع حسين حلمي باشا إلى السلطان عبدالحميد الثاني و أن ذلك من سوء تدبير المشير عبدالله و سيكون سبباً لفساد البلاد ، فرفض السلطان كلامه و عزله [5] .

و مع تولي المشير عبدالله باشا " يرجع الظلم و الارتشاء و كثر الفساد ووقع الجدب و حـدث موت كثير حتى خلت قرى "[6] و كان فيه حب " العظمة و التكبر و التجبر لا يمر إلا و قد مر أمامه ثلة من الخيالة الترك و يأمر العسكر بمنع المارة من الطريق حين يخرج من بيتـه في بئر العزب إلى أن يصل إلى الحكومة بأعلى صنعاء مسافة نصف ساعة "[7] و قد اهـتم بتعمير و ترميم المراكز الحكومية و الحاميات و القلاع ، كما اهتم بشكل خـاص بـالتلغراف و مد أسلاك البرق ، فـ " اهتم عبدالله باشا غاية الاهتمام بمد أسلاك البرق بين عدد من المدن

1 - الوثيقة السابقة .
2 - الوثيقة السابقة .
3 - الوثيقة السابقة .
4 - أحمد زكريا ، المرجع السابق .
5 - الواسعي ، المرجع السابق ، صـ292 .
6 - المرجع السابق ، صـ 293 .
7 - المرجع السابق .

اليمنية ... و هو كجندي يدرك عن كثب أهمية البرق في ربط العاصمة صنعاء بأطراف الولاية و فائدة ذلك في إحكام السيطرة العثمانية على البلاد "[1] .

و علاقة الوالي المشير عبدالله بالزرانيق ترجع إلى عهد الوالي أحمد فيضي باشا عندما كان وكيلاً له في القيادة العسكرية (المشيرية) و كان يحرض ضد الزرانيق و أرسل ببرقيات متعددة و منها الوثيقة التي ذكرت في عهد أحمد فيضي و أوردت في الملاحق ، و هو الذي أرسل في سنة 1317هـ (1899) بـ " مشائخ باجل بني حميده و حسين هلالي و جماعة غيرهم من التهاميين ، و أرسلوا بني حميدة إلى جزيرة رودس و الآخرين إلى طرابلس الغرب و حبسوا هناك "[2] ثم أراد إرسال السيد العلامة محمد بن يحيى الأهدل صاحب المنيرة و السيد العلامة محمد بن حسين الزواك مفتي الزيدية إلى المنفى و التغريب ثم تدخل الوالي حسين حلمي باشا و ألغى ذلك لما يعرف عواقب هذا العمل الأحمق [3] .

و قد طالب في البرقية التي بعث بها إلى الباب العالي أخذ رهائن من مشائخ و عقال الزرانيق و من ثم إرسالهم إلى الاستانة أو جزيرة رودس أو طرابلس الغرب و لكنه فشل أمام صمود الزرانيق و مقاومتهم .

و يلاحظ من خلال الوثائق التي حصل عليها المؤلف و ترجع إلى الأرشيف العثماني وجود ملف بعنوان " قضية قائم مقام بيت الفقيه "[4] و يضم الملف شكاوي ووثائق تتجاوز صفحاته 124صفحة مقدمة من المواطنين ضد القائم مقام محمد راغب بك في سنة 1319هـ (1901) و من خلال تصفح هذه الوثائق و بعضها بالعربي و الأغلب بالتركية إلى جانب التحقيقات التي أجريت مع مسئولي القضاء و مقدمي الشكاوي و من المواطنين و الموظفين الترك ضد القائم مقام و التي تتعلق بقضايا أخلاقية و فساد و رشاوي ضد القائمقام و ضد رئيس إدارة القضاء و كاتب رسوم بيت الفقيه و وكيله ، و تضم أيضاً شكاوي و تذمر من القيادة العسكرية و المخابرات و الجندرمة و السواري من الوضع و من القائمقام و القومندانية في الحديدة حيث و هؤلاء يصيحون " بأننا هلكنا و متنا من عدم القوت الضروري"[5] و أنهم لهم عاماً " و لم يرضى يصرف لنا القائمقام بأرة واحدة "[6] ثم يقولون " فهذا القائمقام لا

---

[1] - أباظه ، المرجع السابق ، صـ153 .
[2] - الوشلي ، المصدر السابق ، حوليات سنة 1317هـ .
[3] - المصدر السابق ، حوليات سنة 1318هـ .
[4] - يوجد هذا الملف بالأرشيف العثماني تصنيف أوراق مجلس شورى الدولة (S.D) ، رقم الملف 69 الوثيقة رقم 1 / 2267 . (يوجد نسخة منه في المركز الوطني للوثائق بصنعاء) .
[5] - المصدر السابق (أنظر الملحق رقم 11) .
[6] - المصدر السابق .

يخاف من الله لوم ، ثم ساعده الملازم عنبر آغا و اتفقا على هلاكنا و جوعنا و نحن قـائمين بوظيفتنا صباحاً و مساء " [1] .

و الملف بشكل عام يمثل وثيقة هامة عن نوعية المسئولين الأتراك و من تعاون معهم في حكم بيت الفقيه ، و التي أدت إلى قيام ثورة زرنوقية جديدة في 1319هـ فـ " في هذه السنة قطع الزرانيق – وهم ثوار أهل البادية في تهامة – السلك البرقي و قطع الطرقات ، فهاجمهم الترك و حصلت معارك شديدة بينها و بين الأتراك ، فتساقطت الأشلاء من الجـانبين كأنهـا أوراق الأشجار في أيام الخريف ، و هذه القبيلة أكثر السنين و هي ثائرة على قطع الطريق و قـد أعجزت الحكومة العثمانية و استفحل أمرها " [2] .

- **الوثائق البريطانية و صراع الزرانيق و العثمانيين من 1318-1320 هـ .**

و قد توصل المؤلف إلى عدداً من الوثائق البريطانية و التـي تـؤرخ لثـورات الزرانيـق و هجماتهم النوعية ضد العثمانيين في عهد الوالي المشير عبدالله باشا و تشير هذه الوثائق إلى أول ظهور لشخصية كاريزمية تهامية و هو أحمد فتيني جنيد [3] ودوره في قيادة المقاومـة الشرسة ضد العثمانيين و بكل حنكة و سياسة .

و أول وثيقة بريطانية تذكر صراع الزرانيق ضد العثمانيين في عهد الوالي عبدالله هي وثيقـة مؤرخة في 3 مايو 1901 (15 محرم 1319هـ) [4] و مرسـلة مـن عـدن إلـى وزارة الخارجية البريطانية ، و تذكر أن الزرانيق بقيادة أخو شـيخ الزرانيـق قـد هـاجموا مقـر المتصرفية في الحديدة نفسها و قتلوا موظف و ضابطين تركيين و اخذوا مبلغ عشرين ألـف دولار (20000$) من مقر المتصرفية ، و يلاحظ أن هذه العملية نوعية و لا يمكـن لهـا أن تنجح و لا يصاب أحد من الزرانيق في الهجوم و الانـسحاب إلا بمـساعدة لوجـستية مـن الوطنيين من أبناء مدينة الحديدة و أيضاً تشير الوثيقة إلى أخ الشيخ و الذي أكد المعمرون أنه

---

[1] - المصدر السابق .

[2] - العرشي ، صـ83-84 ، الواسعي ، صـ293 – 294 .

[3] - أحمد بن أحمد فتيني هبه جنيد ، ولد في قريته الطائف و تسمى بطائف أحمد " و هو أحمد بن محمد مقبول الأهدل توفي فـي القرن الحادي عشر الهجري " و هي إحدى القرى المطلة على البحر الأحمر للزرانيق التابعة لبيت الفقيه ، و قد ولد لأسرة فقيـرة مدقعة ، فوالده كان صياداً و شب أحمد على الصيد و السفر و ارتبط بالشاطئ الأفريقي و احتـك بالإيطـاليين و البريطـانيين و الفرنسيين و كان متعلماً لبقاً سياسياً و شجاعاً و متوقد الذكاء فتعلم من احتكاكه بالأجانب اللغة البريطانيـة و الإيطاليـة و اسـتغل علاقاته في بناء قبيلته الزرانيق و تقوية نفوذه على حساب المشائخ التقليدين و أوجد لنفسه مشيخة مستقلة تطورت و احتوت أغلب بلاد الزرانيق واعتمد على الثروة الهائلة و التي حصدها من تجارة الأسلحة و البضائع و امتلاك أسطول من السفن التجارية و بنـى عدداً من القلاع و خزن الأسلحة بكافة أنواعها و خضع له الزرانيق بتواضعه و عظمته ، و تم اغتياله عن طريق السم بعد غذائـه في بيت الفقيه و توفي بعد صلاته للمغرب في مزرعته غرب بيت الفقيه و دفن في تربة ابن عجيل .

[4] - Ingrams . D. and L . , op . cit ., Vol 5 . Administrative state of Yemen 1900-1904 . In closure No 214 . PP . 351-352 .

علي فتيني جنيد [1] أخ أحمد فتيني جنيد ، و يستشف من الوثيقة مدى دهاء أحمد فتيني جنيد و قدرته على المراوغة و الخداع .

تقول الوثيقة و المعنونة بـ " أخبار الحديدة " أن " أخو شيخ قبيلة الزرانيق قد قام مع بعـض الشخصيات النافذة و البارزة – أي المقادمة – في القبيلة بقتل موظف تركي كبير و قتل أيضاً ضابطين تركيين بعد هجوم خاطف و ناجح على مقر الحكومة التركية و تم أخذ عشرين ألف دولار (20000$) من داخل مقر الحكومة التركية " [2] .

و هذه العملية هزت السلطات العثمانية في اليمن لما تمثله من جرأة و إقدام على مهاجمة مقر المتصرفية في الحديدة و لما في ذلك من إسقاط للهيبة الإمبراطورية العثمانية ، فأرسلت إلـى أحمد فتيني جنيد والذي أطلقت عليه " شيخ الزرانيق " رسالة استفسارية حول هذه الأعمال و حول المبلغ ، فأعرب أنه غير قادر على إيقاف هذه الأعمال و أما المبلغ فقد استعاد(14000$) فقط دفع منها من جيبه الخاص (4000 $) ولن يستطيع دفع غير ذلك " [3] .

و يلاحظ أن السلطات العثمانية غضت الطرف عن مقتل موظف كبير و ضابطين و كلهـم أتراك و عن إهانة و تمريغ الهيبة العثمانية في وحل تهامة ، ولتطالب بالمـال و الـذي لـم يرد إليها كاملاً أيضاً و سكتت عن رد الشيخ أحمد فتيني جنيد و الذي بطن كلامه بالاستهزاء و السخرية و التحدي عند قوله : " إن القيادة التركية العظيمة القوية بإمكانها إرسـال القـوات إلى بلاد الزرانيق و اعتقال المقاومين و من تشاء إن أرادت " [4] و أبدى رغبته في بقاء الاتفاقيات التي بين مشائخ الزرانيق و الدولة العثمانية و تظاهر بولائه للحكومة التركية طالما هي وفية للاتفاقيات " ولكنه من الشيء الطبيعي أنه لن يقف ضد أخيه "[5] كما يعلق التقرير .

و هكذا تظاهر الشيخ احمد فتيني جنيد للأتراك بالولاء و لكن " كان واضحاً أن هذا الـشيخ يضع العوائق و الصعوبات و يدبر المكائد في طريق الحكومة التركية و بطريقة فـي غايـة السرية " [6] و هكذا هم مشائخ الزرانيق و إن تميز عنهم الشيخ أحمد فتيني جنيـد و الـذي تعلم من فقره و بحره و محيطه القبلي و من علاقاته بالإيطاليين و الفرنسيين و البريطـانيين و الأفارقة و اكتسب السياسة و ربطها بالتجارة و القبيلة و الدولة ، فمـشائخ الزرانيـق " لا ينقصهم في السياسة ختل و دهاء و هم دائماً يمثلون في رواية تهامة السياسة دورين و ثلاثـة

---

[1] - لقاء مع علي جربوح ، و عيسى ابن عبدالله بن أحمد فتيني جنيد و أخيه أمين .

[2] - Ibid .

[3] - Ibid .

[4] - Ibid .

[5] - Ibid .

[6] - Ibid .

أدوار في وقت واحد " [1] و الشيخ أحمد فتيني جنيد ينظر إليه أتباعـه بأنـه أحـد أبطـال الاستقلال فـ " قد قاومت قبيلة الزرانيق الساطات العثمانية لسنوات طويلة ، و على الرغم من ركونهم للهدوء و الاستقلال خلال الأربع سنوات الماضية – 1896 / 1900 – إلا أنهم فـي الوقت الراهن مستقلين استقلالاً تاماً عن السيطرة العثمانية ، و يسلمون الضرائب عن طريـق شيخهم " [2] و يعتبره الزرانيق بأنه " رجل مقدس a Holy man فهو عندهم ذو ورع معـروف بالتقوى و يعتقدون أنهم مدينون تماماً باستقلالهم الحالي إليه " [3] و هذا ما لمسه المؤلف في نزوله الميداني إلى أغلب بلاد الزرانيق من حب و تعظيم و تقدير لهذا الشخص من قبل قبيلته الزرانيق .

و إلى مقدرته السياسية و إدارة إمبراطوريته المالية القائمة علـى التهريـب و قـوة حدسـه و سرعة فراسته تشير الوثيقة بأنه " في مناسبات و مواقف عديدة ، قدم دليل عن قدراته بتنبؤ الأحداث ، و لهذا السبب كان عند أتباعه الثقة العمياء به ، و يؤكدون أن الأتراك قد قاموا عدة مراتٍ عديدة بغارات مفاجئة على مستودعات و مخازن الشيخ مشتبهين بها على أنهـا مليئـة بالتبغ المهرب و الأسلحة و الذخائر ، لكن بعد التفتيش الدقيق وجدوا أنها لا تحتوي إلا علـى القهوة و العوسج و نباتات برية و بضائع أخرى مرخصة من قبل الـساطات بينمـا أخفيـت بسرعة مفاجئة المواد المشتبهة بها " [4] .

و كل تلك الأحداث وقعت والطرق التجارية بين الحديدة و تعز مقطوعة و متوقفة تماماً بسبب الحالة السيئة و المضطربة في منطقة بلاد الزرانيق و أصبحت تجارة و صناعة زبيـد شـبه منهارة [5] .

و في وثيقة أخرى مرسلة من الكولونيل وهاب wahab إلى العميـد ميتلانـد Maitland بتـاريخ 21 أبريل 1902 (13 / 1 / 1320هـ) ، و تذكر هذه الوثيقة سقوط مئات القتلـى علـى أيدي الزرانيق و في أدغالهم فتقول " يذكر تقرير أن قبائل الزرانيق التي تقطن تهامة الغربيـة حاصرت المجموعة الرئيسية (قوات النخبة) من الجيوش العثمانية و الـذين تقـدموا مـن الحديدة قاصدين تعز و يذكر التقرير أن عددهم كان 800 رجل ، و قد التقـوا بـالزرانيق و هزمهم الزرانيق شر هزيمة و أسفرت تلك الهزيمة عن مقتل 360 منهم و غنم الزرانيق غنائم كثيرة فجميع الأمتعة و الأسلحة و الذخائر و الخيول و البغال و الجمال وقعت فـي أيـديهم و

[1] - الريحاني ، ملوك العرب ، جـ1 ، صـ476 .

[2] - Ibid . P .352 .

[3] - Ibid .

[4] - Ibid .

[5] - Ibid .

بقية المجموعة التركية ولت الأدبار ناجين بأنفسهم من وجه الزرانيق فارين إلى الحديدة و هم جرحى و مذعورين " [1] .

ويعلل تقرير آخر سبب هزائم الأتراك المتتالية أمام الزرانيق أن " قبائل الزرانيق تقع بلادهـم في الجنوب الشرقي من الحديدة و هي ذو نفوذ قوي هناك و مسلحة تـسليحاً قويـاً و جيـداً و تسيطر هذه القبائل على موقع استراتيجي قوي و هام جداً من زبيد إلى المراوعة " [2] .

و في نفس الفترة هرب أحد المناصب المشهورين بتهامة من أيدي العثمانيين و سجونها و لجأ إلى الزرانيق و كان له تأثير روحي عليهم ، و هو منصب المراوعة احدى القـرى التابعـة لقضاء بيت الفقيه آنذاك ، و قد سجنه الأتراك بالحديدة بسبب عداوته لهـم فـي سـنة 1901 (شوال 1318 هـ/ شوال 1319هـ) و استمر حتى مايو 1902 (صفر 1320 هـ) حيـث دبر الزرانيق عملية تحريره بالهجوم على السجن و من ثم لجوؤه إليهم ، يقول تقرير بريطاني مرسل من المقدم ماونسل Lieutenan – colonel Maunsell إلي السيد أوكونور O'conor ما يلي " إن العداوة بين الأتراك و القبائل المحيطة بالحديدة أصبحت مؤخراً أمراً معلن عنها رسمياً حيـث توقفت التجارة مع الحديدة بشكل عملي و أصبحت محاصرة و لم يبق مـع الأتـراك سـوى الأراضي القابعة عليها مواقعهم العسكرية " [3] ثم يذكر عملية تحرير منصب المراوعة و هو من أسرة الأهادلة و أن من قام بذلك هم الزرانيق و الذين ظلوا ينفذون عمليات نوعية داخـل الحديدة و المواقع العسكرية التابعة للأتراك فيقول " و في هذه الأثناء – مايو 1902 / صـفر 1320هـ - و ضع منصب المراوعة نفسه في عداوة مباشرة و معلنة ضد السلطات العثمانية حيث يمثل هذا المنصب شخصية دينية هامة و له نفوذ و سيطرة روحية كبيرة علـى قبائـل الزرانيق العملاقة و المسلحة تسليحاً جيداً ... و له الآن صلات في تحريض قبائل الزرانيـق ضد العثمانيين و نجح في ذلك نجاحاً باهراً و كبيراً جداً و كذلك وقعت اضطرابات و فوضى في داخل مدينة بيت الفقيه نفسها ، فقد قطعت كل خطوط التلغراف تماماً بعدما قام الزرانيـق بتفجير المكتب – مكتب البريد و التلغراف – و نسفه كاملاً " [4] .

و ازدادت الثورة اشتعالاً من مارس إلى مايو1902(ذو القعدة 1319هـ- صفر1320 هـ) و كانت ذروتها في مايو ، حيث أرسل نائب القنصل البريطاني ريتشارد سون G.A.Richardson في الحديدة إلى القنصل ديفي Devey تقريراً مفصلاً عن أحداث مايو في تهامة حيث قال أن ما

---

1 - Ibid . Inclosure 2 in No 117 . P . 353 .
2 - Ibid . Inclosure in No 97 . P . 355 .
3 - Records . Vol. 5 . Ibid . Inclosure in No 153 . P . 357 .
4 - Ibid .

" يتعلق بالتجارة خلال الثلاثة الأشهر الماضية قد أصبحت راكدة تماماً في مدينة الحديدة نتيجة لحالة اليمن المضطربة بشكل عام و لعدم قدرة القوافل على مواصلة سيرها حيث أن الطريق بين مدينة الحديدة و مدينتا لابور Labur و بيت الفقيه (المدينتان التي ترسل إليهمـا كميـات كبيرة و كثيرة من السلاح التي تباع بالقطعة) غير آمنة بشكل و على سبيل المثـال الـسرقة و الهجوم على القبائل من قبل الفرق المسلحة كان يرفع تقارير عنها بشكل مستمر " [1] .

ثم يذكر الأحداث خلال شهر مايو ضد السلطات العثمانية و منها " في الخامس مـن الـشهر الجاري (26 محرم 1320هـ) أمر العرب الثائرون المسئول التركي عن رسوم الدخوليـة في منطقة المراوعة بمغادرة المنطقة مهددونه بالقتل إذا رفض المغادرة ففر ... و في الرابـع عشر من الشهر الجاري (7صفر 1320 هـ) واصل قائد قوات الجندرمه في المدينة سـيره إلى منطقة Kadhaba و معه 25 من الخياله و التي تستغرق في رحلتها مسافة ساعتين باتجـاه الجنوب على طول الساحل انطلاقاً من الحديدة ... و أثناء رحلتهم واجهوا مجموعات ضخمة من العرب المسلحين – أي الزرانيق – فقرع رئيس القوات طبل الانسحاب و الفرار بعد مقتل شخصين و القاء القبض على خيلين و خمسة بنادق ، و في ليلة 16 (9 صفر 1320 هـ ـ) هجمت جماعة من العرب على مستودع الذخائر في ضواحي الحديدة ... و علـى مـا يبـدو أن السلطات العسكرية التركية غير قادرة على مواجهة الوضع و السيطرة عليـه " [2] ثـم يقول " و حسب رأي أنا فالسلطات تعتبر عاجزة عن حماية حياة جنودهـا و الأمـلاك فـي الحديدة من العرب الثائرين ... و سبب الثورة ناجم عن السخط العام مـن القمـع و فـرض الضرائب الباهضة على الأراضي و على المحاصيل و على الأصناف الزراعيـة الخاصـة بالمواطنين و التي تستخدم بشكل شخصي " [3] .

ومن الوثائق البريطانية ، وثيقة هامة عبارة عن رحلة سرية قام بها أحد الجواسيس العـرب ويدعى السيد حسن الذي قدم تقرير إلى الكولونيل وهاب Wahab والذي بدوره أرسل بنسخ من هذا التقرير إلى المندوب السامي في عدن وإلى حكومة بومبـاي فـي 30 أغـسطس 1902 (26 جماد أول 1320هـ) وكانت رحلة السيد حسن في مايو 1902م وقد وصل إلـى بيـت الفقيه يقول " وبقيت هناك أربعة إلى خمسة أيام لأنها تمثل المركز الرئيسي لقبائل الزرانيـق

---

1 - Ibid . No . 56 . P . 358 .
2 - Ibid .
3 - Ibid .

ويوجد بها موقع عسكري تركي مكون من 200 جندي ، وتتكون المدينة من500 منزل أغلبها مبنية من اللبن ومنخفضة الإرتفاع ويعد الشيخين الكبيرين لقبائل الزرانيق وهما :-

1- حسين شنطه Hussen Shantah !

2- ومحمد شنطه Mohammad Shantah !

وهم من السكان الأوائل الأصليين لمدينة بيت الفقيه وكانوا خاضعين للأتراك وفـي الأخيـر ثاروا ولجأوا إلى الحسينية حيث تعتبر بؤرة الثورة الآن ، وكان اسم قائم المقام في مدينة بيت الفقيه هو سعدي بك الذي كانت تصله الجرائد من استانبول وتحتوي على الأخبار ... ورسـم القائمقام سعدي بك الحدود بين قبائل الزرانيق وقبيلة العبسيه " [1]

وبرغم أن المشير عبدالله باشا والذي " جمع في قبضته الـسلطات العـسكرية والمدنيـة ... وارتفع رأس الحل العسكري للقضية اليمانية برأي القيادة التركية هو العامل الحاسـم الآن ... ولكن من جديد انتعشت ونشطت الحركة الفدائية ، فتوالت تمردات قبائل تهامة (الزرانيـق) وقبائل مناطق الزيدية (الجرابيح) " [2] وتستمر الثورات حتى آخر مدة ولايته .

ففي وثيقة كتبها ريتشاردسون G. A. Richardson نائب القنصل البريطاني في الحديدة " حـول تقرير حالة ولاية اليمن الإدارية والاقتصادية خلال نهايـة الربـع فـي 30 يونيـو 1903م (4\4\1321هـ) " [3] ويذكر فيه " إن السلطات التركية فشلت رغم خبرتها الطويلـة مـن إمكانية التغلب على الصعوبات الكبيرة المتعلقة بتحصيل عائدات الأراضي الزراعية ، وبدأت توجه عمليات عسكرية ضخمة بالقرب من مدينة الحديدة ضد قبائل الزرانيق والعبسية وصليل ، وقد بدأت تلك القبائل مقاومة عنيفة ، وانخرط سعدي بيك قائم مقام بيت الفقيـه بقـوة 450 جندي ومدفعين إلى جانب العمليات العسكرية من أجل ممارسة الضغط على قبيلـة العبـسية وقبائل الزرانيق ، ومن أجل إرعابهم فقد قذفت مدينة القوسي Kussei بلدة قبيلة العبسية والتـي تبعد عن الحديدة مسافة 25ميل في شمال الشرق منها وقد أحرقت الكثير مـن القـرى وفـي غضون شهرين نجح سعدي بك في تجميع 18000$ بمساعدة الشيخ بخيت [4] رئيس قبيلـة العبسية واستولى على الكثير من المواشي وكميات كبيرة من الحبوب والسمسم مـن القبائـل المتخلفة عن الدفع ما عليها للدولة التركية واتى بها إلى الحديدة وتم بيعها بعد ذلـك " ورغـم

---

[1]-Records. Vol 5. Inclosure2in No.13.pp.364 – 366.

[2] - كتاوف ، المرجع السابق صـ84

[3]- Records. Vol .5 . pp .382 – 383 .

[4] - الشيخ بخيت بن حسن بخيت شيخ قبيلة العبسية ، تعاون مع الأتراك ضد أبناء قبيلته وضد القبائل التهامية الأخرى ، اشتهر بالظلم ، لقي مصرعه ووالده على أيدي قبيلته انتقاماً لما فعله فيهم فقتلوه رمياً ببندق المارتين في يوم الجمعة 24 ربيع الثاني سنة 1322هـ (8\7 1904م) – حوليات المكين بن عبدالقادر البحر (مخطوط)

هذه القسوة و الفضائع ، فقد " كانت المنازل والقرى مدمرة في قبائل صليل والقناوص واللحية ...الخ وكانت المجاعة منتشرة هناك ومؤلمة جداً في جميع أرجاء تهامة " [1]

أما الزرانيق ، فإن السلطات العثمانية تعترف بأنها " لم تفلح إطلاقاً في إخضاع قبائل الزرانيق أو الحصول على أي عائد إلا أن السلطات عزمت على اتخاذ خطوات جدية من أجل ذلك حين تتوفر القوة الكافية ، وسوف يدير الكولونيل محمد بيـك الجنـوب – أي جنـوب الحديـدة – وسيكون تحت إشراف سعدي بيك قائم مقام بيت الفقيه " [2] رغـم أن التقريـر يـذكر " أن الطرق التجارية بين الحديدة وبيت الفقيه وزبيد كانت ولازالت تتعرض بصورة دائمة للنهـب والتخريب على أيدي رجال قبائل الزرانيق ... وهذا أدى إلى ارتفاع السلع " [3] وأثناء هـذه الثورات عزل المشير عبدالله باشا وعين توفيق باشا بدلاً عنه .

9- توفيق باشا " 1321هـ - 1322هـ "

قدم اليمن وكلها ثائرة وحكم سنة واحدة فقط " 1321هـ ـ - 1322هـ ـ \ 1903 – 1904 " وكانت المجاعة شاملة عظيمة وخلت قرى كثيرة من سكانها حتى أكل الناس كل شيء والغلاء منتشر والأتراك محاصرون في صنعاء وأكثر بقاع اليمن تلتهمها المجاعات حتى أكلوا الكلاب والقطط ومات عدد جم من عسكر الأتراك وذبح بعضهم فرساً وادخر لحمها لنفسه وأهلـه ... الخ [4] أما الزرانيق ، ففي عهد هذا الوالي هم كالعادة ثائرون ، يخرج إليهم القادة الأتـراك ليرجعوا إلى بيت الفقيه مرة أخرى ولكن مطاطىء رؤوسهم يجرون أذيال الخيبـة والهزيمـة وامتدت ثورتهم إلى ضرب الأهداف التركية داخل الحديدة والمراوعة و باجل و زبيد ... بـل حتى في البحر [5] ، و قد حصل المؤلف على وريقات مخطوطـة تتـضمن حوليـات مـن 1320هـ كتبها العلامة المكين بن عبدالقادر البحر [6] و يذكر ضمن أحداث 1321هـ ـ أن قائمقام بيت الفقيه الجديد محمد بيك أراد تأديب الزرانيق فهزم ثم اغتاله الزرانيق بالسم بعـد ذلك .

يقول المكين البحر تحت عنوان " حرب الدولة و الزرانيق 1321 هـ " ما يلي " كـان فـي رمضان يوم الاثنين 18 (17 / 12 / 1903) غزاهم محمد بيك قائمقام بيـت الفقيـه مـن المحوى إلى الجنبعية بعد الفجر و قتل و حرق إلى وقت الضحى و رجع و حصل في العسكر

---

[1] -Ibid .
[2] - Ibid .
[3] - Ibid .

[4] - العرشي صـ84 ، الواسعي صـ ـ ـ ـ ـ294 – 301

[5] - لقاء مع محمد إبراهيم جابر الأهدل ، و الحاج صغير جلاد و سعد حكيمه .

[6] - المكين بن عبدالقادر البحر 1286 – 1325 هـ ، عالم ولد و توفي بمدينة بيت الفقيه له مجموعة كتب منها الصورة الجامعة للإجازات النافعة و كتاب " إسعاف المنتهل بذكر الشيخ محمد بن أحمد العجل " و مختصر كتاب " الأولياء العشرة " و غيره .

قتل يسير وحشم – أي إصابة بجروح – و في يوم الربوع (الأربعـاء 20رمـضان 1321 هـ - 9 / 12 / 1903) من الشهر غزاهم ثانية في ذلك الوقت و قتل و حـرق ، و وصـل الشراعي باشا – أي أحمد بن يحيى شراعي رئيس مجلس البلدية بالحديدة ، و أحد مناصـب تهامة المشاهير – أخر الشهر يوم (...) [1] و السيد أحمد يحيى – يقصد أحمد بن يحيـى البحر منصب المنصورية – و الفريق أحمد باشا قومندان اللواء ، و وصـلوا إلـى المحـوى للتحقيق و الاصلاح و تفرقت جموعه – أي محمد بيك – شذر مذر و أصبح مريضاً كئيبـاً ، و عيّد الشراعي في بيت الفقيه و هو باق إلى الآن يوم السبت 14 من شهر شوال (2 ينـاير 1904) ، و مات – يقصد القائمقام محمد بيك – بعد الفجر يوم الجمعة 26 مـن شـهر ذي القعدة فجأة سنة 1321 هـ (15 / 1 / 1904) و صلي عليه بعد الجمعـة و دفـن عنـد الغريب قدام – أي أمام – الحكومة قريباً من السوق " [2] ثم يؤكد موت القائمقام فجـأة ... ! فيقول " مات قائمقام قضاء بيت الفقيه محمد بيك يوم الجمعة بعد الفجر فجأة من غير مرض و لا سبب في 26 من شهر ذي القعدة الحرام سنة 1321هـ " [3] أما الزرانيق فيحكون أنـه مات من خمر مسموم أو من أنه قتل نفسه من خلال السم [4] ... !

و قرر السلطان عبدالحميد استدعاء أحمد فيضي باشا على رأس حملة ضخمة للمرحلة الثالثـة و الأخيرة ، فعزل توفيق باشا و أرسل إلى اليمن أحمد فيضي باشا .

10- الوالي المشير أحمد فيضي باشا (المرحلة الثالثة 1322- 1326هـ)

قدم المشير أحمد فيضي باشا والياً لليمن للمرة الثالثة و الأخيرة ، فـ " أصدر البـاب العـالي أوامره لفيضي باشا الذي كان حينذاك مقيماً في شمال نجد ، بسرعة التوجه إلى اليمن لإقـرار الأمور في الولاية الثائرة و تولى إدارتها بما يحفظ بقاءها في يد الدولة العثمانيـة ، و رغـم بلوغ فيضي باشا العقد الثامن من عمره ، فقد توجه إلى جده و توجه منها إلى الحديدة التـي دخلها في يونيو سنة 1904 / 1322 هـ [5] .

و يشاهد مؤرخ تهامي معاصر القوات العثمانية فيقول الوشلي ضـمن حوليـات 1322هـ ـ " و لما بلغ ذاك – أي ثورة اليمنيين – مسامع السلطان الأعظم عبدالحميد خان ثارت حفيظته ، فجهز الجيوش المتكاثرة و الأسلحة النارية و الذخائر العظيمة كالمدافع العجيبة التي لم يـر

---

1 - بياض في الأصل .
2 - حوليات المكين 1320- 1322هـ .
3 - المصدر السابق .
4 - لقاء مع علي جريوح ، و الحاج يحيى عبدالله العمري ، و الحاج يحيى حسن زبري .
5 - سيد مصطفى سالم ، المرجع السابق ، صـ75 - 76 ، أباظه ، المرجع السابق ، المرجع السابق ، صـ158 .

مثلها في الكبر و القوة و البنادق الغريبة الشكل المسماة بالموازر و التي يسع جوف كل واحد عشر فشكات يرمى بها واحدة بعد واحدة في أسرع وقت و ملأ بذلك البوابير العظام ثم وجهها إلى بندر الحديدة ... و نزلت معهم البغال و الخيول العظيمة بكفايتها من الحشيش و الـشعير و كذلك العساكر من الدقيق و الأرز و السمن و الألبسة و الـصابون و جميـع محتاجـاتهم و رئيس العساكر الوالي أحمد فيضي باشا و اختاروه على غيره من الولاة لأنه ذو شـهامة و حلم و شجاعة و حسن تدبير و عزم و حزم و له اختبار باليمن و أهله لتردده والياً بـصنعاء ثلاث مرات " [1] .

و كانت المجاعة ضربت الشعب اليمني و جعلت الناس تلجأ إلى أكل أي شيء حتى أنه " ذبح بعضهم خارج صنعاء ابنته و أكلها و وقع في قلوب الناس من القسوة حتى أن الصديق يـرى صديقه يموت جوعاً و يضن عليه بكسرة من الخبز ، لا بل لا يلتفت إليه ، و يرى الوالد ولده يحتضر جوعاً و لا يمن عليه بلقمة من الخبز و كذلك كان يقع الولد نحو والـده و بعـضهم رغب عن طفله لأنه لم يجد ما يطعمه ، فكان يطلقه في الشوارع " [2] و قد " هلكت جوعـاً قرى بأكملها في نواحي آنس ، إب ، تعز ففي السنوات الأولى من القرن العشرين هلك جوعاً 60 ألف إنسان ، كما أودى الجوع بعشرات الآلاف من الأنفس في نواحي متعـددة ... و لـم تتخذ السلطات التركية أية إجراءات لمساعدة الجائعين " [3] .

كل هذا و الأموال و الحبوب و كل المواد الغذائية مخبأة في معقل الإمام الزيدي الجديد يحيى بن محمد حميد الدين و أتباعه من الشيعة يموتون جوعاً و من أراد أن يأكل و يطعم أبناءه فما من سبيل إلى ذاك " إلا من كان جندياً للإمام فكانت بيوت الأموال و الحبوب بها كثيرة " [4] فـ" كان تحت بنان الإمام و أبنه مقادير هائلة من المواد الغذائية الاحتياطية (جمعت كزكاة) و مبالغ كبيرة من النقود " [5] .

- **فيضي و الزرانيق**

لم يتغير موقف الزرانيق من أحمد فيضي باعتباره أحد الأتراك الذين يحتلون أرضهم و هكذا فحال الزرانيق كحال بقية " القبائل اليمنية في شتى أرجاء الولاية كانـت تنـاوئ العثمـانيين وسعت بشتى وسائل العنف و التخريب و حرب العصابات إلى التخلص من الحكم التركي في

---

[1] - الوشلي ، الذيل حوليات سنة 1322هـ ، " مخطوط " .
[2] - العرشي ، صـ58 ، الواسعي ، صـ301 .
[3] - كتلوف ، المرجع السابق ، صـ84 .
[4] - الواسعي ، صـ300- 301 .
[5] - كتلوف ، المرجع السابق .

بلادهم ، لهذا رأى فيضي باشا ضرورة القيام بعدة عمليات حربية بهدف القضاء على التمـرد و إيجاد حالة من الأمن و الاستقرار لتدعيم الحكم العثماني في اليمن " [1] .

و كانت بيت الفقيه قد خلت من العثمانيين بعد أن أغتال الزرانيق القائمقام محمد بيك ، وقـرر المشير أحمد فيضي إرسال قائد تركي خبير بتهامة ألا و هو أحمد بيه الشركسي و الذي تولى عدة مناطق منها المخا و احتل مناصب عسكرية عديدة .

و يتذكره الزرانيق باعتباره سفاحاً و استخدم النساء و الأطفال دروعاً في غزوه للزرانيـق و إلى جانب ذلك قدم بأسلحة حديثة جداً و أعداد غفيرة و كان القحط و الجـذب قـد أضـعفهم فلجأوا إلى الهدوء و السكينة [2] .

و يذكر انكارين رواية أحد العرب الذين كانوا متعاونين مع العثمانيين فيقول " و وصلت قوات تركية بقيادة الشركسي أحمد بيه إلى بيت الفقيه و هجمت ليلاً على قريتهم – يقصد قراهم - ، و أسر جميع مشائخهم ... ! ، و أجبرهم على الإعتراف بسلطته أو قـتلهم ، و هكـذا كـان الزرانيق مجبرين على الخضوع " [3] .

و لم تمض فترة طويلة حتى كان مصير هذا الشركسي أحمد بيه مثل مصير محمد بيك و هي الاغتيال السياسي بواسطة السم بعد أن دسوا له السم في الخمر البلدي ، وهم يقـرون بـذلك و يعتزون و يفتخرون و ليلة موتـه أقـاموا أعيـاداً عمـت بلادهـم وإلـى ذلـك يقـول انكارين " و توفي أحمد بيه سريعاً بعد أن شرب عن طريق الخطأ شراباً روحياً من عـصير التمر ، فرح جميع الزرانيق ، و بعد أن أقاموا احتفالاً باذخاً رفـضوا الخـضوع للـسلطات التركية مرة أخرى " [4] بعد اغتيال القائمقام الشركسي أحمد بيه ، ولى أحمد فيـضي باشـا القائد العثماني سعدي بك و الذي تولى قائمقامية بيت الفقيه سـابقاً ، فرجـع و " دخـل مـع الزرانيق في معركة جديدة و يجبرهم على الخضوع و حينها تفرقوا في كل الطـرق الكبيـرة وبدؤوا بنهب و قتل المسافرين أو إجبار التجار على دفع إتاوة على كل جمل مقدارها بـضعة ريالات " [5] .

---

[1] - أباظه ، المرجع السابق ، صـ159 .
[2] - لقاء مع من سبق ذكرهم .
[3] - انكارين ، مذكرات ، صـ 162 .
[4] - المصدر السابق .
[5] - المصدر السابق .

- الوثائق البريطانية و العثمانية

تتحدث الوثائق البريطانية عن ميل الزرانيق للمسالمة و الهدوء في " حافة كويزي [1] التابع لسنجق الحديدة " [2] كما يذكر ماونسيل F. R.Maunseil السفير البريطاني في استانبول و ذلك في تقرير له عن اليمن خلال 1904 حتى 14 مارس 1905 (8 /1 / 13023هـ) .

ثم تحمل الوثائق البريطانية وثيقة سرية رقم (33) مرسلة من القنصلية البريطانية في الحديدة إلى الميجر – جنرال ماسون H.M.Mason المندوب السامي البريطاني في عدن و مؤرخة بـ 25 أبريل 1905 (21 صفر 1323هـ) و تتحدث عن :- " أن كل وسائل الاتصالات التلغرافية التي تربط اليمن بالخارج مقطوعة و معطلة و ذلك بسبب صراع الزرانيق مع الدولة العثمانية و هذه القبائل تربط بين مطالبها و عملها الدائب و الدائم في قطع السلك بين الحديدة و المخا كوسيلة لتنفيذ مطالبهم " [3] .

و ترى الوثائق العثمانية أن الزرانيق ازداد خطرهم فلم يكفهم البر فالتهموا البحر ، و بدؤوا يهاجمون السفن البحرية التركية و كذلك سفن إيطالية و بريطانية و فرنسية و قد أوردت الوثائق العثمانية الكثير من الهجمات " [4] ومنها الوثيق المحفوظة في الأرشيف العثماني و تحمل رقم 48 /5 [5] و التي رفعت من ولاية اليمن إلى مجلس الوكلاء و تتعلق بقيام أفراد من قبائل الزرانيق بالهجوم على إحدى السفن وتدعى علوني و تعود ملكيتها إلى أحد أفراد الحكومة الإنجليزية و قد تدخلت بريطانيا محتجة وطالبت بتعويض عن الأموال و البضائع المنهوبة التي كانت على ظهر السفينة و قد تم التفاوض بين الحكومة العثمانية و البريطانيين و تحدد المبلغ المعين و السبب في ذلك أن أفراد الزرانيق يتبعون الدولة العثمانية و هذا مرفوع لاتخاذ القرار ، و قد ناقش مجلس الوزراء العثماني في استانبول الموضوع و وافقوا على دفع التعويضات بعد التأكد من الأوراق الرسمية التي تحدد كمية البضائع التي كانت على السفينة على أن تتم متابعة و ضبط موانئ الولاية الواقعة على البحر لأن كثير من المهربين يستغلون ضعف الناحية الأمنية في تلك الموانئ و مؤرخ هذا القرار بـ2 شعبان 1323هـ(1 / 5 / 1905) .

---

[1] - حافة كويزي و هي منطقة صحراوية قاحلة تتبع الزرانيق و كانوا يتخذونها حصناً و منطلقاً لهجماتهم ضد الأتراك في الحديدة

[2] - Records of Yemen . The accession of Imam Yahya , 1905 . P . 430 .

[3] - Ibid . PP. 437-438 .

[4] - وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف محاضر مجلس الوكلاء (Mv) رقم الملف 76 ورقم الوثيقة 112 (صورة منها في المركز الوطني للوثائق) .

[5] - وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف محاضر مجلس الوكلاء (Mv) رقم الملف 89 ورقم الوثيقة 48 /5 (صورة منها في المركز الوطني للوثائق قام مشكوراً د . فؤاد الشامي بترجمتها للباحث) .

11- الوالي حسن تحسين باشا الفقير (1326- 1328هـ)

اتجهت الدولة العثمانية إلى سياسة إيجاد حل للقضية اليمنية ، فكان أول أمر إيجابي لفتح حوار مع اليمنيين هو عزل أحمد فيضي باشا و المعروف بعدائه لليمنيين و عينت بدلاً عنه رجل عربي شامي هو الوالي حسن تحسين باشا و هو محب لليمن و يريد الخير لها لأنه " كان رجلاً عاقلاً ، صلحت في أيامه اليمن و سكنت الفتن "[1] و كانت " سياسة تحسين باشا في حكم اليمن جاءت في التوقيت المناسب لأن أحوال الولاية كانت في أشد الحاجة إلى التهدئة و التسكين بعد أن تفاقمت الأمور في عهد الوالي أحمد فيضي "[2] .

و بعد النجاح الملحوظ لهذه السياسة ، فقد أملت الدولة العثمانية أن تحقق الاستقرار الكامل في الولاية عن طريق التفاهم مع اليمنيين أنفسهم في شئون بلادهم و لهذا طلب السلطان العثماني عبدالحميد الثاني في سنة 1908 وفداً من كبار رجال اليمن – و ليس الشيعة الزيدية فقط – على أن يكونوا من سادتها وعلمائها وأعيانها " ليتكلموا فيما يصلح اليمن ، ففرح الناس بذلك " و قد وصل الوفد إلى الأستانة عاصمة الدولة و أقاموا في محل الضيافة مدة طويلة حتى استطاعوا مقابلة السلطان و لم تدم المقابلة إلا عشر دقائق "[3] ثم فشلت المفاوضات و رجعت الحروب .

و علاقة الزرانيق بالدولة العثمانية في عهد هذا الوالي ، ارتبطت بالإطار العام لعلاقة اليمن بالدولة العثمانية ، حيث كانت ضمن الوفد الذي قابل السلطان عبدالحميد شخصيات تهامية ممثلة لتهامة و مناطقها ، و منها بيت الفقيه عاصمة الزرانيق وقد مثلهم السيد العلامة الأمين بن عبدالقادر البحر نقيب الأشراف و ولده السيد علي بن الأمين البحر و السيد هادي بن رزق بن رزق العلوي أحد أعلام اليمن و فضلاء بيت الفقيه[4] و يتضح أن كل هؤلاء كانوا مقربين من العثمانيين و لهم نفوذ روحي نسبي على الزرانيق .

و في تقريرين بريطانيين يذكران أن " الاتصالات التلغرافية بين الحديدة و العالم الخارجي في حالة منقطعة تامة خلال الثلاثة الأشهر الماضية (أبريل ، مايو ، يونيو 1907 – صفر ، ربيع أول ، ربيع ثاني 1325هـ) .

---

[1] - العرشي ، صـ86 ، الواسعي ، صـ307 .
[2] - سيد مصطفى سالم ، تكوين اليمن ، صـ85 ، أباظه ، المرجع السابق ، صـ169 .
[3] - المراجع السابقة .
[4] - الكبسي ، عز الإسلام محمد بن حسين بن علي غمضان ، رحلة أعيان اليمن إلى حضرة السلطان عبدالحميد إلى استانبول في شهر ربيع الأول 1325هـ (مايو 1907) . (مخطوطة لدى الباحث صورة منها و هي بخط ابن المؤلف محمد بن محمد) .

نتيجة الانقطاع المستمر لخط التلغراف من قبل أصحاب قبائل الزرانيق " [1] وفي تقرير آخر حول أحوال الولاية من نوفمبر 1907 إلى أبريل 1908 (رمضان 1325هـ - ربيـع الأول 1326هـ) يذكر أن الطرق البرية مقطوعة تماماً من قبل الزرانيق فـ" لقد أصبحت تجـارة السلع التي تباع بالقطعة تقريباً في حالة ركود خلال الأشهر الماضـية نتيجـة لأن ممـرات الحديدة بيت الفقيه و الحديدة زبيد غير آمنة و مقطوعة " [2] .

و لئن كانت تلك التقارير هي استمرار لعهد الوالي السابق أحمد فيضي باشا و لمن سبقه فهي هنا جاءت احتجاجاً على عدم الوصول إلى حل للقضية اليمنية و لكن الوالي الجديـد و الـذي وصل إلى اليمن كوالي و قائد عام للقوات المسلحة العثمانية في اليمن في 30ديـسمبر 1909 (17/ 11 /1327 هـ) و بصحبته نجيب باشا الذي عين متـصرف لمدينـة الحديـدة [3] حسبما يحكي تقرير كتبه نائب القنصل البريطاني في الحديدة ريتـشارد سـون إلـى الـسيد لوثر G . Lowther بتـاريخ 2 مـارس 1909 (10 /2 / 1327 هـ ـ) و يقـول ريتـشارد أيضاً " وعند وصول الوالي إلى الميناء قام وفد من التجار المحليين الكبـار بخدمـة سـيادته و تظاهروا بالخسارة و الكساد في التجارة نتيجة النهب الذي يقوم به أفراد قبائل الزرانيق على قوافل الجمال عند مرورها بين هذه المنطقة و بين الحديدة و زبيد و التي تمـثلان مركـزين تجاريين هامين و يدل ذلك على أن الأمن في الممرات المذكورة مهم جـداً لغـرض تفعيـل التجارة في الحديدة بعد أن كانت في تخريب و تدمير دائم بسبب قطع الطرق بصورة مستمرة من قبل أفراد هذه القبائل حيث وصلوا إلى درجة لا يمكن تصديقها بسبب عدم مبـالاة الإدارة المحلية و خوفها فلم تجرؤ على اتخاذ أي خطوات أو إجراءات تخمد هذا التخريب " [4] ثـم يقوم ريتشارد سون بشرح تاريخ الزرانيق للوالي الجديد و يقول " فيجب أن أسـتغل الوقـت لأزود تحسين باشا عن تاريخ قبائل الزرانيق خلال السبع أو الثمان السنوات الماضـية التـي كانت سبب الانقطاع اليومي لخط التلغراف و تقوم بقطعه بشكل معتاد و مسئولة عن أعمـال القرصنة التي ترتكبها ضد البواخر الشراعية البريطانية على طول سواحلها " [5] .

[1]- Records of Yemen . state of affairs in the Yemen 1905-1909 . No 40 . P . 515 .
[2] - Ibid . P . 532 .
[3] - Ibid
[4] - Ibid . No . 6. PP . 540-542 .
[5] - Ibid .

و تحدث الوالي تحسين باشا أنه يعلم بهذه المشكلة و " أكد للمجتمع التجاري المحلي على أنـه سيولي اهتمامه هذه المسألة الهامة عند اقرب فرصة مواتية ، و قد كان سيادته على تواصـل مع الحكومة العثمانية بخصوص هذا الموضوع "[1] .

و هكذا يتضح دور الانجليز في التحريض ضد الزرانيـق و دور التجـار الكبـار و القـادة العثمانيين العسكريين الذين ذاقوا الهزائم المتتالية على يد الزرانيق و دخل على الخـط نفـسه الفرنسيين ، فقد لعب وكيل القنصلية الفرنسية موريس رياس Maurice Ries دوراً لا يستهان به في التحريض ضد الزرانيق بسبب اعتداء الزرانيق على السفن و الممتلكـات الفرنـسية [2] ومنها هجومهم على شركة ليفييراتو Livierato الاحتكارية [3] و استمر التحريض حتى مـن " سكان بلدة زبيد (يبدو أنهم من التجار) إلى عظمة السلطان يرجون منه كبح و قمع هـؤلاء المتوحشين ، فأصدر أمراً لقائمقام الحديدة – يقصد المتصرف – و قام الأخير بتكليف يوسف بيه و آخرين بهذه المهمة " [4] .

- هجوم على الزرانيق

و من خلال الوثيقة البريطانية السابقة يتضح الدور الذي لعبته أطراف عديدة ضد الزرانيق من أجل حرب إبادة لهذه القبائل فقد " جاءت الأوامر في شهر فبراير 1909 (محرم 1327 هـ) من استانبول تخول للوالي و القيادة العسكرية في اليمن تنظيم حملة تأديبية ضخمة و اتخاذ كل الإجراءات من أجل قمع و تربية قبائل الزرانيق بهدف ترسيخ الأمن على الممرات التجاريـة التي تمتد عبر مناطقها و أن تجعل أفراد هذه القبائل في خضوع تام و دائم " [5] .

ثم تذكر الوثيقة تكوين الحملة فـ " في السابع من شهر فبراير (17 /1 /1327هـ) وصـلت إلى الحديدة من صنعاء كتيبة من الجند المشاة بقيادة الميجر رجب بيه (الكتيبة الأولـى مـن الفوج رقم خمسين) و وصلت كتيبة أخرى أيضاً إلى هنا في نفس اليوم من ميدي (الكتيبـة الثانية من الفوج الرابع و العشرين) و تابعت هاتين الكتيبتين سريتين من الكتيبة الأولى للفوج السادس و الخمسين من حجة " [6] .

---

[1] - Ibid .

[2] - كراس ، آن سوفي ، حصر وثائق أرشيف القنصليات الفرنسية في اليمن ، المركز الوطني للأرشيف – صنعاء المعهد ، الفرنسي للأثار و العلوم الاجتماعية بصنعاء – 2007 ، صـ 74 .

[3] - المرجع السابق ، صـ14 ، صـ33 (أنظر الملحق رقم 12) .

[4] - انكارين ، المرجع السابق ، صـ 163 .

[5] - Ibid .

[6]- Ibid .

- **التوجه نحو بيت الفقيه**

ثم يذكر التقرير توجه تلك القوات إلى بيت الفقيه فـ " بعد أيام قليلة (الثاني عشر من فبراير - 1/22 / 1327 هـ) زحفت القوات المذكورة أعلاه نحو بيت الفقيه بحيث تباشر عملياتها العسكرية ضد أفراد القبائل الثائرة بقيادة نجيب باشا المتصرف المحلي – متصرف الحديدة - ، و تحركت القوات العسكرية في المعسكر العثماني المتمركزة في زبيد بقيادة رضا بك و قد أبدت الزرانيق مقاومة شديدة و كمنوا في المناطق المجاورة و بعد قتال عنيف استولت القوات التركية على معقل هام من معاقل الزرانيق وهو الحسينية مع خسارة طفيفة في الأرواح " [1] ثم أدركت القيادة العسكرية العثمانية أنها وقعت في فخ الزرانيق فـ " في الرابع و العشرين من الشهر المنصرم (4 /2/ 1327 هـ) وصلت أخبار من والي الحديدة – المتصرف – أنه في الليلة الماضية حاولت القوة التي في بيت الفقيه بقيادة المتصرف نجيب باشا الالتحاق بالجيوش التي تحت قيادة رضا بك الذي كان يتقدم من الشمال إلا أنها تعرضت لهجوم من قبل قوة ضخمة من الثوار الذين كانوا متمركزين و متربصين لهم عن قرب و بعد مقتل 30 شخصاً أجبرت على إعطاء أمراً بالانسحاب الفوري إلى بيت الفقيه " [2] ثم يذكر التقرير رغم عداء ريتشارد سون للزرانيق و التعتيم العثماني أنه " و بعد يومين هاجمت قوة عربية – أي الزرانيق – قوات تركية ضخمة متجهة من الحديدة إلى بيت الفقيه ، فقتلت ثلاثين شخصاً من القوات و غنمت عشرين جمل محملة بالمخزون و المؤنات المخصصة للقوات التي تقوم بالعمليات القتالية و غنمت ذخائر و أسلحة ، في حين ظلت الجيوش التي تحت قيادة المتصرف نجيب باشا خامدة و في حالة حصار و سكون في بيت الفقيه و تنتظر التعزيزات التي لا تأتيها و أصبحت في حالة يرثى لها منذ اندلاع الأحداث المذكورة أعلاه " [3] .

فيتضح أن القوات العثمانية وقعت في مستنقع الزرانيق و صحرائه و غاباته و كيده و أصبحت محاصرة فقررت القيادة العسكرية وقف كل العمليات العسكرية لفشلها و عملت على تدعيم القوات التركية و سحبت قوات كبيرة من كافة اليمن و كذلك عملت على حصار الزرانيق من البحر ، يقول التقرير " و قد قررت القيادة التركية الآن أن ترفع الدعم للقوة التأديبية إلى حدٍ كبير لتصبح مكونة من عشرة إلى أحدى عشرة كتيبة مشاة و سريتين من الشرطة الخيالة (السواري) و ثمانية مدافع كبيرة " [4] .

---

[1] - Ibid .
[2] - Ibid .
[3] - Ibid .
[4] - Ibid .

و يطرأ تغيير في القيادة العسكرية فيعين الجنرال يوسف باشا القائد العثمـاني الـشهير قائـداً للحملة فقد " وصلت إلى الحديدة معلومات من صنعاء هذا الصباح تتضمن تعيـين الجنـرال يوسف باشا بحيث يقود العمليات العسكرية ضد قبائل الزرانيق و قد باشر هذا الضابط الشهير عمله ابتداء من العاصمة صنعاء مع ثلاث كتائب من المشاة " [1] .

و هناك قوات بحرية تركية تحاصر الزرانيق فـ " في الحادي و العشرين من شـهر فبرايـر (4/ 2 / 1327 هـ) وصلت إلى هنا قبل أسبوعين بارجتين مدفعيتين تركية تطلق عليهمـا طاش كوبري Tash Kubri و نعوشاهير Naushahir قادمة من كمران مرسلة من اسـتانبول إلـى خفر سواحل البحر الأحمر اليمنية و خلال رحلتهما البحرية في البحر الأحمر التقينا بمـركبين شراعيين بالقرب من مكان يطلق عليه كوز Koz [2] كانت تهرب منه الأسلحة و نجحت فـي إغراق واحد من المركبين و الاستيلاء على المركب الأخر و مصادرة 350 بندقية و كمية من الذخائر ، و الآن تطوفان هاتين البارجتين في البحر حول ساحل جنوب الحديدة و تتساعد مع الجيوش التركية المقابلة براً ضد عرب الزرانيق " [3] .

و أمام هول القوات العثمانية من حيث العدد و العدة يذكر ريتشارد عـدد وعـدة الزرانيـق فيقول " و تقدر القوة المتحركة لقبائل الزرانيق حوالي عشرة الآلاف مقاتل منهم مجهزين جيداً بالسلاح و منهم الماهرين في الرماية و التصويب و القنص ، و ليس من السهل على الأتراك أن يقودوا جيوشهم الجرارة ضد قبائل مهمتها المطاردة و القنص و ليس من السهل قمع أفراد هذه القبائل الشرسة و المنتشرين في نطاقهم الجغرافي الواسع و المتفرق و المـشتت لأقـوى الجيوش " [4] .

و يتضح مما سبق أن الأحداث لم تسير حسب ما أراد العثمانيون و أن كل القوات و الإعـداد و العدة فشلت لقوة و صلابة المقاومة الزرنوقية و إتباع تكتيك حرب العصابات من حيث الفر و الكر و الهجمات الخاطفة الموجعة و عدم التواجد في مكان واحد و هذا ما جعل العثمـانيين يعيدون التفكير في خططهم .

---

[1] - Ibid .

[2] - كوز ، كويزي معقل صحراوي و بحري للزرانيق تقع في شمال غرب بيت الفقيه و جنوب الحديدة .

[3] - Ibid .

[4] - Ibid .

- العميد يوسف باشا في بلاد الزرانيق

من خلال تصفح تاريخ اليمن خلال الاحتلال العثماني في مطلع القرن العشرين يبـرز اسـم القائد العثماني يوسف باشا كقائد للقوات العسكرية العثمانية لفترات متعددة و كشخصية تركية صعبة المراس عنيدة في مواقفها ، و اختيار العميد يوسف باشا من قبل الحكومـة العثمانيـة يحمل مدلولات عديدة أهمها أن كل العمليات العسكرية ضد الزرانيق فشلت ، و لأهمية هـذه القبائل وإستراتيجية مواقعها الجغرافية و أيضاً لجعل هذه القبائل عبرة و عظة لبقيـة قبائـل تهامة واليمن لكل ذلك تم اختيار يوسف باشا العنيد و الذي لم يدخل معركة مع قوة يمنيـة إلا وخرج منتصراً .

ويسرد ريتشارد سون نائب القنصل البريطاني في الحديدة بقية الأحداث لكونه شاهداً و متابعاً فيقول في رسالة بعثها إلى السيد لوثر G . Lowther مؤرخة بـ (19 مـارس 1909 – 27 / 2 / 1327 هـ) ما يلي : " سيدي ، تواصلاً مع رسالتي رقم 6 للثاني مـن الـشهر الجاري (10/ 2/ 1327هـ) على سيادتكم يشرفني أن أبلغكم بأن العميد يوسف باشا ، وصل هنا في الخامس عشر من الشهر الجاري (23 /2 / 1327 هـ) قادماً من صنعاء لكي يتولى قيادة العمليات العسكرية التأديبية ضد قبائل الزرانيق ، حيث وصلت أيضاً ثلاث كتائـب [1] مشاة قادمة من صنعاء تحديداً الكتيبة الثالثة من الفوج الثاني و الخمـسين و الفـوج الثـاني و الستين و الفوج السابع و الثلاثين مع مجاميع مسلحة أخرى تبلغ 1.500 رجل و 25 من جنود سلاح الفرسان و **100** شـرطي خيالـة (سـواري) و أربعـة مـدافع بمرافقـه ضـباط و موظفين من رتب عالية و قد واصل الجميع بسرعة سيرهم مباشرة حتـى وصـلوا إلـى المراوعة وتجمعت هناك الامدادات العسكرية و التعزيزات .

و قد وصلت قبل بضعة أيام من الأهجر **Hujjur** سريتين [2] من الكتيبة الثالثة الفوج الرابع و الستين بما فيها 143 جندي مشاة لكي تلتحق بالقوة الخاصة (النخبة) في الحملة " [3] .

ثم يتابع ريتشارد تقريره عن العميد يوسف فيقول " و فـي الـسابع مـن الـشهر الجـاري (15/ 2 / 1327هـ) تحرك يوسف باشا الذي كان قد وصل إلى الحديدة لاتخاذ الترتيبـات الناجحة حول النقل و المؤن العسكرية و الذخائر للقوات المسلحة التي تعمل تحـت قيادتـه ، و في نفس الوقت وصلت إلى المراوعة سريتين من المشاة من الأهجر كما ذكر سابقاً .

---

[1] - الكتيبة فرقة عسكرية مكونة من ألف جندي .

[2] - السرية أو البلوك من الجيش عدد أفرادها 160 رجل .

[3] - Ibid . P . 544.

و يتابع التقرير ذكر المعارك بين الزرانيق و العثمانيين فيقول " و وصلت أخبار إلى الحديـدة في نفس - اليوم – 7 (15/ 2 / 1327هـ) – من ارض المعارك بأن رجال قبائل الزرانيق شنوا هجوماً قوياً و كاسحاً على الميجر محمد رضا بيك في منطقة الحسينية وهي من معاقـل العدو – يقصد الزرانيق – و كانت قد احتلها و سيطر عليها سابقاً و لكنه أصبح الآن محاصراً ثم قاد قواته المحاصرة لفك الحصار و نجح في هزيمة الثائرين و كلفهم خسائر فادحـة كمـا تذكر التقارير العثمانية و تذكر أن حوالي 80 عربي لقوا مصرعهم و جرح العديد منهم " [1]

و ينتقل التقرير إلى ذكر زحف الأمير آلاي (العميد) يوسف باشا بقواته إلـى عمـق بـلاد الزرانيق فيقول " و يذكر أن القوات التي يقودها العميد يوسف باشا قد بدأت الزحف و انطلقت في الثامن من الشهر الجاري (16 /2 /1327 هـ) من المراوعة باتجـاه بـلاد الزرانيـق و تتألف القوات مما يلي :-

- 1.500 جنود مشاة
- 125 خيالة (سواري)
- 4 مدافع جبلية

إضافة إلى قوات نظامية و غير نظامية كثيرة العدد ، و فـي المنطقـة المـذكورة أعـلاه – المراوعة – التقى العميد يوسف باشا بخمسة مشائخ من قبيلة العبـسية و معهـم أتبـاعهم و انضموا معهم و اتجه الجميع إلى منطقة شجينة [2] حيث التحق بهم مشائخ الرماة و انضموا معهم و رافقوهم إلى منطقة المحوى [3] الواقعة في الأطراف الشرقية لبلاد الزرانيـق " [4]

و يتوصل ريتشارد سون بطرقه الإستخباراتية إلى مضمون الرسائل التي بعث بها الزرانيـق و مطالب الدولة العثمانية منهم فيقول" و في التاسع من الشهر الجاري (17 / 2/ 1327 هـ) تلقى يوسف باشا رسالة مرسلة من رجال القبائل القاطنين في المناطق الشمالية الشرقية مـن مناطق الزرانيق و مضمون هذه الرسالة السؤال عن إمكانية التوصل إلى حل سلمي بمعاهـدة مرضية للجميع ، أحيلت رسالتهم و موضوعهم إلى القيادة العليا في مركز الولايـة بـصنعاء و التي أرسلت بأوامر صارمة إلى العميد بأنه لا يمكن الموافقة على مطالب رجال القبائل إلا

---

1 - Ibid .

2 - شجينة منطقة تقع في شمال بيت الفقيه و كانت تتبع قضاء بيت الفقيه .

3 - المحوى تقع في الشمال الشرقي من بيت الفقيه .

4- Ibid .

بعد إعلان خضوعهم و انقيادهم للدولة العثمانية و من ثم الالتزام بتنفيذ الشروط التالية :-

1- تسديد جميع المتأخرات الثابتة من الضرائب و المستحق دفعها سابقاً و لاحقـاً مـن رجال القبائل إلى الحكومة العثمانية .

2- تعويض المسلوبات المأخوذة من تجار زبيد و الحديدة خلال الخمس سنوات الماضية و التي تقدر ما بين 5.000 L – 10.000 L (جنيه استرليني) و كانت هذه مسلوبة مـن جمال القوافل التي تمر من خلال بلادهم .

3- تسليم جميع الأسلحة و الذخائر و أي عتاد حربي يمتلكها القبائل .

4- تدمير الأدغال و الغابات الكثيفة في أراضي قبائل الزرانيق و التي يستفيد منها رجال القبائل في الاحتماء بها و اتخاذها كملاجئ لهم و تحصين أنفسهم فيها عندما يطاردهم العثمانيون و كذلك اتخاذها لقنص الأتراك ، و القيام بعمل غارات و هجمـات علـى القوافل من خلال هذه الأدغال و التي تعمل على إخفاء العرب .

5- تسليم سبعة و خمسون ضمين (يقصد رهينة) يمثلون مختلف شرائح القبائل و مـن ضمنهم تجار في المنصورية و الدريهمي و الاحتفاظ بهم كـضمانة بحيـث تتخلـى القبائل عن أعمال التمرد و تسلك سلوكاً جيداً في المستقبل " [1] .

و من البنود السابقة يتضح أنها شروط تعجيزيه معروفة الجواب عليها مسبقاً من قبـل قبائـل تعتز بكرامتها و سلاحها و بلادها و إنسانها ، و لكن الزرانيق اتبعـوا المراوغـة و الـدهاء و بطريقة سياسية كان ردهم أن " مشائخ و مقادمة قبائل الزرانيق يبدون استعدادهم للموافقـة على قبول الشرطين الأول و الثاني و المناقشة حول كيفية تنفيذهما و لكنهم لـن ينظـروا أو حتى يناقشوا في بقية الثلاثة الشروط المقترحة من الأتراك " [2] وكان لابد من وقوع القتـال و خاصة أن يوسف باشا أدرك المماطلة من قبل الزرانيق لكسب الوقت ودخول فصل الصيف و لذلك فقد بادر " في الثالث من الشهر الحالي (18 /2 /1327هـ) بشن هجوم من مقره الذي كان ما يزال به وهو المحوى فهاجم عدداً من القـرى المجـاورة و بعـد معاقبـة العـرب و تدمير قراهم عادوا إلى مخيمه في الموقع أعلاه " [3] .

و يريد العميد يوسف باشا الوصول إلى بيت الفقيه و الالتقاء بقـوات محمـد نجيـب باشـا و المحاصرة في بيت الفقيه ، و قد أدرك الزرانيق غرضه فانسحبوا و شنوا حرب عـصابات و تكبدت قواته خسائر في الأرواح كبيرة فـ " فـي الثالـث عـشر مـن الـشهر الحـالي

---

[1] - Ibid .
[2] - Ibid .
[3] - Ibid .

(21/ 2/ 1327هـ) وصلت قواته إلى بيت الفقيه بعد قتالٍ شديد استمر ساعات عديدة و نزل بعدها في موقع حصين خارج المدينة (التربة) و انضمت إليه في هذه المدينة الجيوش التـي كان يقودها متصرف الحديدة و بقي الجميع ما يقارب شـهراً ملـزمين بتحـصين مـواقعهم و أنفسهم وأصبحوا شبه محاصرين و وقعوا في نفس النكسة التي حـدثت لهـم فـي الثالـث و العشرين من شهر فبراير الماضي (3/ 2 / 1327 هـ) و هـم منتظـرين الإمـدادات العسكرية و التعزيزات و قد دعمت الآن بحملة مكونة مـن أكثـر مـن 700 جنـدي مـن المشاة " [1] .

فقد أصبحت القوات العثمانية و معهم العميد يوسف باشا و المتصرف نجيب باشا و الميجـر رضا بيك محاصرين في بلاد الزرانيق و توجه يوسف باشا إلى فك الحصار بالهجوم و عـدم الاكتفاء بالدفاع فقد " وصلت أخبار في ظهيرة يومنا هذا (تاريخ التقريـر فـي 19 مـارس 1909 – 27 / 2 / 1327هـ) إلى القائم بأعمال المتصرف من بيت الفقيه أن يوسف باشـا قاد في غسق الفجر قواته زاحفاً نحو رجال القبائل في معاقلهم و المتمركـزين فـي قـراهم المجاورة و هي الحطبية و القوقر و العباسي [2] و قاد قوات ضخمة و بعـد قتـال عنيـف استغرق ثمان ساعات أجبروهم على التقهقر و الانسحاب من مواقعهم و يقدر عدد الخـسائر من جانب العرب بمئة قتيل و جرح عدد مشابه للقتلى و نهب كميـات كبيـرة مـن الأغنـام و المواشي و سوقها إلى بيت الفقيه بينما الخسائر من الجانب العثماني فادحة و لكن غير معلنة و متكتم عنها و يقولون إنها ليست بالعدد الكبير .. !

و في نفس اليوم شن الميجر رضا بيك قائد العمليات العسكرية هجوماً على الثوار المجاورين لمنطقة الحسينية و أنزل فيهم – كما يقول- عقوبات شديدة " [3] .

و يذكر التقرير مساندة القبائل التهامية للزرانيق و تبرير يوسف باشا هزائمه بـأن قواتـه لا تكفي وأن القبائل العربية تتفق مع الزرانيق ، يقول ريتشارد " و جاءني بلاغ أن يوسف باشـا رفع تقرير إلى مقرات القيادة التركية العليا يذكر فيه أنه قد تم التأكد من أن القبائل المجـاورة تضم جهودها و مناصرتها لأصحاب قبائل الزرانيق ضد الأتراك و يساندوهم بكـل الوسـائل و أن دعم قواته غير كافي لإجراء قمع و تأديب كلي لهم " [4] .

---

[1] - Ibid .

[2] - الحطبية و القوقر و العباسي هي قرى تتبع الزرانيق و تقع في شمال بيت الفقيه .

[3] - Ibid .

[4] - Ibid .

و هذا ما جعل ريتشارد يذكر القوات العثمانية الغير مذكورة سابقاً في الحـسينية و القـوات البحرية فيقول " و إضافة إلى الجيوش التي يقودها يوسف باشا في بيت الفقيه يوجد هناك أربع كتائب و نصف من المشاة (يصل عددهم مـن 1.500 إلـى 1.600 جنـدي) و مـدفعين و مدفعية جبلية بقيادة رضا بيك في منطقة الحسينية ... و كان من غير الممكن التأكد من عدد الكتائب و الأفواج المذكورة أعلاه التي عادت و انتقلت من منطقة ريمة و تعز إلى زبيـد ثـم الزرانيق و اعتقد أن إحدى الكتائب التي هي كتيبة نيشانجي Nishanjee الرابعة عشر التحقـت بفيلق الجيش اليمن ، و قد أظهرت البارجتين المدفعيين التركيين في البحـر و همـا طـاش كوبري Tashkubri و نعوشهر Naushahr نشاطاً ملحوظاً و كبيراً مؤخراً في السيطرة على خفر سواحل الزرانيق بنية تشديد الحصار و منع إدخال الأسلحة إلى داخل البلاد التـي تـستخدمها القبائل الثائرة " [1] .

فشلت الحملات العسكرية بقيادة العميد يوسف باشا و المتصرف نجيب باشا و الميجر رضـا بيك ، و أرادوا إيجاد مبررات لفشلهم ، و أثناء ذلك حدثت تمردات بين جنودهم ، و بالـذات الجنود العرب الذين رأوا قرى عربية تدمر وتحرق و نساء و مشائخ و أطفال عرب مسلمون يقتلون ليس لهم ذنب ، أما الجنود الأتراك فـرأوا مناخـاً حـاراً قاسـياً ووخيمـاً ممرضـاً و مستنقعات يملأها البعوض و يسمعون أصوات محاربين يقاتلون عن أراضيهم و لا يرونهم ، فهم أشباح يقتنصون الفريسة من دون وجود ، يتراءى لهم خيالهم في جوف الليل لتطيح بهم قتلى و لتبلعهم و هاد و صحاري و أدغال الزرانيق فـ " أملهم بالرجوع يكون ضـعيفاً " [2] بل هناك دراسة مؤكدة " أن من بين الجنود الذين أرسلوا إلى اليمن من الأتراك لم يعد مـنهم إلى وطنهم أكثر من عشرين بالمائة " [3] و أن ما بين 1903 إلى 1909 فُقد أكثر من مائـة تركي [4] ، و هذا ما حدث مع الضباط و الجنود العثمانيون فقد كتب الكولونيـل كـونيرس سورتس H.conyers Surtees الملحق العسكري في استانبول في رسالة إلى السيد لوثر G. Lowther [5] بتاريخ 23 يونيو 1909 (5 / 6 / 1327هـ) حيث ذكر فرار مئات الجنود الأتراك من ساحة المعارك في بلاد الزرانيق ومنهم " مائة جندي تركي كانوا يؤدون الواجب ضد قبائـل الزرانيق ففروا في الثاني من مايو 1909 (2/ 4 / 1327 هـ) فجأة من دون أخـذ الإذن وواصلوا سيرهم مع أسلحتهم من بيت الفقيه إلى الحديدة وأعلنوا التمرد ... وفي السادس مـن

---

[1] - Ibid .

[2] - رامزور ، الدكتور أرنست ، تركيا الفتاة ، صـ136 .

[3] - المرجع السابق ، صـ206 .

[4] - المرجع السابق .

[5] - Ibid . No 76 . P . 546 .

شهر مايو (16 / 4 / 1327هـ) وصل إلى مدينة الحديدة في منتصف الليل الميجر رضا بك والذي كان في قيادة العمليات العسكرية ضد قبائل الزرانيق مع أربع سرايا من جند المشاة وأربعة مدافع جبلية " [1] ، وحدثت تمردات عديدة وفرار ونجا بنفسه من نجا من نار تهامة وحرها ومن بنادق الزرانيق وقناصها وانتهت العمليات العسكرية التركية لصالح الزرانيق كما يقر بذلك تقرير تركي [2] .

- **المصادر الزرنوقية .**

قد تم إستعراض الوثائق العثمانية والبريطانية عن العمليات العسكرية الكبرى في مطلع القرن العشرين ضد الزرانيق وتم إستقراء رؤاهم وسردهم للمعارك ولم يتبقى إلا استعراض الطرف الآخر وهو الزرانيق ويعتمد ذلك على التراث المكتوب ويتمثل في كتابين وهما :-

1- تاريخ حرب الأتراك وحرب الإدريسي وحرب الإمام يحي مع الزرانيق للسيد قاسم بن أحمد بن عبد القادر البحر(1314 – 1397هـ) وقد امد المؤلف بصورة منه السيد العلامة أحمد بن قاسم بن أحمد البحر رحمه الله .

2- الروض الأنيق للأستاذ محمد عمر شبيلي .

إضافة إلى الكتابين المذكورين هناك تراث شفهي ما زال يقص حتى يومنا هذا عن كل المعارك في تلك الفترة وقد إلتقى المؤلف بكثير ممن إشترك في تلك المعارك أو رواها .

- **رواية قاسم البحر :-**

يقول العلامة قاسم البحر " وفي السنة المذكورة – 1326هـ (فبراير 1908 / فبراير 1909) - تقدمت جيوش الأتراك على الزرانيق يرأسهم محمد نجيب باشا ورضا باشا ويوسف باشا ، أولاً تقدم محمد نجيب من بيت الفقيه قاصداً حرب الزرانيق الطرف اليماني الذي يرأسهم الشيخ أمحمد يحي فاشق وذلك في يوم الإثنين من السنة المذكورة في حزيران ، وكان خروج محمد نجيب بجيش جرار ومعه المدافع والرشاشات والقوة الهائلة قاصداً فتح الحسينية ، وكان سلاح الأتراك البندقية الموزر مع الجميع وجمال تحمل آلآت الحرب والزاد والماء ، وكان خروج محمد نجيب من بيت الفقيه مع قواته بعد صلاة الفجر وسار بالجيش إلى أن وصل وادي كويع السائلة للوادي ، وتصدت له الزرانيق وأحاطوا به وبجيشه من اليمن والشرق والغرب ودارت معارك كبيرة ، وأخيراً كسرت الأتراك وولوا هاربين إلى جهة القبلة

---

1 - Ibid .

2 - وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف داخلية متنوعة (DH.MUI) برقم 57/8 ، (توجد صورة منه في المركز الوطني للوثائق) .

وهزم محد نجيب وقتل معظم جيشه في تلك المعارك وأخذ الزرانيـق المـدافع والرشاشـات وسلاح من قتل من الأتراك وأخذوا قوافل من الجمال والبغال التي تحمـل الـذخائر ومئونـة كبيرة وغير ذلك ، وفر محمد نجيب على حصانه هارباً إلى بيت الفقيه مذموماً مدحوراً .

- **رضا في الحسينية**

وفي اليوم المذكور من السنة المذكورة تقدم رضا باشا من زبيد إلى الحسينية بجيش جرار وقوة هائلة ومدافع ورشاشات وسلاح الجيش الموزر في يوم واحد وجرت معارك بينه وبـين الزرانيق الطرف اليماني ، فتوفق ودخل رضا قرية الحسينية وفتحها وملك حصن الفاشق بعد معارك كبيرة حصل من جرائها قتلى كثيرة بين الطرفين وقتلت عبيد الفاشق في باب الحصن هذا وأما القتلى التي تكبدها محمد نجيب العثماني فنحو ألف قتيل .

- **توسط المناصب**

" ثم أنه كان من محمد نجيب باشا طلب مناصيب البلاد وساداتها وعلمائها وطلب منهم التوسط على الزرانيق في إرجاع المدافع والرشاشات وكان منهم إرجاع المدافع والرشاشـات إلى الحكومة بعد ثلاثة أيام من المعارك حيث أنهم لا يبالون بالمدافع لأن بلادهم كلها قـشاش ولم تضر بها المدافع ولا الرشاشات " .

- **يوسف باشا في الطرف الشامي**

" وأما يوسف باشا فتقدم بعد ثلاثة أيام من بيت الفقيه إلى الزرانيق الطرف الشامي يرأسهم عبدالله حسن معروف ومنصر معروف ووقعت معارك حامية الوطيس وحصلت جملة قتلـى من الجانبين ، ومن ذلك أن أمحمد جروب معروف وعشرة من أبطـال الزرانيـق هجمـوا وتقدموا فوق المدافع والرشاشات قاصدين نهبها وأخذها من جيش الأتـراك فـاقتتلوا ، فقتـل أمحمد جروب معروف والعشرة الأبطال الذين تقدموا معه وقطعت رؤوسهم ثم كان من بقيـة الزرانيق الأبطال من الطرف الشامي الصمود في وجه يوسف باشا وجيشه بالحرب حتى رجع القهقرى وعاد إلى بيت الفقيه بعد أن حصلت جملة قتلى من الأتراك ، ودامت الحرب ثلاثـة أشهر من السنة المذكورة بين كافة الزرانيق والأتراك ، حيث كان الزرانيق لا يتوقفون عـن إطلاق النار على القوات العثمانية في كل مرتب فيه جيش الأتراك في مدينة بيت الفقيه ، وفي الحسينية وفي كل مرتب – أي حامية – ومخيم – أي معسكر – للجيوش التركية "

- **المقاومة الأهلية في بيت الفقيه**

" وكانت أهالي مدينة بيت الفقيه تساند الزرانيق على الأتراك ، تقتل الجنود الأتراك ليلاً ، ويقولون قتلتهم الزرانيق ، هذا خلاصة حرب الزرانيق مع الأتراك سنة 1326هـ " .

- **أحمد شراعي يرفع للسلطان عبد الحميد**

" ثم أنه كان من السيد أحمد شراعي صاحب الحديدة الرفع إلى السلطان عبد الحميد ، وخلاصة الرفع :- (أن الزرانيق بذلوا الطاعة لمحمد نجيب وبذلوا الرهائن فلم يقبل ، وأنه هو ويوسف باشا ورضا باشا تسببوا بقتل أبناء الدولة الأتراك وجيش الحكومة ونهب سلاحها وذخائرها)، فأمر السلطان عبد الحميد برفع محمد نجيب ويوسف باشا ورضا باشا من اليمن " هذه هي رواية السيد قاسم بن أحمد البحر وهي رواية معاصرة للأحداث ودقيقة ولكنها ضئيلة و مختزلة وتعتمد على السماع رغم المعاصرة والمشاهدة .

- **رواية الشيخ يحي منصر**

وهي رواية نقلها الأستاذ / محمد عمر شبيلي والذي لازم الشيخ / يحيى منصر معروف أكثر من سبعة وعشرين عاماً خرج بكتاب الروض الأنيق وهي عبارة عن مذكرات الشيخ يحيى منصر إضافة إلى أخذه برواية السيد عمر جني مقبول أحد حفاظ الزرانيق ورواتها ، تقول الرواية :-

" وصل من الأستانة ثلاثة أتراك وهم محمد نجيب باشا ويوسف باشا ورضا باشا ، وهؤلاء القواد الثلاثة كل واحد منهم يصحبه جيش عظيم .

فأما محمد نجيب ويوسف باشا نزلا بالحديدة ونزل رضا باشا في باب المندب والهدف أن يأخذ كل واحد منهم جهة من بلاد الزرانيق لكي يفرقوها ويشتتوا جمعها ويخضعوها إخضاعاً تاماً لدولتهم ، فأما محمد نجيب فعزم من الحديدة إلى بيت الفقيه وطلب المشائخ والأعيان والعقال وأمر بحبسهم واتجه يوسف باشا إلى قرية المحوى في قبيلة الوعارية شرق قبلة – أي شمال شرق – الطرف الشامي من الزرانيق ، وأما رضا باشا نزل في باب المندب واتجه إلى زبيد ثم من زبيد بجوار الزرانيق الطرف اليماني ، ولما حبس محمد نجيب المشائخ والأعيان والعقال هاجت الزرانيق وعرف القواد هيجانهم فتكاتبوا فيما بينهم على أن يشعلوا الحرب في يوم واحد .

- **الحرب من كل الجهات**

فتقدم يوسف باشا يقصد قرية الجنبعية مقر عبدالله حسن معروف وكـان عبـدالله حـسن معروف قد علم بحبس المشائخ والعقال والأعيان وعرف هدف الأتراك ومكان كل قائد منهم ، فعبأ لكل جهة ما يكفيها من الزرانيق .

فأما يوسف باشا فالتقاه بنفسه بجوار قرية الجنبعية والتحم القتال وهزم يوسف باشا وعاد إلـى المحوى يجر أذيال الخيبة والهزيمة بعد بعد مقتل ألف تركي ومن الزرانيق في هذه المعركـة خمسون شهيداً ومائة وخمسون جريحاً .

أما رضا باشا ، فقد إلتقى مع الجهة التي أعدت له في وادي المحط جنوب قرية الحسينية فـي الطرف اليماني من الزرانيق ونشب القتال بين الطرفين ، وزحف بصحبة القتـل حتـى بلـغ الحسينية وتمكن من دخول حصنها بعد أن بلغ عدد القتلى من الأتراك تسعمائة مقاتـل ومـن الزرانيق مائة وثلاثون شهيداً ما عدا الجرحى من الطرفين .

- **القائد محمد نجيب والزرانيق**

محمد نجيب هو أحد القواد الثلاثة وهو الذي أمر بحبس المشائخ والأعيان والعقال عنـدما دخل بيت الفقيه ، فقد خرج من بيت الفقيه وأخذ المشائخ والأعيان والعقـال معـه مغلـولين بالسلاسل في أعناقهم وقصده أن يسلمهم إلى رضا باشا ويريد رضا باشا إرسالهم إلى تركيـا عن طريق باب المندب ، فواجهته الفرقة التي أعدت له في مسيل وادي كويع .

- **معركة وادي كويع** [1]

وأما القائد محمد نجيب فإنه تحرك من بيت الفقيه ، ووصل إلى مـسيل وادي كويـع مـع الأسرى من المشائخ والأعيان والعقال ، فاصطدم بالزرانيق والتحم القتال هنالـك واسـتحرت المعركة وبدا القتل في الأتراك من قبل الزرانيق ذريعاً وجيشه لم يجدي شيئاً ، فـأمر بقتـل العقال والأعيان من زرانيق الطرف الشامي وعاد مع المشائخ الآخرين مهزوماً إلى بيت الفقيه تصحبه الهزيمة ، والمعركة مستمرة وخلّفوا ورائهم من الأرزاق ما يحمله مـائتين وخمـسين جملاً ، وبلغ عدد القتلى والأسرى في هذه المعركة بالحصر الصحيح ألف وسـبعمائة رجـل ومن الزرانيق ثمانية وخمسون شهيداً ما عدا المشائخ والعقال الذين أمر بقتلهم .

[1] - وادي كويع : وهو وادي يقع جنوب بيت الفقيه .

- **اصطدام جيش الأتراك بعضهم ببعض**

بعد أن عاد محمد نجيب إلى بيت الفقيه اتجه يوسف باشا من المحوى إلى جبال ريمه وكانت قبائل ريمه متفقة مع الأتراك والقبائل المذكورة تقع وتسكن الجبال التي شرق الزرانيق ، ومن جبال ريمه نزل ببلاد المعازبة ، وفي نفس قرية الصعيد طلب أحد المناصيب وهو السيد يحيى سعيد وطلب منه أن يتوسط فيما بينه وبين الزرانيق ويأذنون له بالمرور إلى بيت الفقيه بدون إحداث أي فتنة ، فعزم الوسيط السيد يحيى سعيد إلى عبدالله حسن معروف فلم يجد لصلحه أذنٌ واعية عند الزرانيق ، فغامر القائد يوسف باشا وأعدّ عدّته وجهز جيشه ورتب أموره ، واتجه من الصعيد إلى بيت الفقيه على حين غرة من الزرانيق واستمر في سيره حتى منتصف الليل ما بين الصعيد وبيت الفقيه ، فجمعت الزرانيق وتصدت له القرى المجاورة للطريق المار فيها وتتابعت الغارات ونشب القتال هناك في الساعة العاشرة بعد صلاة العصر بالتوقيت العربي من نفس اليوم الذي توجه فيه إلى بيت الفقيه وكان محمد نجيب قد علم بقدوم يوسف باشا فتوجه إلى بيت الفقيه ، كما تحقق لديه أن الزرانيق تصدت ليوسف باشا وجيوشه ، فخرج محمد نجيب لنجدته وأخذ معه المدافع والرشاشات وغربت الشمس ودخل الليل والزرانيق محيطة بيوسف باشا وجنوده ، فاقترب محمد نجيب بجيشه إلى جانب المعركة فأطلق النار على جيش يوسف باشا ظناً منه أنه يطلق النار على الزرانيق لشدة ظلمة الليل ونشب القتال بين الجيشين وفرّ جيش يوسف باشا وانسحب الزرانيق ، ولم يشعر الأتراك إلا بعد أن أخذت الحرب مأخذها ، وعاد محمد نجيب ويوسف باشا إلى بيت الفقيه بعد أن ندما على ما جرى بينهم ونزل محمد نجيب دار الحكومة ويوسف باشا قرية التربة غرب بيت الفقيه ومكث مع جيشه هناك وبلغ القتلى في هذه المعركة من الأتراك ألفي قتيل ومن الزرانيق مائة وستة شهيداً ما عدا الجرحى من الفريقين .

- **يوم بئر القطنية**

بعد أن هزم جيش الأتراك وعاد القائدين إلى بيت الفقيه وقرية التربة ، قام محمد نجيب وعبأ جيشه وعد العدة لحرب الزرانيق ، وخرج محمد نجيب يقصد قرية الحطبية في الطرف الشامي ، فالتقاه عبدالله حسن معروف والزرانيق بجانب بئر القطنية [1] والتي تقع غرب شمال بيت الفقيه والتحم القتال هناك ، وكان محمد نجيب قد اصطحب معه مدفعاً فلم يزل

[1] - بئر القطنية : وهي عبارة عن بئر تقع في الشمال الغربي من بيت الفقيه .

الزرانيق يقاتلونه بعناد وتصميم حتى أخذوا المدفع وهزم محمد نجيب وعاد إلى بيت الفقيه بعد أن قتل من الأتراك ثلاثمائة قتيل ومن الزرانيق أربعون شهيداً ما عدا الجرحى من الطرفين .

- **يوم الحطبية**

لما عاد محمد نجيب إلى بيت الفقيه مهزوماً ، تشاورا القائدان محمد نجيب ويوسف باشـا واتفقا على أن يبقى محمد نجيب في بيت الفقيه ويخرج يوسف باشـا بالجيـشين إلـى قريـة الحطبية فتجهز يوسف باشا ، وخرج من بيت الفقيه بعدته وعتاده وجيوشه الجرارة إلى القرية التي يقيم فيها زعيم الزرانيق آنذاك عبدالله حسن معروف ، فخرجت الزرانيق وعلى رأسـها عبدالله حسن معروف للقاء يوسف باشا وجيشه ، فالتقوا بجانب بئر القطنية مرة أخرى واشتد القتال واستمر القائد العثماني بجيشه والقتل يصحبهم حتى كاد أن يشرف على قرية الحطبيـة وهنا تدبر الزرانيق أمرهم وحملوا حملة رجل واحد وأحاطوا به من جميع الجهات ومنعوه من إحتلال القرية ، فحاول الرجوع إلى بيت الفقيه ، فمنعه الزرانيق ولم يجد منفذاً إلا إلى مدينـة المنصورية ، ففسحوا له وتراخوا عنه حتى يستمر في طريقه إلى المنصورية وكانـت هـذه المعركة أشد المعارك وأشرسها بين الزرانيق والأتراك حيث أسفرت عن مقتل ثلاثة آلاف من جيش الأتراك مع الجرحى ومن الزرانيق مائة شهيد منهم خمسة وعشرون شهيداً من رؤسـاء الزرانيق والذين لا زال ندم الزرانيق عليهم حتى الآن والجرحى خمسة وعشرون جريحاً .
ولكن عبدالله حسن معروف قائد الزرانيق في المعركة لم يصب بأذى ولم يصبه شـيء وبلـغ القائد العثماني مع فلول جيشه إلى المنصورية ومكث بها خمس عشر يوماً ثم عزم إلى الحديدة ومنها توجه بحراً إلى الأستانة في تركيا .

- **محمد نجيب والوسيط السيد أحمد شراعي**

لما هزم جيش الأتراك ، وعاد يوسف باشا إلى الأستانة وتحقق له أنه لا يـستطيع ضـبط الزرانيق وجاءته الأخبار أن الزرانيق يهمون بالهجوم عليه ، فسارع مبادراً بطلب السيد أحمد شراعي وطلب منه أن يصلح بينه وبين الزرانيق ، فخرج السيد أحمد شراعي مـن الحديـدة وأخذ معه السيد عبدالقادر الأهدل صاحب المراوعة والسيد أحمد بحر صاحب المنـصورية ، فوصل الجميع إلى بيت الفقيه ، واتفقوا مع محمد نجيب ودارت المحادثات بينهم ، وقد أكد لهم محمد نجيب أن الحالة لا تستقر ولا تضع الحرب أوزارها إلا بدخول عبدالله حسن معـروف إلى بيت الفقيه ، فخرجوا من لديه وتوجهوا إلى عبدالله حسن معروف وبعد ممارسـة الـسادة

لكل الضغوط رضي معهم على أن يطلق محمد نجيب شيخ الطرف الشامي منـصر صـغير معروف وشيخ الطرف اليماني امحمد يحيى هبه فاشق المسجونين لديه وجميـع المـساجين ، فلبوا شرطه وتوجهوا إلى محمد نجيب وقبل الشرط ، فوصل عبدالله حسن إلى بيـت الفقيـه ودخل معهم على محمد نجيب وتحادث معه وفعلاً أطلق المحابيس المشائخ وعقال الطـرفين اليماني و الشامي ، وتمت الشروط بينهم بأن يكون حكم الزرانيق عائداً إلى المشائخ ، والتزم عبدالله حسن معروف بضبط الزرانيق ومشائخها لأن الزرانيـق كـانوا يعتبرونـه الوحيـد ويصدرون عن رأيه السديد " [1] .

وهكذا أوردت المصادر الزرنوقية المكتوبة ما يتردد على الألسن ويحكى في كـل الأمـاكن وتذكر أسماء أبطال الزرانيق وتسرد بأسلوب تغريبة بني هلال ، فتشنف لها الأسماع وتنصت القلوب لذكر أحداثها وسلاسة ألفاظ محدثها وحركات جسده التي تتفاعل مع الأحداث وبـشكل درامي سريع .

- **المصادر التهامية**

وهي مصدر تهامي وحيد معاصر لتلك الأحداث وإن كان بعيد عنها مكانياً إلا أنه يـسمع ويسجل ، وهذا المصدر هو أحد من خدم الأتراك وعمل معهم ، إنه المؤرخ الوشـلي والـذي ذكر الأحداث في حولياته فقال : " وفي شهر محرم 1327هـ (يناير 1909م) عاثت قبيلـة الزرانيق بقطع الطرق والقتل والنهب للمارين ، فجهزت الدولة عليهم الجيش الكثيـر والعـدة العظيمة ورئيسهم رضا بك ، ولما وصل إلى بلادهم عسكر ببيت الفقيه ابن عجيـل ، فبـذلت حينئذ الزرانيق الطاعة وتسليم الأموال الدولية – أي الضرائب – المتراكمـة عنـدهم والتـي نهبوها الناس من الطرق ، وبذلوا لهم المراهين – الرهائن – فلم تقبـل مـنهم الدولـة – أي الحكومة العثمانية – إلا المناجزة بالحرب ما جهزوا عليهم إلا لإعـدامهم بالكليـة ، فـانفتح الحرب بينهم وطال وتتابعت الوقائع واستدام نحو شهرين ونصف فقتل مـن الفـريقين جمـع عظيم ، ثم توسط بينهم صاحب المراوعة السيد عبد الباري بـن أحمـد الأهـدل وصـاحب المنصورية السيد أحمد بن يحيى بحر ، وجرى الصلح على أيديهم وانفك الحرب " [2] .

وهذه رواية تميل للإختزال والإختصار وتميل إلى الحياد لولا ذكره أن الزرانيق بذلوا الرهائن وهذا ما طلبته القيادة العثمانية لكن الزرانيق رفضوا كما تذكر جميع المصادر ، وأيضاً غيـب دور أحمد بن يحيى شراعي وهو ما ذكرته المصادر الزرنوقية وكـذلك ذكـره الدبلوماسـي

---

1 - شبيلي ، الروض الأنيق " مخطوط " .

2 - الوشلي ، الذيل حوليات 1327هـ " مخطوط " .

السوفييتي انكارين نقلاً عن أحد العرب الذي عايش الزرانيق في تلك الفترة فقال : " ووصل رئيس مدينة الحديدة أحمد شبراي – يقصد شراعي – باشا إلى الزرانيق ، وأطلق سراح الأسرى وأصبح يدفع راتباً لكل شيخ من أجل عدم قطع الطريق " [1] .

وقد كان لكل ما سبق انعكاسات واضحة في استمرارية العلاقة بين الزرانيق والأتراك الذين رضخوا لمطالب الزرانيق وأصبح مشائخهم يستلمون مبالغ مالية سنوية [2] ويحكمون بلادهم .

وبعزل الوالي حسن تحسين باشا في 1328هـ يبدأ عصر الزرانيق المستقلين والغير خاضعين لسلطان وكل الولاة الذين أتوا بعده لم يفعلوا شيئاً ولم تحدث حوادث تستحق الذكر إلا القليل وغير ذي أهمية .

12- ولاة متعددون من 1328 – 1337هـ .

1- كامل بك (صفر 1328 – جماد أول 1328هـ)

بعد عزل حسن تحسين باشا عين كامل بك والياً على اليمن وكان متصرفاً لتعز .

ولم تحدث في عهده القصير من الزرانيق شيء يذكر .

2- محمد كامل باشا (جماد أول 1328- 1329)

وتولى اليمن في 12 جماد أول 1328هـ (1910/5/21م) وهو من جمعية الاتحاد والترقي العثمانية وذو نزعة عنصرية تتريكية "وكان فظاً غليظاً متكبراً متجبراً وعامل الناس بالعنف والشدة والظلم والجور ... وكان فكره أنه لا يصلح اليمن إلا الشدة والقسوة فلا زال يحبس هذا ويضرب هذا من دون سبب مع تسليمهم لحقوق الدولة وخضوعهم للأوامر والنواهي " [3] ونتيجة لذلك عادت الثورة من جديد في أرجاء اليمن .

وفي بلاد الزرانيق ، قام مأمور بتعذيب زرنوقي حتى الموت خنقاً ، وعند سماع الزرانيق ذلك وما عمله المأمور والجنود في هذا الزرنوقي من وسائل وأساليب تعذيب بانت في جسده فثاروا [4] في شهر جمادي الأول 1328هـ (مايو 1910) " فخالفت قبيلة الزرانيق على

---

[1] - انكارين ، المرجع السابق صـ 163 .

[2] - انظر الوثائق التالية :-

1- وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف إرادة مجلس عمومي ورقمها (3) .

2- وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف إرادة داخلية DH-ID ورقمها 7 / 184 .

3- وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف DH.MTV ورقمها 105 / 4 .

وغيرها الكثير موجودة في المركز الوطني للوثائق .

[3] - الواسعي ، المرجع السابق ، صـ 311- 312 .

[4] - لقاء مع سالم يحيى مشهور ويحيى عبدالله العمري .

الدولة بسبب ذلك ومزّقت السلك وقطعت الطرق " (1) ولجأت الدولة العثمانية إلى محاولة إسترضاءهم وفشلت في ذلك (2) ورغم ثورتهم إلا أنهم رفضوا الإنضمام إلى السيد محمد بن أحمد الإدريسي في ثورته ، ففي رسالة سرية لنائب القنصل البريطاني ريتشارد سون إلى السيد مارلنج Marling مؤرخه في 15 / 11 / 1910 (13 / 11 / 1328هـ) يقول فيها أنه " قد أرسل السيد محمد الإدريسي رسائل إلى مشائخ قبائل الزرانيق .. يحثهم فيها على الانضمام إلى ثورته ومساعدته في الهجوم على الأتراك " (3) .

3- المشير أحمد عزت باشا

تولى اليمن وكلها ثائرة ، ووصل صنعاء في ربيع أول 1329هـ (مارس 1911) ، وكانت الدولة العثمانية قد أعدت حملة ضخمة معه ، وهو عربي سوري وقد احتل منصب رئيس عام أركان حرب الجيش العثماني بعد إعلان الدستور العثماني سنة 1326هـ وقد استطاع بلسانه العربي الفصيح وبكرم أخلاقة وحكمته وأخلاقه أن يستحوذ على حب اليمنيين وأن يسعى إلى المصالحة العامة .

وجاء هذا الوالي و الزرانيق ثائرون نتيجة لإعمال الوالي السابق ، ففي وثيقة سرية مؤرخه 27\ 3 / 1911 (27 / 3 / 1329هـ) أرسلها نائب القنصل البريطاني ريتشارد سون إلى السيد لوثر يذكر فيها أنه " وفي الحادي عشر من يناير 1911 (11محرم 1329هـ) قطعت اتصالات التلغرافية والمواصلات بين مدينة تعز ومدينة الحديدة ومدمرة تماماً ورغم ذلك فقد فشلت كل الجهود المبذولة لإصلاحها بسبب منع الثوار من قبائل الزرانيق لذلك إلا أنه بعد شهرين أو ثلاثة نجحت المبادرة المشتركة لكلاً من المحاسبجي زهيد بيك ويحتل منصب القائم بأعمال المتصرف ، والشراعي باشا في القبول بما يريده الزرانيق وإعادة إصلاح الخط وأصبح التواصل بعدها بين الحديدة واستانبول مؤمن"(4) . وفي عهده أيضاً حدثت قضية قائمقام بيت الفقيه قدري بيك (5) في 17 شوال 1329هـ (10 / 10 / 1911) والتي تتخلص في ممارسة هذا القائمقام لكل أنواع التعذيب والتنكيل والظلم والفساد ضد أبناء مدينة بيت الفقيه ونتيجة للتعذيب الشديد مات مجموعة من الشباب للاشتباه بانتمائهم إلى المقاومة

---

1 - الوشلي ، الذيل حوليات 1328هـ " مخطوط " .
2 - وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف داخلية متنوعة (DH.MUI) برقم (57) صورة منها في المركز الوطني للوثائق
3 - Records of Yemen. Vol. 5 . Cobined revolt by Imam Yahya and al – Idrisi . No E 22. p 582 .
4 - Ibid . No 20 \E . p .593 .
5 - وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف أوراق مجلس شوري الدولة (S . D) رقم الوثيقة 21\2268 . (توجد صورة لدى الباحث منة صورها من المركز الوطني للوثائق) .

التهامية فثارت المدينة وانضم رجالها وشبابها إلى ثوار الزرانيق . وقد كان يزمع أحمد عزت باشا على إرسال حملة ضد الزرانيق ، ففي رسالة ريتشارد إلى لـوثر بتـاريخ 14 سـبتمبر 1911 (21 / 9 / 1329هـ) يذكر " أن الوالي عزت باشا يتمنى بعد القضاء على حركات التمرد في عسير وعلى الإدريسي التفرغ للزرانيق والتي تعود وتثور ضد السلطات العثمانيـة دائماً ومن المتوقع إرساله حملة بقيادة الميجر رضا بك إلى مواقعهم والغرض هو إجراء قمع كلي لأفراد هذه القبائل الشرسة [1] .

وفي عهد هذا الوالي تحالف الشيخ أحمد فتيني جنيد مع الإيطاليين من أجل استقلال تهامة [2] وقد رفض مشائخ الزرانيق الاعتراف بالدولة العثمانية ابتداء من عام 1330هـ (1911 – 1912) ، ففي حادثة تؤكد هذه الاستقلالية وهى أنه و " في يوم الأربعاء السادس والعـشرين من صفر – 1330هـ (14 /2 / 1912) خرج شخصان بسنبوق صغير لاصطياد الحوت بجهة غليفقة ، فرماهم الطليان من البابور بالمدفع فكسر السنبوق ، وقتـل أحـد الشخـصين وجرح الآخر ، فخرج شخصان من مشائخ قبيلة الزرانيق ، هما الكشوبع ويحيى معوضـة ، يخبران الدولة – أي الحكومة – بالحديدة بذلك ، ولما رجعا إلى بلادهما ، تلقاهما جماعة مـن الزرانيق فقتلوهما في يوم الجمعة الثامن والعشرين منه (16/ 2 / 1912) " [3] .

وهذه الروح الاستقلالية هي التي حذت بالشيخ أحمد فتيني جنيد إلى الأتفاق مـع الإيطـاليين بعدما حاصروه" في يونيو 1912 (جماد ثاني 1330هـ) فـي الطـائف المرفـأ الـصغير للزرانيق ، وأبرمت إيطاليا اتفاقاً مع قائد الزرانيق أحمد فتيني وفقاً له ستكون الطائف مستثناة من الحصار البحري مقابل تسهيلات لأجل تصدير حبوب الدخن [4] إلى اريتريا ، أما فتيني فسيمدوه كذلك بأسلحة للاستعانة بها في مواجهة الأتراك ولكنة ما إن انفلت من طائلة الحصار حتى تلاعب بالإيطاليين لحسابه ، فأرسل حمولات من دقيق القمح والأرز والسكر إلى تجـار الحديدة وبيت الفقيه وزبيد الخاضعات لحكم الأتراك ، وقدر ريتشارد سون بان 12.000 كيس من المواد الغذائية وصلت الحديدة وحدها عن طريق الطائف ، اللواء سعيد قائد قطاع الجيش في تهامة أخبر الممثل القنصلي البريطاني بأنة صارت لديه تموينات ستة أشـهر ... كنتيجـة للترتيبات المربكة بين فتيني والإيطاليين ... وحالما انكشفت مخادعة فتيني ، أطلقـت سـفينة

---

[1] - Ibid .No . 41 \E . p . 611 .

[2] - بولدري ، جون . حرب الساحل التهامي 1911 – 1912م . ترجمة وليد عبد الحميد النود ، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية – دمشق ، العدد 24 ، أغسطس 2005م صـــــ9 .

[3] - الوشلي ، الذيل حوليات 1330هـ .

[4] - حبوب الدخن MiIIet نبات من فصيلة النجيليات ، حبة صغيروهو النوع الوحيد من الحبوب الممكن زراعته في المناطق الاستوائية ويستخدم في اليمن في إعداد بعض أنواع الخبز ويزرع بوفرة في تهامة .

حربية مدافعها على خمسة عشر مركباً شراعية محملة في الطائف فامسكوا بمركبين أو ثلاثة واغرقوا مركبين آخرين بينما لاذت بقيتها بالفرار "[1] وأثناء ضرب ايطاليا للحديـدة مـن البحر ، أكد ريتشارد سون أن هناك اتفاق جديد بين فتيني والايطاليين ليحتل الزرانيق الحديدة لصالح الايطاليين ولكن خدعهم مرة أخرى[2] . فالزرانيق اذن بقيادة الشيخ أحمد فتيني جنيد خدعوا الايطاليين مرتين .

و بعد انتهاء الحرب العثمانية – الإيطالية ، طلبت إيطاليا من تركيا معاقبة الشيخ أحمد فتيني جنيد على أفعاله بادعاءات مضحكة و الغريب أن القائمقام العثماني وقف في صف الإيطاليين.

يقول المؤرخ الوشلي " في شهر شوال – 1330هـ (سبتمبر 1912) قامت الطليـان علـى أحمد فتيني من قبيلة الزرانيق ، بأن يرد عليهم ما سلموه إليه من النقود و ذلك خمسون ألـف ريال ، على أنه سيهجم بعشيرته على بندر الحديدة في أيام محاصرتهم للبندر فلم يفعـل ولـم يساعدهم على ذلك فوجهت الطليان الخطاب إلى قائمقام بيت الفقيه ابن عجيل و ذلـك لكونـه آمرهم ، فخاطبه قائمقام بعد أن استدعاه إليه ببيت الفقيه في جماعة من عشيرته فأجاب عليـه أحمد فتيني بان النقود المذكورة عندي و لكن لنا عندهم سواعي – أي سفن – وأموال أخذوها من البحر ، فغضب عند ذلك قائمقام و لطم وجه أحمد فتيني ، فأطلق أحمد فتيني و جماعتـه البنادق في القائمقام فقتلوه ، ثم خرجوا سالمين إلى محلهم المسمى بالطائف و انتقلوا منه إلـى محل آخر تحصنوا فيه "[3] أما رواية الزرانيق لمقتل القائمقام فهي تتلخص فـي أن قائمقـام بيت الفقيه صالح زكي بيك بعد أن وصله طلب الطليان و شكوتهم من أحمـد فتينـي جنيـد و أوامر متصرفية الحديدة بالقبض عليه ، لجأ صالح زكي إلى الحيلة و طلب أن يرى بطـل تهامة و الزرانيق أحمد فتيني حسب قوله و أرسل إليه ، فرفض أحمد فتينـي جنيـد و أدرك مغزى القائمقام ، فوسط القائمقام صالح بك الشيخ إبراهيم فتيني مشهور أحد مشائخ الزرانيـق و كان أحمد فتيني يحبه كثيراً ، فرفض إبراهيم فتيني مشهور ذلك ، فألح و أقسم أن لا يؤذيه و لا يلمسه بسوء ، و طلب إبراهيم فتيني مشهور من التركي صالح زكي أن يطرح له وجهه في ذلك – أي أن يخط بأصبعه على منتصف وجهه و هذا يعد عند التهاميين بمثابة العهد الذي لا ينقض و إشارة للأمان و الاستجارة – فخط بيده على وجهه و أعطـاه الأمـان ، ورحـل إبراهيم فتيني إلى الطائف و أقنع الشيخ أحمد فتيني جنيد بالمجيء معه ، و عند وصوله إلـى القائمقام صالح زكي و كان أحمد فتيني جنيد قد حوط مبنى الحكومة برجاله و لم يعلم بـذلك

[1] - بولدري ، المرجع السابق صـ ـ17 .
[2] - المرجع السابق صـ ـ ـ20 .
[3] - الوشلي ، الذيل حوليات 1330هـ .

صالح زكي و عندما رأى القائمقام أحمد فتيني جنيد أرعد و طفق يسخر مـن أحمـد فتينـي و أشتد الخلاف بينهما ثم أراد حبسه ، فلم يمتثل العسكر الترك لأمر القائمقام ، فنزل به بنفسه إلى السجن و ما كاد يخرج من مبنى الحكومة المنفصلة عن السجن و ما كاد القائمقام يخـرج بالشيخ من مبنى الحكومة حتى كان الرصاص ينهال عليـه مـن كـل صـوب و العـسكر و الضابطية يرون ذلك و يضحكون ، ثم دفن القائمقام في المقبرة الخاصة بـالترك و رجـع الشيخ أحمد فتيني جنيد إلى بلاده " [1] .

ويظل السؤال من قتل القائمقام صالح بك التركي ؟

ففي رواية أنه أحمد فتيني جنيد [2] وفي رواية أخرى أنه إبراهيم فتيني مشهور [3] ورواية أخيرة تقول أنه على فتيني جنيد أخو الشيخ أحمد فتيني جنيد وتـدعم هـذه الروايـة وثيقـة عثمانية " رفعت من والي اليمن أحمد توفيق يذكر فيها أن علي فتيني قاتل قائد منطقـة بيـت الفقيه البكباشي صالح بيك قد راءه بعض الأهالي في مدينة عدن ونظراً لان العديد من الـذين يرتكبون جرائم القتل والجرح يهربون إلى عدن ، وعليه فيجب أن يتم التفاهم مـع الـسفارة البريطانية لتسليم الذين يرتكبون الجرائم المذكورة " [4] ومؤرخة 6 رمـضان 1331هـ ـ الموافق 8 أغسطس 1913 .

4- الوالي محمود نديم باشا (1331- 1336هـ)

وهو آخر الولاة العثمانيين في اليمن ، وكان عربي شامي ، تولى مناطق يمنيه كثيرة ومنهـا قائمقامية زبيد وعرف طباع اليمنيين وكان الأتراك في أخر أيامهم والحرب العالمية الأولـى تقرع الطبول والبريطانيون يثبتون أقدامهم في البحر الأحمر وبعد انتهاء الحرب واستـسلام تركيا ، انسحب الأتراك من اليمن في 1336هـ (سبتمبر 1917 / سبتمبر 1918) ، وكانوا قد تلقوا ضربات موجعة من الزرانيق وأصبحوا مثار سخريتهم والاستهزاء بهم في آخر أيامهم حتى أن الزرنوقي كان يبيع بندق التركي لصاحبه بمبلغ يتفقا عليه فإذا اتفقا قنص الزرنـوقي التركي وأخذ سلاحه أو جاء و نهبه إياه و لا يفعل التركي شيء [5] .

وبعد إعلان هزيمة الترك قام مشائخ الزرانيق بدخول بيت الفقيه واستسلم الجنود والـضباط لهم ، فقسموهم فيما بينهم وجعلوهم أرقاء مثلما فعل الشيخ منصر صغير معروف عندما أخـذ

---

[1] - هذه رواية أوردها كل من قابلهم الباحث .

[2] - شبيلي ، الروض الأنيق " مخطوط " و لقاء مع حفيديه عيسى و أمين ابنا عبدالله أحمد فتيني جنيد .

[3] لقاء مع علي جربوح وسالم يحيى مشهور والعاقل محمد جمال .

[4] - وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف إدارة داخلية سياسية (DH . SYS) رقم الوثيقة 17\59 في الملف رقم 45 (توجد منة في المركز الوطني للوثائق وقد تفضل الدكتور فؤاد عبد الوهاب الشامي بترجمة مضمونها انظر الملحق رقم 13)

[5] - للقاء الحاج يحيى حسن زبري وقاسم سطيح .

مائتين تركي وعمل لهم مزرعة سماه نجران ليعمروها و يزرعوها له وكذلك فعـل الـشيخ حسن محمد فاشق لولا تدخل السيد أحمد شراعي باشا والذي استنقذهم منهم ورجع بهـم إلـى الحديدة ثم تركيا [1] .

---

[1] - لقاء مع علي جربوح وأحمد جروب معروف

الخاتمة

و الخلاصة لكل ما سبق في هذه الرسالة أن اليمن وطن للجميع ، فلا يجب أن ننسبه إلى فئة أو طائفة أو عنصر أو تدعي الإستئثار به و محاولة تجيير التاريخ لها فقط ، فالتاريخ اليمني ملك للجميع و الكل شارك في صنعه و يجب أن تتعلم الأجيال المقبلة أن اليمن بكل أطيافه صنع تاريخه .

و توصلنا إلى حقيقة الدور النضالي للزرانيق في تهامة ، فالزرانيق قبائل يمنية الأصل و لها دور في التاريخ منذ القدم في مقارعة الظلم و الاستبداد و المحتل و يشهد بقوتها و شدتها و بأسها كل من تتبع تاريخها و قد أكدنا خلال الدراسة على البنية السياسية للزرانيق من خلال تكوينهم القبلي المنفتح على الحياة الديمقراطية و المتماسك و مشيختهم المتأصلة ، ثم تطرقنا إلى البنية الاجتماعية من خلال التركيبة الطبقية للمجتمع الزرنوقي و هي تركيبة متجذرة و لكنها بدأت تتفسخ نوعاً ما ، و ذكرنا العادات و التقاليد و الأعراف و كذلك المأكولات و الملابس و المساكن لهذه القبيلة .

و لعل ما ركزت عليه الدراسة هو علاقة الزرانيق بالعثمانيين و دورهم المحوري و الأساسي في منازلة الإمبراطورية العثمانية عند إحتلالها لتهامة سنة 1849 ، و بينا أساليب مقاومتهم من خلال حرب العصابات و الكر و الفر و المواجهة المباشرة مروراً بالكمائن و القنص حتى استخدام أساليب الإغتيال السياسي .

و لقد استمرت تلك الأساليب حتى احتلال صنعاء في سنة 1872 فأدى ذلك إلى انضمام الزرانيق إلى المقاومة اليمنية ككل ، و أصبحت حرب الأتراك مع الزرانيق شبه يومية ، و لا يكاد والٍ أو متصرف أو قائمقام يتولى حتى تطرح عليه المسألة الزرنوقية ، و قد أدرك بعض هؤلاء القادة الأتراك مغزى كل الثورات الزرنوقية و أونها نابعة من البنية القبلية العربية وروحها في الإنطلاق بحرية ، فتركوهم و شأنهم يحكمون أنفسهم بأنفسهم و هذا هو سبب كل صراعات الزرانيق مع كل القوى المحتلة لأرضهم منذ القدم و حتى عهد الأئمة الزيدية .

و قد تطرقنا إلى دور الزرانيق في مقاومة النفوذ الأجنبي كالإيطالي و البريطاني و الفرنـسي و قد حاول كل هؤلاء كسب الزرانيق في صفهم ضد العثمـانيين الأتـراك و رغـم عـداء الزرانيق للأتراك إلا أنهم رفضوا تلك المساعدة ، و ابتداء من العشرية فـي مطلـع القـرن العشرين عاش الزرانيق باستقلالية تامة و حكموا أنفسهم بأنفسهم حتى خروج الأتراك .

ثم دخلت تهامة تحت حكم الأدارسة ثم الأئمة الزيدية و أدرك الإمام يحيى بن حميد الـدين أن حكمه لا يتم إلا بإخضاع الزرانيق ، فبدأت صفحة جديدة من حروب الزرانيق .

الوثائق و المصادر و المراجع

أولاً : الوثائق

1- الوثائق العثمانية

أ- الوثائق العثمانية الغير منشورة بالعربية *

1- وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف إرادة داخلية (I.DH) برقم 81527

2- وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف إرادة داخلية (I.DH) برقم 81912 .

3- وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف إرادة داخلية (I.DH) برقم 89322 .

4- وثيقة عثمانية ، تصنيف مجلس شورى الدولة (S.D) برقم 1 / 2267 .

5- ملف بالأرشيف العثماني تصنيف أوراق مجلس شورى الدولة (S.D) ، رقم الملف 69 الوثيقة رقم 1 / 2267 .

6- وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف محاضر مجلس الـوكلاء (M.v) رقـم الملف 76 ورقم الوثيقة 112 .

7- وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف محاضر مجلس الـوكلاء (M.v) رقـم الملف 89 ورقم الوثيقة 48 /5 .

8- وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف داخلية متنوعة (DH.MUI) برقم 57/8 .

9- وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف إرادة مجلس عمومي ورقمها (3) .

10- وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف إرادة داخلية DH-ID ورقمها 184 / 7 .

11- وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف DH.MTV ورقمها 105 / 4 .

12- وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف داخلية متنوعـة (DH.MUI) بـرقم (57) .

13- وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف أوراق مجلس شوري الدولة (S . D) رقم الوثيقة 21\2268 .

* وهي وثائق محفوظة في الأرشيف العثماني باستانبول و منها صور في المركز الـوطني بصنعاء ويشكر المؤلف رائده ومديره القاضي علي أبو الرجال كما يشكر د. فؤاد عبد الوهاب الشامي الذي تولى متفضلاً ترجمة مضمون النصوص العثمانية للمؤلف.

14- وثيقة عثمانية في الأرشيف العثماني تصنيف إدارة داخليـة سياسـية (DH . SYS) رقم الوثيقة 17\59 في الملف رقم 45 .

- السالنامات

1- سالنامة 1313هـ، مطبعة الولاية .

2- يمن سالنامة سي سنة 1314 هـ ، مطبعة الولاية – صنعاء ، (عربي) .

3- يمن سالنامة سي ، عربي 1304هـ - رومي 1302 ، مطبعة الولاية – صنعاء .

4- يمن سالنامة 1305 هـ رومي 1304 هـ ، مطبعة الولاية – صنعاء .

5- يمن سالنامة سي ، عربي 1307هـ ، رومي 1305 هـ ، مطبعة الولاية – صنعاء .

6- يمن سالنامة سي 1308هـ، مطبعة الولاية – صنعاء .

7- يمن سالنامة سي، عربي 1311هـ ، رومي 1309 هـ ، مطبعة الولاية – صنعاء

ب – الوثائق العثمانية المنشورة بالعربية

1- صابان ، سهيل (دكتور) ، الجزيرة العربية بحوث و دراسات مـن وثـائق الأرشـيف العثماني والمصادر التركية ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية – الريـاض ، الطبعـة الأولى ، 1426هـ / 2005 .

2- ...... ، تقارير أحمد مختار باشا العثمانية عن الجزيرة العربية ، مجلة الدارة ، العدد الثاني ، السنة 29 ، 1424هـ - 2003 م

3- أوغلي ، أكمل الدين أحسان " إشراف و تقديم " الدولة العثمانية تاريخ و حضارة ، نقلـه إلى العربية صالح سعداوي ، منظمة المؤتمر الإسلامي – مركـز الأبحـاث للتـاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية باستانبول ، الطبعة الأولى ، 1999 .

4- الوثائق العثمانية في تاريخ الجزيرة العربية ، أعداد الدكتور عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم ، مركز زايد للتراث و التاريخ– العين ، الطبعة الأولى ، 1420هـ/2000 م

5- عامر ، د . محمود علي ، اليمن من خلال لائحتي محمد خليل أفندي ، مجلة الإكليل ، العدد الأول – السنة السابعة – ربيع الأول 1409 هـ - 1989 م .

6- سرهنك ، المير الاي اسماعيل ، حقائق الأخبار عن دول البحـار ، المطبعـة الأميريـة ببولاق – مصر ، الطبعة الأولى سنة 1312 هـ،

7- الباب العالي . مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز(مكة المكرمة– المدينة المنورة) في الفترة من 1283 هـ إلى 1291 هـ ، ترجمة و تعليق الـدكتور سـهيل صـابان ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – لندن ، الطبعة الأولـى 1425هـ ـ- 2004 ، رقـم الأوراق 8 .

8- إينالجيك ، د . خليل ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ترجمة د . محمد . م . الأرناؤوط . دار المدار الإسلامي – بيروت ، الطبعة الأولى ، 2002 م .

2- الوثائق الأجنبية

1- الوثائق البريطانية

أ- الوثائق البريطانية الغير منشورة

1- Ingrams. Doreen and Leila ., Records of Yemen , Volume 4(1872-1899) and 5 (1899- 1914) archive Editions, The Arabia Historical Library. U.K , 1996 .

ب- الوثائق البريطانية المنشورة بالعربية

1- صفوة ، نجدة فتحي ، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية ، دار الساقي ، بيـروت ، الطبعة الأولى 1996م .

2- بولدري ، جون . حرب الساحل التهامي 1911 – 1912م . ترجمة وليد عبد الحميـد النود ، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية – دمشق ، العدد 24 ، أغسطس 2005م

3- ....، العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي ، 1914 – 1919 م ، ترجمة د. سيد مصطفى سالم ، المطبعة الفنية – مصر – الطبعة الأولى 1982 م .

2- الوثائق الفرنسية

1- كراس ، آن سوفي ، حصر وثائق أرشيف القنصليات الفرنسية فـي الـيمن ، المركـز الوطني للأرشيف – صنعاء المعهد ، الفرنسي للأثار و العلوم الاجتماعية بصنعاء – 2007 م

ثانياً : المخطوطات

1- ابن الديبع ، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ، منه صورة لدى المؤلف .

2- ابن قاطن ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدا لهادي بن صـالح قـاطن (1118 – 1199 هـ) ، تحفة الإخوان بنظم سند سيد ولد عدنان ، مخطوط بمكتبة الجامع الكبيـر – صنعاء (المكتبة الغربية) بخط المصنف برقم 8 تراجم .

3- الأهدل ، أبو عبدالله الحسين بن عبدالرحمن الأهدل توفي سنة(855هـ)، تحفة الزمن في سادات اليمن ، لدى المؤلف صورة من نسخة المؤرخ اسماعيل بن محمد الوشـلي ، و نسخة الخزانة المتوكلية بالجامع الكبير بصنعاء " مكتبة الأوقاف الشرقية " برقم 2143 .

4- الأهدل ، عبدالله بن عبدالهادي بن محمد الأهدل ، تحفة الحبيب في ذكر أنساب بني أبي القاسم و ذكر تراجمهم على الترتيب ، مخطوط حصل عليه المؤلف من الأسـتاذ المؤلـف وضاح عبدالباري طاهر الأهدل .

5- البحر ، محمد بن الطاهر البحر المتوفي سنة(1083هـ) ، تحفة الدهر فـي نـسب الأشراف بني البحر و نسب من حققنا نسبه و سيرته من أهل العصر ، لدى المؤلف صورة منه .

6- الناشري ، جمال الدين محمد بن عبدالله الناشري (733 – 821هـ) ، غرر الدرر في مختصر السير و أنساب البشر ، لدى المؤلف صورة منه .

7- الوشلي ، اسماعيل بن محمد الوشلي ، توفي في (1356 هـ) ، نشر الثناء الحـسن على بعض أرباب الفضل و الكمال من أهل اليمن و ذكر الحوادث الواقعة في هذا الزمن ، لدى المؤلف صورة منه .

8- ....، ذيل نشر الثثناء الحسن ، لدى المؤلف صورة منه .

9- الارياني ، حسن بن احمد بن حسن الأرياني (1319- 1388 هـ) .، صادق التحاقيق فيما جرى في حاشد و الزرانيق ، مخطوط في 86 ورقة بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير في صنعاء ضمن مجموع مخطوط برقم 148 مجاميع بخط المؤلف .

10- الحيمي ، محمد بن لطف الباري قاضي ، أخبار أقطار اليمن لما شاع من الوقـائع و الفتن و له عنوان جانبي آخر هو " الروض البسام فيما شاع في اليمن من الوقائع و الفتن ، نسخة مخطوطة بالفاتيكان ، أمد المؤلف بها الدكتور جان لامبرنت .

11- المطري المدني ، عفيف الدين عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بـن خلـف المطـري المدني توفي سنة (765 هـ - 1363 م) ، ذيل طبقات الشافعية ، و هو ذيل على طبقات الشافعية لابن كثير ، مخطوط محفوظ بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 6448 .

12- المعلم وطيوط (تاريخ المعلم وطيوط) ، لدى المؤلف صور عديدة منه .

13- المفضل ، جمال الدين محمد بن إبراهيم توفي 1085 هـ ، الـسلوك الذهبيـة فـي خلاصة السيرة المتوكلية اليحيوية في سيرة الامام يحيى شرف الدين ، مخطوط بالمكتبـة الغربية بصنعاء .

14- عاكش ، الحسن بن أحمد ، عقود الدرر في تراجم علماء القـرن الثالـث عـشر " مخطوط لدى المؤلف " .

15- المدهجن ، جمال الدين محمد بن علي بن أبي بكر القرشي ، رسائل في الأنساب

16- جحاف ، لطف الله بن أحمد ، درر نحور الحور العين بسيرة الإمام المنصور علي و أعلام دولته الميامين ، نسخة مؤسسة الإبداع .

17- رسالة صغيرة للنسابة جابر شماع عجيلي المتوفي سنة (1391هـ) .

18- شبيلي ، محمد عمر ، الروض الأنيق فيما جرى بين الأتراك و الامام و الزرانيق ، مخطوط لدى المؤلف يعمل على تحقيقه .

19- حوليات من 1320 – 1322 هـ ، للمكين بن عبدالقادر البحـر ، مخطـوط لـدى المؤلف .

20- الكبسي ، عز الإسلام محمد بن حسين بن علي غمضان ، رحلة أعيان الـيمن إلـى حضرة السلطان عبدالحميد إلى استانبول في شهر ربيع الأول 1325هـ (مايو 1907) . (مخطوطة لدى المؤلف صورة منها و هي بخط ابن المؤلف محمد بن محمد) .

21- البحر ، قاسم بن أحمد بن عبدالقادر (1314 – 1397هـ) ، تاريخ حرب الأتراك وحرب الإدريسي وحرب الإمام يحي مع الزرانيق ، وقد امد المؤلف بصورة منه الـسيد العلامة أحمد بن قاسم بن أحمد البحر .

ثالثاً : المصادر والمراجع

أ- المؤلفات و البحوث

1- أباظه ، د. فاروق عثمان ، الحكم العثماني في اليمن (1872 – 1918) ، دار العودة – بيروت ، الطبعة الثانية ، 1979 م .

2- ابن الديبع ، وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشيباني ، الفضل المزيـد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تحقيق الدكتور يوسف شلحد ، مركز الدراسات و البحوث اليمني – صنعاء ، دار العودة – بيروت ، الطبعة الأولى 1983م .

3- ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن و مكة و بعض الحجاز ، و يسمى تاريخ المستبـصر ، اعتنى بتصحيحها أوسكر لوفغرين ، ليدن ، بريل ، الطبعة الأولى 1951 م .

4- ابن بطوطه ، محمد بن عبدالله (1304- 1377 م) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، تحقيق الدكتور علي المنتصر الكتاني ، مؤسـسة الرسـالة ، الطبعـة الرابعة 1985م .

5- ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى 1983م.

6- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر – بيروت ، دون تاريخ طبع جـ1 .

7- ابن عبدالحيكم ، عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم بن اعين توفي(257هـ) فتوح مصر و المغرب ، القاهرة 1961 م .

8- ابن عبدالمجيد ، تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد القرشي المتوفي سـنة (743هـ ـ) ، بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي و محمد أحمد الـسنباني ، دار الحكمة اليمانية – صنعاء ، الطبعة الأولى 1408هـ - 1988 م .

9- ابن ماكولا ، الأمير أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر ماكولا المتـوفي (475 هـ - 1082م) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف و المختلف في الأسـماء و الكنـى و الأنساب ، اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه الشيخ عبدالرحمن بن يحي المعلمي اليماني ، الناشر محمد أمين دمج – بيروت ، دائرة المعارف العثمانية– الهند الطبعة الأولى1962م .

10- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم المصري ت 711هـ ، لسان العـرب ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى ، ب . ت . ط .

11- أبو غانم ، د. فضل علي أحمد ، القبيلة و الدولة في الـيمن ، دار المنـار للطباعـة و التوزيع و النشر – القاهرة ، الطبعة الأولى 1410هـ - 1990 .

12- أبي القاسم ، يحيى بن الحسين المتوفى سنة 1091 هـ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور ، دار الكتاب العربي – القاهرة الطبعة الأولى سنة 1388هـ - 1968 م .
13- أحمد ، د. أحمد يوسف ، الدور المصري في اليمن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1981 .
14- آل يحي ، سيف الدين سعيد " عميد ركن " ، تأريخ البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن للفترة من 1940 إلى 1943 ، دائرة التدريب / مديرية التطوير القتالي ، المطابع العسكرية – بغداد ، الطبعة الأولى ، حزيران 1986 م .
15- الارياني، د. مطهر ، نقوش مسندية و تعليقات ، مركز الدراسات و البحوث اليمني . الطبعة ثانية . 1990م .
16- الأشعري ، أبو الحجاج أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري توفي بين (550-558 هـ) ، التعريف في الأنساب و التنويه لذوي الأحساب ، تحقيق د. سعد عبدالمقصود ظلام ، دار المنار – القاهرة ، الطبعة الأولى 1990م .
17- البردوني ، عبدالله ، اليمن الجمهوري ، مطبعة الكاتب العربي – دمشق ، الطبعة الأولى ، 1983 م .
18- البستاني ، المعلم بطرس ، دائرة المعارف ، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان – طهران ، دار المعرفة – لبنان ، ب . ت . ط .
19- البشري ، أ .د. اسماعيل بن محمد ، الحملة العثمانية على إمارة (أبو عريش) و السواحل اليمنية ، (1265هـ -1849) ، دراسة وثائقية ، مكتبة العبيكان – الرياض ، الطبعة الأولى - 1423هـ / 2002 م .
20- .... ، السياسة العثمانية تجاه إمارة (أبو عريش) و السواحل اليمنية ، 1259هـ -1264 هـ / 1843 – 1847م ، دراسة وثائقية ، مكتبة العبيكان – الرياض ، الطبعة الأولى - 1423هـ - 2002 م
21- البطريق ، د . عبدالحميد ، من تاريخ اليمن الحديث 1517 – 1840م ، معهد البحوث و الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية – القاهرة ، الطبعة الأولى - 1969 م .

22- البكري ، أبي عبيد عبدالله بن عبد العزيز الأندلسي ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية – القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1364هـ - 1945 م .

23- البهكلي ، القاضي عبدالرحمن بن أحمد حسن ، نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود ، تحقيق محمد أحمد العقيلي ، مطابع جازان ، الطبعة الثانية ، 1406هـ -1986م .

24- التميمي النجدي ، الشيخ محمد بن حمد ، الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر ، تحقيق د / رمزية محمد الأطرقجي ، الدار العربية للموسوعات – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1421- 2000 م .

25- الجبلي ، الأستاذ احمد ، الهجر و الجوار ، مركز الدراسات و البحوث اليمني – صنعاء ، الطبعة الأولى ، 1421 هـ - 2000 م .

26- الجرافي ، القاضي عبدالكريم بن عبدالله ، المقتطف من تاريخ اليمن ، مطبعة عيسى الحلبي و شركاه ، الطبعة الأولى سنة 1951 – 1370هـ .

27- الجندي ، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب السكسكي ت (732هـ ـ) ، السلوك في طبقات العلماء و الملوك ، تحقيق محمد علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد – صنعاء ، الطبعة الأولى 1414 هـ - 1993م ، المجلد الأول .

28- ..... ، السلوك في طبقات العلماء و الملوك ، تحقيق محمد علي الأكوع ، المجلد الثاني طبعته وزارة الإعلام و الثقافة ، ج. ع. ي. ، الطبعة الأولى 1409هـ - 1989 م ، المجلد الثاني .

29- الحبيشي ، جمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن توفي 813هـ ، الإعتبار في التواريخ و الأخبار ، و نشر بعنوان (تاريخ وصاب) بتحقيق عبدالله محمد الحبشي ، مركز الدراسات اليمنية – صنعاء ، الطبعة الأولى 1979م .

30- الحجري ، القاضي محمد بن أحمد ، مجموع بلدان اليمن و قبائلها ، تحقيق و تصحيح و مراجعة إسماعيل بن علي الأكوع ، منشورات وزارة الإعلام و الثقافة ، ج.ع.ي. ، الطبعة الأولى 1404هـ - 1984 م .

31- الحديثي ، د . نزار عبداللطيف ، أهل اليمن في صدر الإسلام ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، الطبعة الأولى 1978 م .

32- الحصري ، ساطع ، البلاد العربية و الدولة العثمانية ، دار العلم للملايين – بيـروت ، الطبعة الثانية ، يوليو 1960م .
33- الحكمي ، نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي ، تاريخ اليمن ، تحقيق هنري كاسـل كاي ، ترجمة الدكتور حسن سليمان محمود ، مكتبة الإرشاد ، الطبعة الأولى 1425هـ ـ - 2004م .
34- الحموي ، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (575 – 626 هـ) ، معجـم البلـدان ، دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى ، ب . ت . ط .
35- .... ، المقتضب من جمهره النسب ، تحقيق د. ناجي حـسن ، الـدار العربيـة للموسوعات – لبنان ، الطبعة الأولى سنة 1987 م .
36- الخزاعي ، أبو علي دعبل بن علي بن رزين ا(148 – 246 هـ) ، وصايا الملوك ، تحقيق د. نزار أباظه ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى 1997 م .
37- الخزرجي ، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر توفي سنة(812 هـ) ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد بسيوني عسل ، ليدن ، بريـل، الطبعة الأولى 1913م .
38- الريحاني ، امين . ملوك العرب ، المؤسسة العربية للدراسات و النـشر – بيـروت ، الطبعة الثانية 1986م .
39- الزبيدي ، السيد محمد مرتضى ، التكملة و الذيل و الصلة لما فات صاحب القـاموس من اللغة ، تحقيق مصطفى حجازي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريـة – القـاهرة الطبعة الأولى ، 1408هـ - 1988م .
40- .... ، تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مـصر سنة 1306هـ و كذلك طبعة دار إحياء التراث العربي – الكويت .
41- السعدي ، د . عباس فاضل ، البن في اليمن ، مركز الدراسات و البحوث اليمنـي – صنعاء ، الطبعة الأولى ، 1412 هـ - 1992 م .
42- السيوطي ، أبي الفضل جلال الدين عبدالرحمن ، در السحابة فيمن دخل مـصر مـن الصحابة ، تحقيق خالد عبدالفتاح شبل ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1417هـ - 1997م .

43- الشرجي ، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبداللطيف ، طبقات الخواص أهل الـصدق و الإخلاص ، الدار اليمنية للنشر و التوزيع– صنعاء ، الطبعة الأولى 1406 هـ 1986 م .

44- الشرجبي ، د . قائد نعمان ، الشرائح الاجتماعية التقليدية في المجتمـع اليمنـي ، دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع – بيروت بالتعاون مع مركـز الدراسـات و البحـوث اليمني – صنعاء ، الطبعة الأولى 1986 م .

45- الشهاري ، د. محمد علي ، طريق الثورة اليمنية ، كتاب الهلال – القـاهرة ، العـدد 188 ، رجب 1386هـ / نوفمبر 1966 م .

46- الشوكاني ، شيخ الإسلام محمد بن علي ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، دار المعرفة بيروت – لبنان ب . ت . ط .

47- الصايدي ، د . أحمد قايد ، حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام يحيى بـن محمـد حميد الدين (1322-1367هـ / 1904- 1948 م) ، مركز الدراسات و البحوث اليمني – صنعاء ، الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983 م .

48- الظاهري ، د . محمد محسن ، الدور السياسي للقبيلة في اليمن ، مكتبـة مـدبولي – مصر ، الطبعة الأولى سنة 1996 م .

49- العرشي ، القاضي حسين بن احمد ، بلوغ المرام في شرح مسك الختام فـيمن تـولى ملك اليمن من ملك و إمام ، عني بنشره الأب انستاس ماري الكرملي ، دار إحياء التـراث العربي – بيروت ، ب . ت . ط .

50- العزير ، د . عبدالكريم ، التشكيلات المركزية العثمانية و الإدارة المحلية فـي الـيمن (1850- 1918 م) ، مركز عبادي – صنعاء ، الطبعة الأولى ، 2003 م .

51- العسقلاني ، الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى 1412 هـ– 1992 م .

52- العطار ، د . محمد سعيد ، التخاف الاقتصادي و الاجتماعي في الـيمن أبعـاد الثـورة اليمنية ، المطبوعات الوطنية الجزائرية ، الطبعة الأولى نوفمبر1965م .

53- العظم ، نزيه مؤيد ، رحلة في بلاد العربية السعيدة ، مؤسسة فادي بـرس – لنـدن ، الطبعة الثانية 1405هـ - 1985م .

54- العليمي ، د . رشاد ، القضاء القبلي في المجتمع اليمني ، دار الوادي للنشر و التوزيع – القاهرة ، ب . ت . ط .

55- العمري ، د . حسين بن عبدالله ، الأمراء العبيد و المماليك فـي الـيمن ، دار الفكـر المعاصر – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1409 هـ - 1989 م .
56- العودي ، د . حمود ، التراث الشعبي و علاقته بالتنمية في الـبلاد الناميـة ، دراسـة تطبيقية عن المجتمع اليمني ، مركز الدراسات اليمنية – صنعاء ، عالم الكتـب – القـاهرة 1400هـ - 1980 م .
57- ...... ، المنظور العلمي للثقافة دراسة خاصة عن المجتمـع اليمنـي ، دار الهنـا – القاهرة ، الطبعة الأولى 1973 م .
58- العيسي ، د. جميلة سعد زيد ، الصراع البريطاني الفرنـسي حـول البحـر الأحمـر (1213 -1286هـ/ 1798- 1869 م)، مكتبة العبيكان - الرياض ، الطبعـة الأولـى 1421 هـ - 2001 م .
59- القسطلاني ، شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية ، دار المعرفة – بيـروت ، الطبعة الأولى 1993 م - 1414هـ .
60- الكبسي ، محمد بن إسماعيل توفي 1308 هـ ، اللطائف السنية في أخبـار الممالـك اليمنية ، مطبعة السعادة – القاهرة ، الطبعة الأولى 1983 م .
61- المحبي ، محمد أمين بن فضل الله ، خلاصة في أعيان القرن الحادي عـشر ، نـشر بعناية السيد مصطفى وهبي و رعاية محمد باشا عارف بالمطبعـة الوهبيـة – القـاهرة ، الطبعة الأولى ، 1284هـ/ 1869 م .
62- المسعودي ، د. عبدالعزيز قائد ، معالم تاريخ اليمن المعاصر ، القوى اليمنية لحركـة المعارضة اليمنية (1905- 1948) ، مكتبة السنحاني – صنعاء ، الطبعـة الأولـى ، 1413هـ - 1992 .
63- المعلمي ، أحمد عبدالرحمن ، : " الشريعة المتوكلية أو القضاء في اليمن " كتيب طبـع في عدن ، ب . ت . ط .
64- المقرمي ، د. عبدالملك ، التاريخ الاجتماعي للثورة اليمنية رؤية سوسيولوجية لتحـول بناء القوة ، دار الفكر المعاصر – بيـروت ، دار الفكـر – دمـشق ، الطبعـة الأولـى 1411هـ/ 1991 .

65- النعمي ، أحمد بن أحمد الحسني توفي 1258 هـ - 1842 ، حوليات النعمي التهامية ، بتحقيق و دراسة د. حسين عبدالله العمري ، دار الفكر – دمشق ، دار الحكمة اليمانية – صنعاء ، الطبعة الأولى 1407هـ -1987 .
66- النهروالي ، قطب الدين محمد بن أحمد (917-990 هـ) .البرق اليماني في الفـتح العثماني ، منشورات المدينة – لبنان ، الطبعة الثانية 1407 هـ - 1986 .
67- الهمداني ، لسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (المتوفي سنة 350هـ) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد – صـنعاء ، الطبعـة الأولى 1410هـ - 1990م .
68- .... ، الإكليل ، تحقيق محمد علي الأكوع ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة الطبعة الأولى 1386 هـ - 1966م المجلد الثاني .
69- الواسعي ، عبدالواسع يحي ، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم و الحزن في حـوادث و تاريخ اليمن ، مكتبة اليمن الكبرى – صنعاء ، الطبعة الثانية 1991م .
70- الويسي ، حسين بن علي ، اليمن الكبرى ، مطبعة النهضة العربية – القاهرة ، الطبعة الأولى1382هـ /1962 .
71- اليافعي ، عفيف الدين عبدالله بن اسعد (توفي 768 هـ) ، مـرآة الجنـان و عبـرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، مطبعة دائرة المعارف النظامية بمدينـة حيدر أباد – الدكن ، الطبعة الأولى 1339هـ .
72- اليامي ، الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل ، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ، تحقيق ركس شمث ، جامعة كمبردج – لنـدن ، الطبعة الأولى 1974م
73- اليعقوبي ، شمس الدين أحمد بن أبي يعقوب (المتوفي سنة 284هـ) ، كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى 1408هـ - 1988 م .
74- اليماني ، السيد حسين اليماني ، رحلة سمو سيف الاسلام ولي عهد اليمن المعظم احمد بن امير المؤمنين في انحاء اليمن ، وقف على طبعها و تصحيحها احمد محمـد نعمـاني ، مطبعة انصار السنة المحمدية بمصر ، ب . ت . ط .
75- أهدلي ، محمد اديب ، القول الأعدل في تراجم بني الأهدل ، مطبعة الشرق – حمص – سوريا في الطبعة الأولى سنة جمادى الآخرة 1359هـ / يونيو 1940 .

76- بافقيه ، د. محمد عبدالقادر ، تاريخ اليمن القديم ، المؤسسة العربيـة للدراسـات و النشر ، طبعة 1985 م ،

77- ..... ، في العربية السعيدة ، مركز الدراسات و البحوث اليمني ، الطبعة أولى 1987 م ، الجزء الأول .

78- بامخرمة ، جمال الدين عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد المتوفي سنة 947هـ -1540 م ، النسبة إلى المواضع و البلدان ، مركز الوثائق و البحوث – أبو ظبي ، الطبعة الأولـى 1425هـ - 2004م .

79- بورجي ، د. عبدالله علي ، الجزر اليمنية في البحر الأحمر و خليج عدن ، منـشورات 25 سبتمبر ، الطبعة الثانية 1996م .

80- جعفر ، د. محمد حلمي محمد ، تهامة اليمن ، الدراسات الخاصة ، المنظمـة العربيـة للتربية و الثقافة و العلوم – معهد البحوث و الدراسات العربية التابعة لجامعة الدول العربية – مصر – 1976 م .

81- جوهر و أيوب ، حسن محمد جوهر و محمد السيد أيوب ، الـيمن ، الـدار القوميـة للطباعة و النشر – القاهرة ، ب . ت . ط .

82- حبشوش ، حييم بن يحيى بن سالم القُتيحي توفي 1311هـ -1893 ، رؤية اليمن بين حبشوش و هاليفي ، نقلته إلى العربية و حققته سامية نعيم صـنبر ، مركـز الدراسـات و البحوث اليمني – صنعاء ، الطبعة الأولى 1412 هـ - 1992 .

83- حسن ، محمد ، قلب اليمن ، مطبعة المعارف – بغداد ، الطبعة الأولى 1948.

84- زبارة ، محمد بن محمد ، نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر ، تحقيق و نشر مركز الدراسات و الأبحاث اليمنية – صنعاء ، الطبعة الأولى 1979 .

85- سالم ، د. سيد مصطفى ، تكوين اليمن الحديث ، اليمن و الإمام يحي (1904- 1948 م) ، دار الأمين للنشر و التوزيع – القاهرة ، الطبعة الرابعة ، 1993م .

86- .... ، مراحل العلاقات اليمنية – السعودية من 1158 – 1353 هـ / 1754 – 1934 ، خلفية و حوارات تاريخية ، عربية للطباعة و النشر – القاهرة ، الطبعة الأولـى 2003 .

87- سعيد ، أمين محمد ، ملوك المسلمين المعاصرين و دولهم ، مطبعـة عيـسى البـابي الحلبي – القاهرة –الطبعة الأولى 1933م .

88- شرف الدين ، عيسى بن لطف الله بن المطهر ت 1048 هـ ، روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن و الفتوح ، جزءان ، مخطوط أصدرته وزارة الإعلام و الثقافة ، ج . ع . ي ، الطبعة الثانية 1401 هـ - 1981 .
89- شجاب ، محمد سالم ، علي بن مهدي و مأساة الأخدام في المجتمع اليمني . مركز عبادي للدراسات و النشر – صنعاء ، الطبعة الأولى ، 1424 هـ - 2003 .
90- صبره ، علي بن علي، اليمن ...الوطن الأم ، وزارة الإعلام و الثقافة ، الطبعة الأولى 1407 هـ– 1987 .
91- طاهر ، الاستاذ عبدالباري ، اليمن الإرث و أفق الحرية ، مؤسسة العفيف الثقافية – صنعاء ، الطبعة الأولى 2001.
92- عاكش ، الحسن بن أحمد (1219 – 1290هـ / 1804 – 1873) ، الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني ، حققه و درسه و علق عليه / أ . د . إسماعيل بن محمد البشري ، دارة الملك عبدالعزيز– الرياض ، الطبعة الأولى1424 هـ - 2003 .
93- علي ، د. صادق عبده ، الحركات السياسية و الاجتماعية في اليمن ، مؤسسة دار الكتاب الحديث – بيروت ، دار الثقافة العربية – الشارقة ، الطبعة الأولى ، 1412هـ / 1992 .
94- علي ، د. جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين – بيروت - الطبعة الأولى سنة 1967 م جـ1 .
95- عمر ، د . سلطان أحمد ، نظرة في تطور المجتمع اليمني ، دار الطليعة للطباعة و النشر – بيروت ، الطبعة الأولى – فبراير 1970 .
96- غالب ، د. محمد انعم ، عوائق التنمية في اليمن دراسة لعهد ما قبل الثورة ، اوتو هاراسوفيتس – فيسبادن ، الطبعة الثالثة ، 1978 .
97- غانم ، د. محمد عبده ، عدني يتحدث عن البلاد العربية و العالم ، دار مصر للطباعة ، الطبعة الثامنة ، ب . ت . ط .
98- فخري ، د. أحمد ، اليمن ماضيها و حاضرها ، مراجعة و تعليق الدكتور عبدالحليم نور الدين ، المكتبة اليمنية للنشر و التوزيع – صنعاء ، منشورات المدنية – بيروت ، الطبعة الثانية 1409 – 1988 .

99- فياض ، د. علي أكبر ، تاريخ الجزيرة العربية و الإسلام ، ترجمة عبدالوهاب علوب ، مركز النشر لجامعة القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1414هـ - 1993م .
100- كحالة ، عمرو رضا، جغرافية شبه جزيرة العرب، مكتبة النهضة الحديثة– مصر، الطبعة الثانية ، 1384هـ - 1964م .
101- لقمان ، حمزة علي ، تأريخ القبائل اليمنية ، دار الحكمة – صنعاء ، الطبعة الأولى 1985 .
102- مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، مطبعة الكاتب العربي – دمشق ، الطبعة الأولى 1405هـ - 1984 م .
103- مجهول ، حوليات يمانية من سنة 1224 هـ إلى سنة 1316 هـ ، حققه عبدالله محمد الحبشي ، منشورات وزارة الإعلام و الثقافة ، الطبعة الأولى سنة 1986م .
104- مجهول ، نور المعارف في نظم و قوانين و أعراف اليمن في العهد المظفري الوارف ، تحقيق محمد عبدالرحيم جازم ، المعهد الفرنسي للآثار و العلوم الاجتماعية بصنعاء ، الطبعة الأولى ، 1424هـ - 2003 ، الجزء الأول.
105- مجهول ، نور المعارف في نظم و قوانين و أعراف اليمن في العهد المظفري الوارف ، تحقيق محمد عبدالرحيم جازم ، المعهد الفرنسي للأثار و العلوم الإجتماعية – صنعاء ، الطبعة الأولى 2005م ، الجزء الثاني .
106- مطهر ، القاضي عبدالكريم بن أحمد (توفي 1366هـ - 1947) ، سيرة الإمام يحي بن محمد حميد الدين المسماة " كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة " ، تحقيق د. محمد عيسى صالحية، دار البشير – الأردن ، الطبعة الأولى ، 1418هـ - 1998 م .
107- ابن الأنف ، عماد الدين ادريس بن الحسين بن عبدالله بن علي الأنف القرشي توفي سنة(872هـ)، روضة الأخبار و نزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار و الحصون و الأمصار ، تحقيق محمد علي الأكوع ، منشورات الهيئة العامة اليمنية للكتاب ، الطبعة الأولى 1995م .
108- النهروالي ، قطب الدين محمد بن أحمد (917-990 هـ) .البرق اليماني في الفتح العثماني ، منشورات المدينة – لبنان ، الطبعة الثانية 1407 هـ - 1986 .

109- أبو القاسم ، يحيى بن الحسين المتوفى سنة 1091 هـ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، تحقيق الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور ، دار الكتاب العربي – القاهرة الطبعـة الأولى سنة 1388هـ - 1968 .

110- أنيس ، د . محمد أنيس ، الدولة العثمانية و الشرق العربي 1514 – 1914 ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ، طبعة 1993 .

111- العظم ، نزيه مؤيد ، رحلة في بلاد العربية السعيدة ، مؤسسة فادي برس – لندن ، الطبعة الثانية 1405هـ/ 1985 .

112- زبارة ، محمد بن محمد بن يحيى ، أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة ، المطبعة السلفية – القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1376هـ .

113- ناجي ، سلطان ، التاريخ العسكري لليمن 1839 – 1967 ، دراسـة سياسـية ، دار العودة – بيروت ، الطبعة الثانية ، 1988 م .

114- الجرافي ، صفي الإسلام أحمد بن محمد (1280-1316 هـ) ، حوليات العلامـة الجرافي ، تحقيق ودراسة الدكتور حسين بن عبدالله العمـري ، دار الفكـر المعاصـر – بيروت ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة الأولى ، 1412هـ - 1992 م .

ب- الكتب الأجنبية المعربة

1- مجموعة باحثين غربيين ، اليمن كما يـراه الآخـر .... دراسـات انثروبولوجيـة مترجمة – المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية – صنعاء ، الطبعة الأولى ، 1997م .

2- ابونتي ، سلفاتور ، مملكة الإمام يحي رحلة في بلاد العربية السعيدة ، ترجمـة طـه فوزي ، مطبعة السعادة – مصر ، الطبعة الأولى 1366هـ -1947 م

3- انكارين ، مذكرات دبلوماسي في اليمن ، ترجمة د. محمد قائد طربـوش و محمـد اسماعيل سليمان ، مكتبة مدبولي – مصر ، الطبعة الأولى 1993 م .

4- بولدري ، جون ، العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي ، 1914 – 1919 م ، ترجمة د. سيد مصطفى سالم ، المطبعة الفنية – مصر – الطبعة الأولى 1982 م .

5- جاكوب ، هارولد ف. ، ملوك شبه الجزيرة العربية ، ترجمة أحمـد المـضواحي ، مركز الدراسات و البحوث اليمني – صنعاء ، دار العودة – بيروت ، الطبعة الثانيـة 1988 م .

6- جولوبوفسكايا ، ايلينا ، ثورة 26 سبتمبر في اليمن ، ترجمة د. قائد محمد طربوش ، مراجعة حسن عزعزي ، دار ابن خلدون – بيروت – الطبعة الأولى 1982 م .

7- هولفريتز ، هانز ، اليمن من الباب الخلفي ، تعريب خيري حماد ، المكتبـة اليمنيـة للنشر و التوزيع – صنعاء ، الطبعة الثالثة ، 1985م .

8- هوليدي ، فرد " برفيسور " الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربيـة ، ترجمـة حازم صاغية و سعد محيو ، دار ابن خلدون – بيروت ، الطبعة الثانيـة – نيـسان 1978 م

9- أوليج جيراسيموف و يوماشين ، في جبال العربية السعيدة ، ترجمة جليلة عبدالوهاب جحاف ، مركز الدراسات و البحوث اليمني – صنعاء ، الطبعة الأولى 2004م

10- بلايفير ، إف . إل ، تاريخ العربية السعيدة أو اليمن ، ترجمة د. سعيد عبدالخير النوبان و علي محمد باحشوان ، دار جامعة عدن للطباعة و النشر ، الطبعة الأولـى 1999م .

11- بورشارت ، هيرمان ، بورشارت في اليمن ، رحلات مصورة للأعـوام (1900 إلى 1909م) ترجمة عرفان عبود ، الناشر سفارة جمهورية المانيا الاتحاديـة فـي صنعاء ، ومعهد الأثار الألماني ، قسم الشرق، فرع صنعاء الطبعة الأولى، 2005م .

12- توركيل هانس ، من كوبنهاجن إلى صنعاء ، ترجمة محمد أحمـد الرعـدي ، دار العوده – بيروت ، و مركز الدراسات و البحوث اليمني – صنعاء ، الطبعة الثانيـة ، 1983 م .

13- جلازر ، إدوارد ، اليمن في كتابات الرحالة الأجانب ، ترجمـة د. احمـد قايـد الصايدي ، المركز العربي للدراسات الاسـتراتيجية – دمـشق ، العـدد 3 ، الـسنة 1999م .

14- ريخت ، د . مارينا دي ، رائدات في ظروف غير مواتيـة ، ترجمـة : محمـد عبدالحميد عبدالرحمن ، دار مهاجرون – أمستردام ، ابريل 2003 .

15- شنيدروف ، فلاديمير ، اليمن مشاهدات و انطباعات ، تعريب : سعيد دبعي ، دار الهمداني للطباعة و النشر – عدن ، الطبعة الأولى ، سنة 1983م .

16- ماكرو ، إريك ، اليمن و الغرب (1571 – 1962 م) ، تعريب حسين عبـدالله العمري ، الناشر المعرب (حسين عبدالله العمري) ، الطبعة الأولى ، 1979 م .

17- هيدلي ، ريتشارد ، مادة بيت الفقيه ، دائرة المعارف الاسلامية ، اعداد و تحريـر ابراهيم زكي خور شيد ، واحمد الشنتناوي ، و د. عبدالحميد يونس ، مطبعة الـشعب – القاهرة ، 1961 م .

18- لوتسكي ، فلاديمير بوريسوفيتش ، تاريخ الأقطـار العربيـة الحـديث ، ترجمـة الدكتورة عفيفة البستاني ، دار التقدم – موسكو ، ب . ت . ط .

ج- الدوريات

1- شلحد ، د. يوسف ، رحلة (تاميزيه) و(كومب) إلى الجزيرة العربية ، مجلة العرب ج1 ، 2 . س 25 رجب / شعبان سنة 1410هـ الموافق فبراير / مارس سنة 1990م .

2- انجرامز ، هارولد ، الأئمة و الحكام و الثورات ، مجلة اليمن ، العدد 19، مـايو 2004 – ربيع الأول 1425هـ .

3- الحضرمي ، عبدالرحمن عبدالله ، الزرانيق و دورهم فـي التـاريخ ، مجلـة الحكمة العدد 110 السنة الثالثة عشر 1984م .

4- الشيبة ، د . عبدالله حسين ، حركة الكشوف الأثرية في جنوب الجزيرة العربيـة ، دراسات يمنية ، العدد 37 سنة 1989 .

5- الصايدي ، د. احمد قايد ، المادة التاريخية في كتابات نيبـور عـن الـيمن ، دراسات يمنية ، العدد 39 السنة 1990م .

6- انجرامز ، هارولد ، ائمة اليمن و حكامها و ثوراتها ، ترجمـة نجيـب سـعيد باوزير ، مجلة اليمن العدد الثامن عشر ، شوال 1424هـ ، نوفمبر 2003م .

7- بونانفان ، د . بول ، احياء زبيد : ملاحظات في التاريخ الاجتماعي ، حوليـات يمنية ، صادرة عن المعهد الفرنسي للآثار و العلوم الاجتماعية بصنعاء ، العـدد الأول – 2002 .

8- ت . ارنود و أ . فاسيير ، الأخدام في اليمن : أصولهم و عاداتهم ، ترجمة مـن الإنجليزية الأستاذ عبده علي عثمان ، مجلة دراسات يمنية ، العدد الأول 15 / 9 / 1978 .

9- جولوبو فسكايا ، د . ي . ك . ، حول وضع الفئات الدنيا في البنية الاجتماعيـة للمجتمع اليمني ، ترجمة د. قائد محمد طربوش ، مجلة الحكمة ، العدد 110 .

10- جولوبوفسكايا ، ايلينا كارلفنا ، الدولة و القبائل في شمال الـيمن فـي العقـد السادس و السابع من القرن العشرين ، ترجمة / محمـد عبدالواحـد الميتمـي ، دراسات يمنية ، العدد 31 .

11- الحاج ، أحمد ، وهم القبيلة و خداع السياسة في اليمن ، مجلة الحكمة ، العدادان 224 – 225 ، صيف 2003 .

12- راثينس ، د . كارل ، الطاغوت و الشريعة العرف و الشريعة الاسلامية لـدى قبائل المرتفعات اليمنية ، ترجمة أ . د . أحمد قايد الصايدي ، مجلـة الثقافـة ، السنة الخامسة ، العدد الثلاثون – فبراير – مارس 1997 .
13- شجاب ، محمد سالم ، قبيلة الزرانيق و حركتهم التاريخية، مجلة اليمن الجديد ، صنعاء ، وزارة الإعلام و الثقافة ، س 16 ، ع 12 (ربيع الثاني 1408 هـ ـ - ديسمبر 1987 م) .
14- كروزه ، هانس " بروفيسور " الأنظمة القبلية و التركيـب الاجتمـاعي حالـة الجمهورية العربية اليمنية ، ترجمة سلطان ناجي ، مجلة الحكمة اليمانية ، العـدد 94 السنة الحادية عشرة أغسطس / سبتمبر 1981 .
15- ندوة مركز الدراسات المستقبل ، القبيلة و الدولة في اليمن ، ادارها د / فارس السقاف و شارك فيها د / فضل أبو غانم ، و الشيخ حميد الأحمـر ، و الـشيخ حمود الذاري ، و د / حمود العودي ، و الاستاذ / عبدالرحيم محسن ، 1995 .
16- زكريا ، أحمد وصفي ، لمحة من تاريخ اليمن قبل الإسلام و بعـده - 3 - ، مجلة المعرفة تصدرها وزارة الثقافة و الارشاد القومي السورية ، السنة الثانيـة العدد السابع ، شهر أيلول / سبتمبر عام 1963 .
17- كتلوف . د . ل . ن " دكتور " ، نشأة حركة التحرر فـي المـشرق العربـي انتفاضة اليمن ضد الاحتلال التركي ، ترجمة سيف علي مقبل ، مجلـة الثقافـة الجديدة ، السنة السابعة ، العدد الأول ، يناير 1978 .
18- الأكوع ، القاضي إسماعيل ، كلمات تركية مستعملة في اليمن ، تعقيب العـالم التركي فكري طونا ، مجلة الإكليل ، السنة الثالثة – العدد الأول – خريف 1406 هـ - 1985 م .

د – الصحف

1- صحيفة صنعاء ، العدد 425 ، السنة الثانية عشر ، 16 ربيع الأول 1308هـ ـ (29 / 10 / 1890) .

2- صحيفة صنعاء ، العدد 557 السنة الخامسة عشرة بتاريخ 15 جمـاد أول 1311 هـ ـ (24 / 11 / 1893) .

3- صحيفة صنعاء ، العدد 575 في 19 ذي القعدة 1311 هـ (24 / 5 / 1894) .

4- العريسي ، الشهيد عبدالغني ، القطر اليماني ، جريدة المفيد ، السنة الأولى ، العدد 218 بتاريخ 21 تشرين أول (أكتوبر)1909 الموافق 7 / 10 / 1327هـ .

5- .... ، اليمن بلاد اليمن و السعادة ، جريدة المفيد ، السنة الثانية ، العدد 565 بتاريخ 11 كانون الثاني (يناير) 1910 – 30 / 12 / 1327 هـ .

6- الحرازي ، سيناء ، أثر الوضعية الاجتماعية للفئات المهمشة في العلاقـات الأسـرية ، محاضرة في مؤسسة العفيف الثقافية ، نشرة ملخصها الوحدوي عدد 618 بتـاريخ 22 / يونيو / 2004 .

7- مقشر ، عبدالودود قاسم ، ابن عجيل و عين جالوت ، صحيفة تهامة العدد 2 (الخميس 22 محرم 1418 هـ - 29مايو 1997م) .

8- .... ، غسانه و ابن بطوطة و بيت الفقيه ، الجمهورية الثقافية ، (الخمـيس 27 رمضان 1419 هـ -1999/1/4م) .

9- القيرعي ، محمد " رئيس منظمة الدفاع عن الأحرار السود في اليمن " . ، مسلسل سيف بن ذي يزن يسيء لنا ، صحيفة الثقافية العدد 215 بتاريخ 13 / 10 / 2003 ،

10- ...... ، مسلسل سيف بن ذي يزن وجه متوحش من وجوه الثقافة العنـصرية ، صحيفة التجمع العدد 490 بتاريخ 5 / يناير / 2004 .

11- .... ، مهمشون في وطن مهمش " لمحمد القيرعي ، الثوري العدد 1839 .

12- صحيفة التجمع ، " الأحرار السود يطالبون الاشتراكي بالاعتذار " العدد السابق .

13- صحيفة الوحدوي ، الدمج الاجتماعي لطلاب الفئات المهمـشة ، العـدد 548 ، 21 / يناير / 2003 .

هـ - المقابلات الشخصية

1- السيد حمدون محمد جابر الأهدل
2- يحيى حسن قاسم زبري .
3- سعد علي حكيمة .
4- يحيى جزاز .
5- علي جربوح .
6- يحيى عبدالله العمري .
7- محمد فتيني لبن مقبول .
8- سالم يحي مشهور .
9- العاقل أحمد محمد جمال .
10- قاسم يحيى فتاح .
11- الحاج حسن اسماعيل خزرجي
12- المأمون فتيني حاج إبراهيم أشرم .
13- الفقيه محمد إبراهيم فقيه فرج.
14- قاسم سطيح .
15- يحيى حاب .
16- الشيخ بخيت جابري .
17- الشيخ يحيى محمد يحيى منصر .
18- الشيخ منصر عبد الله منصر معروف.
19- الشيخ شعيب محمد حسن فاشق .
20- الشيخ محمد عبده حسن فاشق.
21- الشيخ علي فتيني غلاب .
22- قاسم مقبل .
23- السيد محمد بن الفضل بن الأمين بن عبدالقادر البحر .
24- السيد أحمد قاسم البحر .
25- الحاج صغير جلاد .
26- محمد فرج بوطة .

27- أحمد الجروب معروف .

28- عيسى ابن عبدالله بن أحمد فتيني جنيد .

29- أمين ابن عبدالله بن أحمد فتيني جنيد .

30- محمد إبراهيم جابر الأهدل .

المراجع الأجنبية :-

1- Bury. G. W.. Arabia Infelx or The Turks in Yemen . Macmillan and co. , London ,1915 .

2- Dresch , paul . 1990 . " Imams and Tribes : The writing and Acting of History in Upper , " in khoury, ph . and J, kostiner (eds) Tribes and state formation in the Middle East . Berkely : University of California press .

3- G . Hey worth – Dune , Al- Yemen . A General social , political and Economic survey . , Cairo 1952 .

4- Serjeant , R . B . " The saiyds of Hadramawt " . an inaugural lecture delivered on 5 June 1956 . London : school of oriental and African studies, 1957 .

5- Kynsh , Alexander , 1993 . " The cult of saints in Hadramawt " , in R . B . Sergeant , R. L . Bidwell , G . Rex simth (eds) . New Arabian studies 1 , University of Exeter press .